أزمة المصطلح العربي في القرن التاسع عشر

مقدمة تاريخية عامة

محمد سواعي



دار الغرب الإسلامي

١٩٩٩

أزمة المصطلح العربي في القرن التاسع عشر

مقدمة تاريخية عامة

أزمة المصطلح العربي في القرن التاسع عشر

مقدمة تاريخية عامة

محمد سواعي

تم إنجاز هذا الكتاب بالتعاون مع دار الغرب الإسلامي، بيروت
و بدعم من المديرية العامة للشؤون الثقافية والعلمية والفنية بوزارة الخارجية الفرنسية



الطبعة الأولى 1999

منشورات



المعهد الفرنسي للدراسات العربية

ص . ب 344 دمشق – سورية



دار الغرب الاسلامي

ص . ب 5787 – 113 بيروت – لبنان

محتويات الكتاب

اختصارات لأسماء كتب ومجلات استُعمِلَت
في مراجع الكتاب

EA	*The Encyclopedia Americana*
EB	*The Encyclopaedia Britannica*
EI2	*The Encyclopaedia of Islam, New Edition*
EI1	*The Encyclopaedia of Islam*
GAL	*Geschichte der Arabischen Litteratur, ErsterBand*
GAL S I	*Geschichte der Arabischen Litteratur, Erster SupplementBand*
GAL SII	*Geschichte der Arabischen Litteratur, Zweiter SupplementBand*
ISIS	*International Review Devoted to the History of Science and Civilization*
JA	*Journal Asiatique*
JRAS	*Journal of the Royal Asiatic Society*
JTS	*Journal of Theological Studies*

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمات شكر

أودُّ في البَدء أنْ أُقدِّمَ خالصَ شكري وجزيلَهُ للمؤسَّسة القوميَّة (الأمريكيَّة) للدراسات الإنسانيَّة National Endowment for the Humanities التي وفَّرت لي مِنحَةً ماديّةً عام ١٩٩٥-١٩٩٦ أتاحَت لي الفُرْصَةَ للتفرُّغ العِلمي لإجراء بحْث مادّة هذا الكتاب، والبَدْء في إعداد بعض فُصوله. كما مكّنتني المِنحةُ كذلك من السَّفَر إلى القاهرة ودمشق للقيام بالبحث في مكتبات هاتَيْن المدينتَيْن، والاتّصال بالزُّملاء العديدين المُهتَمّين بالتاريخ العربي في فترة القرن التاسع عشر، وتأريخ اللغة العربية من جوانبهما المختلفة.

وأشكر كذلك نائبَ رئيس الجامعة لشؤون البحث العلمي، وعميدَ كليّة الآداب والعلوم بجامعة ڤرجينيا للدَّعْم الماديّ الذي ساعدني على السَّفَر لدمشق شتاء عامَيْ ١٩٩٦-١٩٩٧ و١٩٩٧-١٩٩٨ لمتابعة تنقيح مادّة هذا الكتاب، ومراجعة بعض أجزائه.

وأثناءَ إقامتي في القاهرة ودمشق أثقلتُ على زُملاءَ عديدين تحت ظروفٍ زَمنيّةٍ قصيرةٍ في قراءة مادّة بعض فصول هذا الكتاب في مراحلها الأوليّة. وعلى الأخص أَودُّ أنْ أُقدِّم شكري الجزيل للأساتذة رؤوف عبّاس حامد، ونللي حنّا، وغيلين أيوم Ghislaine Alleaume في القاهرة؛ و في دمشق أُنوِّهُ بذِكْر الأساتذة ليلى الصبّاغ، وعبدالكريم رافِق، وشاكر الفحّام، وعدنان درويش، ومسعود بوبو، وماهر الشريف لقراءتهم الكتاب كاملاً، أو أجزاءً منه، وإبداء ملاحظات هامّة، وشريف كيوان (لقراءته الفصل الخاص بالشدياق). وأخيراً، أودُّ أنْ أُنوِّهُ بجهود سليم بركات لمراجعته مخطوطة الكتاب بعينٍ ثاقبةٍ أفادتني كثيراً في تشذيب الأسلوب وتوضيح ما كان غامضاً من أفكار. ولا شكَّ أنَّ ملاحظاتِ هؤلاء جميعاً ساهمَت مساهمةً جليلةً في تحسين مادّة الكتاب بصُورته النّهائية.

كما أشكر بشكلٍ خاصٍّ إدارةَ المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق Institut français d'Études arabes de Damas، والعاملين فيه الذين وفّروا لي الدعمَ والإقامة في هذا المعهد أثناء تَرَدُّدي المتواتِر على دمشق، والإفادة من مكتبته القيّمة. وأخُصُّ

بالذّكر سراب الأتاسي التي - بلُطْفِها المعهود - لم تألُ جَهداً في تقديم العَوْن والدَّعْم المعنويّ يَفوق حُدود ما هو متَوَقَّع من شخصٍ في موقع مسؤوليَّتها، وخاصة لترجمتها المقدِّمة من اللغة الانكليزية إلى اللغة الفرنسية.

وفي الولايات المتَّحدَة، قَرَأ عادل سليمان جمال الفصولَ الأولى من هذه المادّة مرَّتَيْن، وفي كل مرّةٍ كان يُبدي النُّصْحَ السديد، والمشورةَ السليمة للتطوير والتحسين. كما قرأ محمد صبحي عيسى الفصلَيْن الأوَّلَيْن من هذه المادّة في مَراحلهما الأولى، وكذلك قرأ محمد عمايرة الفصول الأربعة الأولى، وقرأ وضّاح الخطيب الكتاب كاملاً بعينٍ حصيفة وأسْدَى المشورةَ الصائبةَ. كذلك قَرَأ عبدالكريم رافق الكتابَ كاملاً للمرَّة الثانية قراءةً مُمَحِّصَةَ (بعد القراءة الأولى لأجزاء منه في دمشق)، وقدَّم تعقيباتٍ مفيدة جنَّبَتْني الوقوع في أغلاطٍ شنيعةٍ. كما قرأ عِرْفان شهيد الفصلَ الأولَ وأفادني في توضيح بعض النقاط فيه. وقرأ جورج صليبا وجميل رجب الفصلَ الثاني وأبديا ملاحظاتٍ جنَّبَتْني بعضَ الخطأ. فإنْ لم آخُذ بآراء هؤلاء جميعاً، أو بنُصْح أحدِهِم مُنفَرِداً، فما مسؤليَّةُ التقصير في ذلك إلا واقعةٌ على عاتقي وَحْدي.

كما وأفَدْتُ من زيارةٍ قصيرة لمكتبة جامعة لايدن بهولندا في أواخر عام ١٩٩٧، إذْ تحقَّقْتُ من بعض المعلومات عن كُتُب الشّدياق المطبوعة والمُودَعَة في مكتبة الجامعة تلك.

فإلى كلٍّ هؤلاء جميعاً، والعديدين الآخرين الذين ساعدوني بطريقةٍ أو بأُخْرَى وفاتَني ذِكْرُ اسمائِهم، أُسْدي جزيلَ الشُكر والثَّناء.

محمد سواعي

شارلوتسفيل (فرجينيا)

آذار (مارس) ١٩٩٨

تَوْطِئَة

يُدرِكُ قارىءُ كتاب عبدالرحمن الجَبَرْتي (١٧٥٣/ ١٧٥٤ - ١٨٢٤ م) «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» شعورَ المؤلِّف بالفجْوَة الكبيرة بين العلوم التقليدية المُتَوارثَة، والسائدَة في المساجِد في زمنه آنذاك، وبين العلوم الغربية التي أوْرَدَها إلى مصر العلماءُ الفرنسيّون الذين رافقوا جيشَ نابليون أثناءَ حملته على مصر وبلاد الشام (١٧٩٨ - ١٨٠١ م)، والتي تَعَرَّفَها الجبرتي من خلال اتّصاله ببعض هؤلاء العلماء [1] . كذلك نتعرَّف - من وَصْف الجبرتي لهاتَيْن الحالتَيْن - محاولةَ الجبرتي التعبير عن العلوم الغربية والمُسْتَحدثات الحضاريَّة بمفردات استنبَطَها الكاتب وليدةً في ذلك الوقت، ومُعَبِّرةً عن درجة المعاناة التي شعَرَبها لاستنباط المُصطلَح المناسب لوصف هذه الأشياء [2] .

وبعد وفاة الجبرتي بسنواتٍ لا تزيد عن العَشْر، والمحاولة لاستنباط مفرداتٍ جديدةٍ لوصف وضْعٍ جديدٍ آنذاك، نُدرِك مَدَى المُعاناة اللغوية التي خَبِرَها رفاعة رافع الطهطاوي أثناء كتابة «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» [3]. وحاولَ الطهطاوي في هذا الكتاب القيِّم وَصْفَ

---

١) انظر الجبرتي، «عجائب الآثار» (٤)، ص ٣٥١، يوميّات (واستهلَّ شهر جمادى الثانية بيوم السبت ١٢١٣ هـ)، حيث يقول الجبرتي عن بعض الحِيَل العلميَّة التي أبرزَها العلماء الفرنسيون أنَّ هذه النتائج «. . . لا يسعها عقول أمثالنا . . .».

٢) انظر بشكل خاصّ وصفَ الجبرتي في «عجائب الآثار» (٤)، ص ٣٤٧، يوميَّات (واستهلّ شهر جمادى الثانية بيوم السبت ١٢١٣ هـ)، لـ«الآلات القريبة المأخذ السهلة التناول المساعدة في العمل، وقلّة الكلفة» التي استعملها الفرنسيون «في الأشغال» ولتحقيق «سرعة العمل»؛ وكذلك «عجائب الآثار» (٤)، ص ٣٤٩-٣٥٠؛ «الآلات الفلكية الغريبة المتقنة الصنعة وآلات الارتفاعات البديعة العجيبة التركيب . . .»؛ والـ«تنانير [جمع تنّور] وكوانين لتقطير المياه والأدهان . . . وبيت «الصناعة الحكمة والطب الكيماوي وبنوا فيه تنانير مهندمة وآلات تقاطير عجيبة الوضع وآلات تصاعيد الأرواح [من رائحة] . . .».

٣) طُبِع «تخليص الإبريز» في مطبعة بولاق أوّلَ مرّةً عام ١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٤-١٨٣٥ م.

«المؤسَّسات» الپاريسية خاصةً، والفرنسيّة عامةً من مثل نظام المكتبات، والمدارس والكليّات، والجامعات، والمسرح، والمتاحف، ونُظُم الحكومة، إلخ، وذلك باستخدام مفردات وَرَدَت في العربيَّة للمرَّة الأولى، سواء عن طريق تعريب الأسماء الفرنسيَّة لهذه المؤسَّسات، أو عن طريق استعمال المُفردَة العربية الأصيلة بمعنىً جديدٍ أضفاه عليها الطهطاوي للتعبير عنها. ونقرأُ في كتاب «تخليص» إشاراتٍ كثيرةً إلى صعُوبة صياغة المُفرَدَة العربية المُناسِبَة لوَصْف مُؤسَّسات غربيَّة طارئة على ذهْن القارىء العربي وعيْنِه.

وتَزْدادُ حِدَّةُ المعاناة اللغوية من حيْث توفُّر المصطلح لَدَى المترجمين الذين عملوا في ترجمة العلوم الغربية بشكلٍ أوْفَر في المدارس، والمعاهد التي أسَّسها محمد علي، والي مصر من ١٨٠٥ - ١٨٤٨ م، إذْ كانت تُدَرَّس فيها العلومُ الغربيةُ من طِبٍّ وهندسة، وبيْطرة، وتمريض، وزراعة، وعلوم عسكرية، وغير ذلك على نَمَط المدارس والمعاهد الأوروبيَّة في تلك الحقبة. وكما هو معروف، فلغة التعليم في هذه المدارس والمعاهد كانت الفرنسية على يَدِ أوروبيّين يُعلّمون بهذه اللغة ويُصاحِبُهم مُترجمون ينقلون هذه العلوم بلغة الطلاب، أي العربية. ويبحَثُ الفصل الرابع من هذا الكتاب مَدَى الصعُّوبة التي واجَهَها المُترجمون لاستنباط المفردَة العربية المناسبة لنَقْل هذه العلوم إلى اللغة العربية.

هذه الحال هي ما يُشير إليْه عنوانُ هذا الكتاب وما اصْطَلَحْنا عليه «أزْمَة المُصْطَلَح العربي في القرن التاسع عشر». وكانت تلك الفترةُ الزمنيَّةُ مرحلَةَ نهضةٍ حضارية ونُمُوٍّ لغويٍّ واجَهَت بها بعضُ البلاد العربية هجمةً أجنبيَّة استعماريّة نتَجَ بسببِها تغييراتٌ كثيرةٌ في حيوات تلك البلاد. وواجَهَت اللغةُ العربيةُ، نتيجةَ ذلك، فترةً عصيبَةً لنَقْل العلوم الغربية باستعمال مُصطلحاتٍ علميَّة مُناسِبَة بعضها ما كان مُتوفِّراً ممّا اضْطرَّ أبناءَ اللغة للعمل الدؤوب على تذليل هذه الصعُّوبات، وتوفير المفردات والمصطلحات المناسبة.

وإذا أمْعَنّا النظرَ في تطوُّر المُصطلَح اللغوي في مَراحِلَ زمنيّةٍ مُختلفة من تاريخ اللغة العربية، وجَدْنا أنَّ استنباطَ هذه المُصطلحات كان يرتْبِط دائماً مع حالةٍ جديدةٍ في حياة العرب الحضاريّة ممّا كان يستدعي الاسراعَ لتوفير المُصطلَح المُناسِب للتعبير عن هذه الحالة. وعلى الأقلّ في مرحلتَيْن هامتَيْن من تاريخ العرب حضارياً ولغويّاً، نَرَى الدَّوْرَ الهامَّ الذي أدّاه المُترجمونَ

لنَقْل العلوم الطارئة على المجتمع العربي من اللغات الأصيلة التي كُتِبَت بها هذه العلوم، أو نُقِلَت إليها عن طريق الترجمة. وكانت المرحلةُ الأولى في عصر الازدهار العلميّ في العصور العبّاسيّة الأولى ما بين القرن التاسع والحادي عشر للميلاد، إذْ نَشِط المترجمون في تلك الأزمان - على درجاتٍ مختلفة - في نقل العلوم اليونانيّة، والهنديّة، والفارسية من هذه اللغات، أو من السِّريانيّة كلغةٍ وسيطةٍ، إلى اللغة العربية. وكانت المرحلةُ الثانيةُ هي مرحلةَ القرن التاسع عشر، ومركزَ اهتمامنا في هذا الكتاب. وعلى سبيل المُقارنَة، ومن أجلِ تِبيان أوْجه الشَّبَه في المُعاناة التي كابَدَها المترجِمون في استنباط المُصطلَح العلمي في هذه العصور بَسَطْنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب التجربةَ التي خبَرَها العلماء، والأطبّاءُ، والفلاسفةُ لإيجاد المُصطلَح العِلميّ للعلوم الطارئة على العرب آنئذٍ.

ومرَّ إغناءُ العربية بالمصطلَح الجديد - بِلا شَكّ - في مراحلَ أخرى بالإضافة إلى مَرْحلتَيْ الترجمة في العصور العبّاسيّة، وفي القرن التاسعَ عشرَ. وكانت إحدَى هذه المراحل هي مرحلة التوسُّع الطارئ نتيجة الفتوحات العربية، وإخضاع بلادٍ مختلفة ذات لغاتٍ عديدةٍ لحكم العرب، وبالتالي انتصار العربية على بعض هذه اللغات، عن طريق تعريب دواوين الدولة الجديدة كما حدَثَ في العراق، وبلاد الشام، ومصر، وبلاد شمال إفريقية. وسنَعرِض لهذا الوضع في الفصل الأوّل من هذا الكتاب كمقدِّمةٍ تاريخيّةٍ لحركتَيْ الترجمة والتعريب اللتَيْن وفّرَتا للعربية العديدَ من المُصطلحات العلميّة الجديدة.

وإذا عُدْنا إلى موضوع دراستنا في هذا الكتاب عن أزمة المصطلح العربي في القرن التاسع عشرَ نَجِدُ أنَّ المدارسَ والمعاهدَ التي درَّست العلومَ الغربيةَ في البلاد العربية ازدهرَت أوّلاً في مصر بعد تولّي محمد علي الحكمَ هناك. ولِدَوْر مصر الرِّيادي في هذا المجال بالمقارنة مع بعض البلاد العربية الأخرى، فإنَّ هذه الحالَ قادتنا إلى التركيز على بحث دَوْر هذه المعاهد والمدارس في إغناء اللغة العربية على مُستوى المُصطلحات العلميَّة التي استَنْبَطَها المُترجمون في القرن التاسع عشر في مصر. ولا يَغْرُب عن البال أنَّ بلادَ العرب في ذلك الوقت كانت مفتوحةَ الحدود دون التقسيمات التي فَرَضَ الغربُ بعضَها في القرن التاسعَ عشرَ (استعمار الجزائر، وتونس، ومصر مثلاً)، وتَرَسَّخَت في الرُّبع الأوّل من القرن العشرين، والتي ما زالت سائدةً الآن. ولأنَّ الحدودَ

ما كانت قائمةً قبل التقسيمات هذه، كان الانتقالُ من بلدٍ لآخَر سهلاً ميُسَّراً. فنَجِدُ - مثلاً - أنَّ كثيراً من المترجمين الأوائل في المدارس، والمعاهد تحت إدارة محمد علي وأتباعه في مصر كانوا من «الشُّوام» المهاجرين إلى ذلك البلد إمّا طلباً للحريَّة الفكريَّة أو الفرديَّة، وإمّا للبحث عن فُرَص عملٍ إذ كانت مصر تَمُرُّ آنذاك في مرحلة تطوُّرٍ يفوق ما كان يحدث في البلاد العربية الأخرى. ولا بُدَّ أنْ نذكر أنَّ هذا الكتابَ مُحَدَّدٌ لا يتَّسع لدراسة حال كلِّ بلد عربي، أو كل منطقة عربية، إذ لا بُدَّ من التركيز على بَلَدٍ دون بلادٍ أُخْرَى. وأَمَلُنا - بالطَّبْع - أنْ يُتابعَ هذا البحثَ باحثون آخرون يدرسون أزمةَ المصطلح اللغوي في اللغة العربية في بلاد عربية لم تتطرَّق إليها هذه الدراسة، وذلك لإكمال دراسة تلك الحقبة الزمنية الهامَّة في تاريخ اللغة العربية.

ويَرْتَبِط باختيار دَوْر مصر الريادي في دراستنا هذه تركيزُنا في الفصلَيْن الخامس والسادس على عَلَمَيْن هامَّيْن من أعلام الفكر العربي في القرن التاسع عشر هما (أحمد) فارس الشدياق (١٨٠١/ ١٨٠٤ ؟- ١٨٨٧ م)، ورفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١/ ١٨٠٢-١٨٧٣ م). فالباحثُ المتخصِّص يُعرف دورَ هذيْن العلَمَيْن، وريادتَهما في إثراء اللغة العربية عن طريق كتاباتهما اللغوية، وغير اللغوية. وأمَلُنا أنْ نواصلَ هذه الدراسة في كتابٍ تالٍ نُتابع فيه بتعمُّقٍ دراسةَ جوانبَ لغويةٍ من حياة (أحمد) فارس الشدياق، ورفاعة رافع الطهطاوي مُجتَمعَيْن، أو مُنفَرِدَيْن.

ومن المُسَلَّم به أنَّ هناك أعلاماً آخرين بنفس درجة العَلَمَيْن اللذَيْن ركَّزتُ عليهما في هذا الكتاب، ويجبُ ألاَّ نُغفِلَ ما قدّموه لخدمة اللغة العربية. ويجْدُر بالباحث أنْ يتقَصّى أدوارَهم، وأنْ يُمحِّصَها لإبراز أهميّتِهم في إغناء المُصطلَح العربي، ولِسَبْر مَدَى عطائهم في هذا الميْدان. وللتقييدات العديدة والمختلفة التي تُلازِم الباحث أحياناً، فإنَّ أيَّ باحثٍ مُضطرٌّ أنْ يقْصرَ بحثَه سواء من ناحية الأشخاص، أو الأماكن، أو الحقَب.

وفي عالمنا المُعاصر تَقْصُرُ المسافات بشكلٍ متُسارعٍ يفوق الخيال، وذلك عن طريق وسائل الاتصال الحديثة، والتقنيَّة المُتقدِّمة في هذا الميدان. والعرب ما زالوا على اتصالٍ دائمٍ ووطيدٍ بالغرب. وفي رأيْنا سيَسْتَمِرُّ الحالُ كذلك في مُستَقبَل الأيام. وسيَبْقَى العربُ بحاجةٍ ماسَّةٍ لاستنباط المُصطلحات العديدة المُعَبِّرة عن المُسَمَّيات، والاختراعات التي تَرِدُ تِباعاً، وبشكلٍ متُواصِلٍ من الغرب المُتَقَدِّم تَقَنِياً، وعِلمياً، وصناعياً. فقضيَّة المُصطلَح التي واجهتها اللغة العربية

على مرِّ العصور، بَدْءاً بحركة الترجمة والازدهار العلمي أثناء حكم الخلفاء العبّاسيين كأبي جعفر المنصور، وهارون الرشيد، والمأمون وغيرهم، ومُروراً بفترة المدارس، والمعاهد العلمية الحديثة في القرن التاسع عشر، ما زالت ماثلةً أمام المجامع اللغوية العربية، ودوائر المُثقفين العرب، والجامعات والمؤسّسات العلميَّة، والحكومية على اختلاف أنواعها. وهذه القضيّة جديرةٌ بالدراسة والتقصّي لذاتها وبذاتها، كما أنّها هامَّةٌ من ناحية دراسة اللغة العربية تاريخياً، ومن ناحية تطوُّر المفردَة العربية، والمعاجم العربية وتأريخها، ودورْها في الفِكْر العربي. فإن كانت تجربةُ الماضي ناجعةً، فلا بُدَّ أنْ يكون لهذه التجربة دَوْرٌ في إلقاء بعض الضوء على التطورات المُستَقْبِليَّة للمُصطلح العربي. كما أنَّ هذه الحالَ اللغويَّة بما تشتمل عليه من تَوتُّر وأزمات تُوضِّح لنا ما يحدُثُ نتيجة احتكاك الأُمَم بعضها ببعض حَضارياً، وما ينْجُم عنه من تأثيرٍ لُغَوِي خاصَّةً.

الفصل الأوَّل

الوَضْع اللغوي قبل الفتح الإسلامي وأَثَر التعريب والترجمة بعد الفتح

لعلَّ من المُفيد أنْ نُلقي نَظرةً - ولَوْ خاطفةً - على الحالة اللغوية في بلاد الشام، ومصر في الفترة السابقة للفتح العربي الإسلامي، وأنْ نتعرَّفَ اللغاتِ التي كانت تُستعمَل في هذه البلاد لنُكَوِّن صورةً واضحةً عن الشعوب المُختلفة التي سكنت هذه المناطق، وحتَّى تَتجلي الصورةُ التاريخيةُ لهذه الفترة قُبَيْل الفتح العربي الإسلامي بشكلٍ أفضل، خاصَّةً من الناحية اللغوية. ومعرفةُ الوضع اللغوي في هذه الحقبة التاريخية تُشكِّل توطئةً لفَهْمٍ أعمقَ للنُّقْلة اللغوية التي طرأت بيْن هذه الشعوب بعد الفتح العربي الإسلامي. وفي رأينا، أنَّ التغيّراتِ في مجتمعٍ ما، مثل التغيُّر الإجتماعيّ، أو السياسيّ، أو الدينيّ، أو الحضاريّ، لا تَحدُثُ فَجأةً، وبشكلٍ طارىءٍ إثْرَ تَعَرُّض هذا المجتمع لغزْوٍ خارجي. بل يَتِمُّ مثلُ هذا التغيُّر في المجتمع، والنُّقلات فيه من جَوانِبه المختلفة تدريجياً، بعدَ مُرُور فَترةٍ زمنيَّةٍ، قد تطول وقد تقصُر، حيْثُ يخضَع هذا التغيُّر لعواملَ كثيرةٍ، ومُختلفَةٍ.

حتَّى نفهمَ ما حدَثَ من الناحية اللغوية في مجتمعات بلاد الشام ومصر بعد الفتح العربي الإسلامي أرَى لزاماً علينا أنْ نتعرَّفَ - من كثبٍ - اللغاتِ التي كانت سائدةَ الاستعمال في هذه المناطق؛ وأنْ تبقَى مَداركُنا مفتوحةً لاحتمالات التغيّر في اللغات، وتأثير إحداها في الأُخرَى، تماماً كما يَحدُثُ في عادات الناس، ومَشاربهم، وأديانهم، ووَلاءاتهم السياسية، وأحوالهم الاقتصادية، والاجتماعية إثْرَ غزْوٍ خارجيٍ، أوْ احتكاكٍ مع حضارةٍ أُخرَى خارجَ نِطاق حضارتهم.

لمعرفة الوضع اللغوي في بلاد الشام، ومصر قبل الفتح الإسلامي قد تُساعدنا تقاريرُ زُوّار الأراضي المقدسة عبْرَ فترات زمنيّةٍ عديدة تَمْتدُّ ما بين نهاية القرن الرابع والقرْن السادس للميلاد. ومن هؤلاء الزُّوّار حاجّةٌ إسبانيّةُ الأصْل كانت تُعْرَف بـ «اغيرْيا» (Egeria) أو «اثيريا» (Aetheria). وكانت تلك الحاجّةُ قد زارت الأراضي المُقدَّسةَ[١] خلال الفترة المذكورة، وكتَبَت مُذكّراتٍ عن رحلتها، وذَكَرَت أنَّ قسْماً من السُّكّان في إيليا (Aelia) (القدس)[٢] كان يَعْرِف اليونانيةَ، والسريانيةَ، وقسماً آخرَ كان يعرف اليونانيةَ فقط، وقسماً ثالثاً كان يعرف السريانية فقط. وتُضيفُ اغيريا في مُذكّراتها أنّه على الرّغم من احتمال معرفة الأسقفَ للسّريانية إلاّ أنّه كان يتكلّم دائماً باليونانية، ولا يستعملُ السريانيةَ أبداً. ولهذا السبب، كان أَحَدُ القُسُسِ يتَرْجِم كلامَ الأسْقُف من اليونانية إلى السريانية لعامّةِ الناس. ولأنَّ النصوصَ الطقْسيَّةَ المقروءةَ وَجَبَ أنْ تكون باليونانية فإنّه كان هناك دائماً شخْصٌ يُتَرْجِم تلكَ النُّصوصَ إلى السريانية لعامّة الناس حتّى يفهموها. أمّا مُتكلّمو اللاتينية الذين لم يكونوا يعرفون السريانية، أو اليونانية فكان يُفَسَّر لهم كلُّ شيءٍ باللاتينية من قِبَل رُهبانٍ وراهباتٍ ماهرين في كلتا اللغتَيْن[٣].

وفي مصر كانت لغةُ الشعب العامّةَ القِبْطِيَّةَ. أمّا اللغةُ اليونانية فكانت لغةَ الصَّفْوَة، حيث لم يفهمْ كثيرٌ من المصريين الأوامرَ الرسمية المكتوبة باللغة اليونانية. ولم يَكُنْ أقباطُ مصر

١) يذكُر بركت (C.F. Burkitt, 1923, *JTS*, vol. XXIV, p. 417) أنَّ زيارةَ «اغيرْيا» (Egeria) للقُدْس كانت ما بين ٣٨٣-٣٨٥ م، مُعْتَمِداً في ذلك على مقالة أنطون بُومْشْتارك A. Baumstark التي ظهرت سنة ١٩١١ م في *Oriens Christianus* (i), p. 32-76

٢) إيليا Aelia Capitolina هو الإسم الذي أطلقه الرُّومان على مدينة القدس (مدينة بيت المقدس) بعد أنْ أمَرَ هيدْريان Hadrian سنة ١٣٥ م بإعادة بناء المدينة مدينةً رومانيةً إثْرَ تدميرها بعد ثورة بار كوخبه اليهودي. واستعمل العربُ اسم إيلْيَاء وبقيَ هذا الاسم متُداولاً حتى الفتح العربي الإسلامي. وأوْرَد ياقوت الحموي طُرُقَ لفْظٍ أُخرى لهذا الاسم.

للمزيد انظر البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ١٨٨-١٨٩؛ وياقوت الحموي، «معْجم البلدان»، ج ١، ص ٢٩٣-٢٩٤.

٣) انظر Gingras (tr.), 1970, *Egeria*, p. 125-126

عامةً، بمن فيهم طبقة القساوسة، يألَفُون اللغةَ اليونانية في حُدود القرن الرابع للميلاد. وليْس من المُستغرَب أنْ يكتبَ الأسقُف «إبراهيم الأرمَنْتي» ٤ وَصِيَّتَه حوالي ٦٠٠ م باللغة القبطيّة ٥. وبعْد الفتح الإسلامي استمرَّ استعمالُ اليونانية، أوْ غيرها، في الدوائر الحكومية أولاً، ولكن بَدَأَ استعمالُ اللغة العربية يدخل تدريجياً في أجهزة الدولة ٦، حتى تَمَّت لها الغلبةُ في النهاية كما سنَرى فيما بعد.

أمّا في المراكزِ العلميّةِ في الاسكندريّة، وأنطاكية، والرُّها، ونَصيبين، وجُنْديْسابور [سابور] (جنوب غرب إيران اليوم) فكانت اللغةُ اليونانية سائدةَ الاستعمال في هذه المراكز وبين النخْبَة من العلماء والحُكّام، حيْث كان انتشارُها وثيقَ الصلّة بانشاء المدارس الهيلنيّة في المدن السورية مثل أنطاكية، ونصيبين. وقد أُسِّسَت المدرستان في هاتَيْن المدينتَيْن في سنَتَيْ ٢٧٠ م، و٣٢٠ م على التوالي. كما كانَ انتشارُ اليونانيّة وثيقَ الصلّة بإدخالِ تعليم الفلسفة اليونانية في هذه المدارس ٧. وما كان انتشارُ العلوم، والفلسفة اليونانية ليَقومَ في جُنْديْسابور الواقعةَ ضِمْن النفوذ الفارسي، لَوْلا تشجيعُ الامبراطور خُسْرو [كِسرى] أنوشِرْوان (٥٣١-٥٨٧ م) للفلاسفة اليونانيين الذين فَقَدوا وَظائفَهَم نتيجةَ حَلِّ المدرسة الأثينيّة (أكاديمية أثينا) عام ٥٢٩ م على يَد الإمبراطور جَسْتِنْيان. وكذلك، لولا تأسيسهُ مدرسةَ الطبِّ والفلسفة في جُنْديْسابور نحوَ ٥٥٥ م، مركز التقاء التقاليد الهندية واليونانية. وعلى الرَّغم منْ أنَّ اللغةَ اليونانيةَ كانت لغَةَ التعليم في المدارس في هذه المدن والمناطق الآنِفة الذِّكر، فإنَّ اللغةَ السِّريانيَّة بَدأَت تدريجياً تَحلُّ

---

٤) نسبة إلى «أرْمَنْت» أو «أرمانْت» (Hermonthis) مدينة في جنوب مصر في مقاطعة قِنا بالصعيد تبعَد حوالي ثمانية أميال جنوب غرب الأقصر على شاطيءالنيل الغربي.
انظر لفظَ اسم مدينة «ارمنت»، ووَصْفَها في أبي الفداء، «تقويم البلدان»، ص ١٠٠-١١١.

٥) Mitteis & Wilcken, 1912, *Grundzüge und Chrestommathie*, vol. I, p. 87-91

٦) انظر نُصوص أوراق البَرْدي الثُّنائيَّة اللغة (العربية واليونانية) في المُجلَّد الأولَّ من المجلدات الأربعة التي نشرها غرُومان Adolf Grohmann في السنوات ١٩٣٤-١٩٥٢ م. ونَجِد أحياناً في هذا المؤلَّف نُصوصاً ثُلاثيَّة اللغة: اليونانية، والقِبْطيَّة، والعربية.

٧) انظر Georr, 1948, *Les Categories*, p. 10

مَحَلَّ اليونانية في بلاد المَشْرِق. فعلى سبيل المثال، اعتمدَت العلومُ في مدرسة جُنْدَيْسابور التي أسَّسها أنوشروان التقليدَ اليونانيَّ ولكن كانت الآرامية لغةَ التعليم في هذه المدرسة [٨].

وهناك دلائلُ على الاتّصال بين اليونان والعرب قبل الإسلام في مَناحٍ عديدة، منها الاتّصال اللغويّ وذلك عن طريق التجارة حيث امتزجَ التُّجّارُ الذين كانوا يعرفون العربية بأولئك الذين كانوا يعرفون اليونانية، وذلك عن طريق الغساسنة في بلاد الشام، حيث كانت تَمُرُّ قوافل التجارة بهذه المناطق. وليس من المُستَبْعَد أنْ ينْتج – عن طريق الاتّصال التجاري المُشار إليه هنا – اتّصالٌ لُغَويّ، وأنْ تؤثّرَ اليونانيةُ، لغةُ الحضارةِ آنذاك، على العربية، وبخاصةً إذا أخَذْنا بعيْن الاعتبار أنَّ بعضَ المدن السورية مثل تدْمُر كانت حلقةَ الوَصْل، حيث ازْدَهَر في هذه المدينة مجتمعٌ تجاريٌّ، وعسكريٌّ. وعلى الرَّغْم من أنَّ التدمريين كانوا عرباً بِدَلالة أسمائِهم العربية، وأنَّ كثيراً من الكلمات العربية كانت تَرِدُ في كلامهم، إلاّ أنَّ اللغةَ المُسْتَعملةَ في تدْمُر كانت إحدى اللهجات الغربية من الآرامية، اللغةِ الرسميةِ في الشرق، حيث نُقِشَت بعضُ كتاباتهم بالحروف الآرامية [٩]. وبالإضافة إلى استعمال اللغة اليونانية في أوْساط نخبة التدمريين [١٠] إذ كانت الألفاظُ الإداريةُ اليونانية هي السائدة تحت حُكم الرومان، من المعقول الافتراضُ أنَّ التدمريين، أوْ بعضَهم على الأقلّ، كانوا يتعلّمون شيئاً من اللاتينية، لغةِ الجيش الروماني، الذي حوَى بعضَ التدمريين في قِطاعاته المختلفة. كما نَسْتَدِلُّ على ذلك من بعض النُّقوش التي كانت في العادة باليونانية، والآراميّة بِشكلها النَّبَطِيّ. ولكن نتيجة التأثير الروماني تَبَنَّى كثيرٌ منهم

---

٨) علّمَ جورجيس بن بَخْتيشوع (ت نحو ٧٧١ م) في مدرسة جُنْدَيسابور، ورأَسَها – في فترةٍ من الفترات – حيْث أصبَح فيما بعد طبيبَ المنصور، ورَأَسَ سلالةً من أطبّاء الخلفاء العبّاسيين استمرّت نحوَ قرْنَيْن ونصف. انظر Hitti, 1940, *History of the Arabs*, p. 309

من الجدير بالذكر أنَّ الإشارات إلى كُتُب فيليب حتّي في هذا الكتاب اعتمدت النُّسخَ الإنكليزية، مع إدراكنا أنَّ الكثيرَ من مؤلّفات حتّي باللغة الإنكليزية تُرجِمَ إلى اللغة العربية. ولم تكن الترجمات العربية متوفّرةً في مكتبة جامعتنا في ڤرجينيا.

٩) انظر Shahid, 1984, *Byzantium: and the Arabs in the Fourth Century*, p. 21

١٠) انظر Cooke, 1903, *A Text Book: on North-Semitic*, p. 264-265

أسماءً لاتينية بالإضافة إلى الأسماء الآرامية ١١ . فمثلاً، ورَدَ الاسم العربي الحارث، كَما في «الحارث بن جبلة الغسّاني» (Aretas) ١٢ ، و«عُبيدَة» (Obedianus) ١٣ ، و«أُذَيْنَة» (Odaenathus) ١٤ .

---

١١) انظر Cooke, 1903, *Ibid.*, p. 265

يلزمُنا أنْ نوردَ تفسيراً للفظ «النبطيَّة» ، وذلك للغموض الذي يكتنف هذه المُفرَدَة. ورَدَ في ابن النديم، «الفهرست» ، ص ١٢ « . . . أنَّ الله تبارك وتعالى خاطَب آدم باللسان النبطي وهو أفصح من اللسان السرياني وبه كان يتكلم أهل بابل . . . » . ويضيف ابن النديم أنَّ هذه اللغة بقيت على حالها في بابل بعد تَفَرُّق الأمَم إلى أصقاعٍ مختلفة كما ورَدَ في القصة التوْراتِية المشهورة حول بُرْج بابِل. ونفهم من إضافة ابن النديم أنَّ هناك لغةً أُخرى تُسَمّى «نبطية» يستعملها أهلُ القُرَى، دون تحديدٍ لمناطق هذه «القرى»، وأنَّ هذا اللسان « . . . فهو سرياني مكسور غير مستقيم اللفظ . . . » .

وهناك إشاراتٌ في الجاحظ، «البيان والتبيين» ، (ج ٢ ، ص ١٠٦) حول «النبط» وحذلقتهم، و«صلفهم» ، وصفاتٍ أُخرَى. ويفُهَم مِمّا ورَدَ في «البيان والتبيين» ، (ج ٢ ، ص ١٤٨) أنَّ هويّة «النبط» تختلف عن العرب : « . . . أعرب أنتم أم نبط؟ قال عرب استنبطنا، ونبط استعربنا . . . » .

وورَدَ في «لسان العرب» ، مادَّة «نبط» « . . . والنبيط والنبط . . . جيل ينزلون السواد . . . » ، دون أنْ يُحَدِّدَ ابن منظور المكانَ. كما ورَدَ في «الصّحاح» ، مادَّة «نبط» « . . . والنبط والنبيط : قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين . . . » .

ونستطيع أنْ نُدْرِكَ مِمّا سبَق مَدَى الاختلاف حول هذه الكلمة. فقد أوردَ المسعودي في «مروج الذهب» (ج ١ ، ص ٢٠٧) النِّزاع حول التفريق بين «النبط والسريان» . وفي إشارةٍ أُخرى، يذكر المسعودي، (المصدر نفسه، ج ١ ، ص ٢١٥) ملوكَ بابل الذين هم ملوك النبط .

وادَّعى كاترْمير M. Quatremère (١٨٣٥) أنَّ النَّبَطَ كانوا آراميّين، ولعلَّهم عربٌ استعملوا اللهجةَ الآرامية الغربية. ومن النَّبَط مجموعةٌ أُخرَى من أُصولٍ آرامية، وكانوا يتكلّمون اللهجةَ الآرامية الشرقية القريبة من اللغة المِنداثيَّة، التي انحدرَت منها اللغة السريانية، التي كُتِبَ بها كتاب «الفلاحة النبطيّة» ، أيْ «السريانية القديمة» كما ذَكَرَ ابن الوحشية، مُتَرْجِم الكتاب. والعرب يفُرِّقون بين نَبَط الشام، ونَبَط العراق .

للمزيد انظر المراجع المُشار اليها في هذا الهامش، وكذلك المقالتَيْن في *EI²*, Vol VII, p. 834-838 مادَّة «نَبَط» .

١٢) انظر Shahid, 1984, *op. cit.*, p. 81n, 158n, *passim*

١٣) انظر Shahid, 1984, *Ibid.*, p. 142n, 145n, *passim*

١٤) انظر Shahid, 1984, *Ibid.*, p. 12, 13, *passim*

أما مُجتمَعُ الأنباط في مناطق نُفوذهم التي امتدَّت من مَدائن صالِح (الحِجْر) في شمال الجزيرة العربية إلى بُصْرَى في حوران في جنوب سورية، وأجزاءٍ من جنوب فلسطين [١٥] فقد كان، من الناحية اللغوية، يمتاز بتعدُّد اللغات المُستَعْمَلَة إلى درجاتٍ مختلفةٍ بين القطاعات المختلفة من السُكّان، شأنُه في ذلك شأن المجتمع التَّدمُريّ. فكانت الطبقةُ الحاكمةُ، وربَّما طبقةُ التُّجّار، أو على الأقلّ بعض أفرادِ هاتَيْن الطبقتَيْن، تتَمتَّعانِ بمعرفةِ عدّةِ لغاتٍ في نفس الوقت بِحُكْم عَمَلِهما وتَنَقُّلِهما في البلاد المختلفة.

ونَسْتَدِلُّ على هذا الوَضْع اللغوي من النقوش التي خَلَّفَها لنا الأنباط، والتدمريون في مناطقِ نُفوذهم المختلفة. ولقد كانت هناك نقوشٌ أُحاديّةُ اللغة بالآرامية، أو العربيَّة. ونَذْكُرُ هنا نقْشَ النمّارة في شمال شرق جبَل حوْران (في جنوب سورية) المُسمَّى جبَل الدُّروز، [وحديثاً باسم جبل العرب]. وهذا النَّقشُ عربيُّ اللغة، مكتوبٌ بحُروفٍ آراميَّةٍ بشكلها النَبطيّ، قائم على قبْر امْرِئ القَيْس بن عَمْرو. ويُشيرُ النَّقشُ إلى وفاةِ صاحبِ القبر في السابع من كانون الأوّل (ديسمبر) عام ٣٢٨ م. ونَصُّ هذا النقش يُوَضِّح ظهورَ استعمال العربية (في الميادين العامّة) بَدَلاً من الاعتماد على اللهجات الآرامية المختلفة مثل اللهجة النَّبَطيَّة والتدْمُريَّة [١٦]. كذلك هناك نُقوشٌ ثُنائيّةُ اللغة. فنَقْشُ أُمّ الجمال (شمال الأردن حاليّاً)، مكتوبٌ بالآراميَّة واليونانية [١٧]، ونَقْشُ حَرّان في منطِقة حَوْرانِ في جنوب سورية في القرن السادس الميلادي مكتوبٌ بالعربية واليونانية. وهناك النَّقشُ الثُّنائيّ اللغة: اليونانية، والعربية الذي اكتشفه ڤِتْسْتَايْن (J. G. Wetzstein) في منطقة اللجاة إلى الجنوب الشرقي من دمشق في سورية، ويعودُ تاريخُهُ إلى السنة ٥٦٨ م وهو مكتوبٌ بحروفٍ كوفيّةٍ [١٨]. من ناحيةٍ أخرى، نَجِدُ أنّ

١٥) انظر Cantineau, 1930, *Le Nabatéen*, p. 1-5

١٦) انظر Shahid, 1984, *op. cit.*, p. 31, 47

١٧) انظر Cantineau, 1932, *op. cit.*, Vol. II, p. 23

وانظر أيضاً Bowersock, 1983, *Roman Arabia*, p. 133, fn. 44

١٨) انظر Nau, 1933, *Les arabes chrétiens* : 96

وانظر أيضاً Fleisch, 1947, *Introduction a étude*, p. 97

نقش زَبَد (في منطقة إلى الشرق من مدينة حلَب السورية) ثُلاثي اللغة : السريانية، واليونانية، والعربية في القرن السادس للميلاد [١٩]. ويَذكُر نَوْ Nau أنَّ نقش زَبَد، مثلاً، لم يكُنْ ثُلاثيَّ اللغة بالمعنى الدقيق لأنَّ جُزءاً من النَّص كُتِب باليونانية والسريانية في عام ٥١٢ م، وأُضيفَ إلى هذا النَّص في وقت متأخِّر - لا يُمكن تحديدهُ بالضَّبْط - أسماءُ خمسة أعلام جديدة بالعربية، وأربعةُ أسماءٍ باليونانية [٢٠]. إنَّ هذه النقوش تُظهِر واقعَ سورية اللغويِّ في بداية القرن السادس للميلاد. وهي كافيةٌ للتأكيد أنَّ مَسيحيي سورية العرب كانوا يستَعملون حُروفاً هجائيَّةً عربيةً قَبْلَ الفتح العربي الإسلامي [٢١].

وحديثاً نَشَرَ عرفان شهيد (Shahid 1984, 1989, 1995) دراسات مُنفَصِلَة ومُطَوَّلَةً عن العلاقات بين البيزنطيين والعرب في كل قرْن من القرون الثلاثة التي سَبَقَت انتشار الإسلام في بلاد الشام والعراق بَدْءاً بالقرن الرابع وانتهاءً بالقرن السادس للميلاد. وفَصَّل في هذه الدراسات علاقات عربِ الأحلاف *foederati* مع الدولة البيزنطيَّة خاصةً. ويُقدِّم هذا الباحثُ أدلَّةً عديدةً على انتشار العربية في بلاد الشام والعراق في زمن الدولة البيزنطيّة لوجود القبائل العربية تنوخ، وسليح، والغساسنة في هذه البلاد في القرون الثلاثة المُشار إليها آنفاً. ويعتمد في استدلالاته هذه على مصادرَ عديدة: يونانيَّة، ولاتينيَّة، وعربية، منها مصادر أدبيَّة (شعر النابغة، وحسّان)، وتاريخيَّة (أنساب هشام الكلبي)، ودينيَّة، ولُقًى أثريّة كأسماء المواقع، وشواهد القبور (مثل نقش أُسَيْس الواقع حوالي مئة وخمس كيلومتر إلى الجنوب الشرقي من دمشق وتاريخه ٥٢٨ م، ونقش دير هند ملكة اللَخْميِّين في الحِيرَة)، وغيرها من المُخلَّفات المكتوبة [٢٢].

---

١٩) انظر Jalabert & Mouterde, 1939, *Inscriptions Grecques*, vol. 2, p. 173-184

٢٠) انظر Nau, 1933, *op. cit.*, p. 97

٢١) انظر Jalabert & Mouterde, 1939, *op cit.*, p. 173-184

٢٢) حول «تنوخ» انظر

Shahid, 1984, *Byzantium and the Arabs in the Fourth Century*, p. 366-520 ،

وحول «سليح» انظر

Shahid, 1984, *Byzantium and the Arabs in the Fifth Century*, p. 242-251 ؛

وحول «الغساسنة» انظر

أمّا بَعْد الفتحِ الإسلامي فمنَ المُسَلَّم به أنّ اللغاتِ التي استَمَر استعمالُها في المناطق التي فَتَحَها العَرَب المُسلمون في القرن السابع للميلاد كانت لغات عامّة الشعوب في تلك المناطق، بالإضافة إلى اللغة الرّسمية للدَّوْلة التي كانت تلك المناطقُ خاضعةً لها. فقد كانت اللغات المستعملةُ لَدَى جُمْهور الناس في بلاد الشام هي اللهجات المختلفة من اللغة الآرامية كالسريانيّة، بالإضافة إلى اللغة اليونانيّة، التي كانت لغةَ الصَّفْوَة، والطبقة الحاكمة [٢٣]. وبَعْدَ الفتح الإسلامي، بَقِيَت السِّريانيّةُ لغةَ العامّة السائدةَ في بلاد المشرق، ولَوْ إلى حين؛ بلْ أصبحت هذه اللغةُ حلقةَ الوَصْلِ بين اللغة اليونانية، واللغة العربية حيثُ كان كثيرٌ من الترجمات يَتِمُّ من اليونانية إلى العربية عبْرَ اللغة السريانية كما سنَرَى فيما بَعْد. واستَمَرّ استعمالُ اللغة اليونانية لُغَةَ الإدارة، وفي سجلات الضرائب (الديوان) في دمشق، عاصمة الدولة الأُمَويَّة، حتّى تَوَلّى الخليفةُ الأمويُ عبدُالملك بن مروان مقاليدَ الحُكم ٦٦- ٨٦/ ٨٧ هـ (٦٨٥- ٧٠٤/ ٧٠٥ م)، فأمَرَ بتعريب لغة الدواوين، ولغة الإدارة سنة ٨١ هـ/ ٧٠٠ م [٢٤]. وهكذا، ونتيجةً لهذا القرار الحاسِم، أحلّ عبدالملك بن مروان أثناءَ خلافته، كما أحَلّ الخلفاءُ التابعُون له، مُوَظّفين عربا، يَستعملون العربية في تنظيم شؤون بيت المال، والمحاكم، والدوائر الحكومية الأخرى، مَحلّ الموظّفين النَّصارى العارفين اللغة اليونانية في بلاد الشام وغيرها.

= Shahid, 1984, *Byzantium and the Arabs in the Sxth Century, passim*

وحول نقش «أُسَيْس» انظر

Shahid, 1984, *Byzantium and the Arabs in the Sixth Century*, Part I, p. 117-124 ؛

والمُعجَم الجغرافي للقطر العربي السوري، المجلّد الثاني، ص ١٠٢.

وحول «دير هند» انظر Shahid, 1996, « The Authenticity of Islamic Poetry », p. 11

٢٣) استعمل المؤرِّخون المسلمون عبارةَ «الرومية».

انظر الجهشياري، «كتاب الوزراء والكتّاب»، ص ٤٠؛ والبلاذري، «فتوح البلدان»، ص ٤١.

٢٤) انظر البلاذري، المصدر نفسه، ص ٢٧١-٢٧٢؛ الجهشياري، المصدر نفسه، ص ٤٠؛ وابن النديم، المصدر السابق، ص ٢٤٢؛ وانظر أيضاً Hitti, 1940, *op. cit.*, p. 206 & 217

وفي العراق، والمناطق التابعة له حلّت العربيةُ مَحَلّ الفارسية الفهلوية، حيثُ بَدَأ الحجّاج ابن يوسف [٢٥] حملةَ التعريب هذه سنة ٧٨ هـ/ ٦٩٧ م. أمّا تعريبُ الدواوين في خراسان من الفارسية فقد تَمّ حوالَيْ سنة ١٢٤ هـ/ ٧٤١ م أثناء ولايةِ يوسف بن عمر في العراق ونَصْر بن سيّار في خُراسان [٢٦]. وتَمّ تدريجياً الشيءُ نفسُهُ في مصر حيث حلّت العربية مَحَلّ اللغة القِبْطِيَّة، أو اليونانية [٢٧] أثناءَ ولاية عبدالله بن عبدالملك بن مروان في الفترة ما بين سنة ٨٦ هـ إلى سنة ٩٠ هـ (٧٠٥ – ٧٠٨ م) حين عُزِلَ في هذه السنة [٢٨]. وبَقِيَت بعضُ المناصب الإدارية العُليا بعد الفتح الإسلامي بِيَد الموظَّفين الذين كانوا مُسْتَخدمين في الدولة البيزَنطيّة، إذْ دَخَل بعضُهُم الإسلام. وربّما كان بعضَ السبب في ذلك هروبُ كثيرٍ من البيزَنطيّين (الروم)، وعَدَمُ قَبُولهم الخضوع لحكم المسلمين ممّا أدّى إلى شُغُور مناصبَ عديدةٍ شَغَل بعضَها الأقباطُ. واستمرَّ استعمالُ الألقاب البيزَنطيّة تحتَ حُكم العرب إلى حين. ففي نهاية القرن السابع للميلاد كان القِبْط يستعملون كلمةَ «كارتولاريوس» (*chartularius*) لـ«السكرتير» أو «المُسجِّل»، و«إيبارخوس» (*eparchos*) لِـ«الرئيس الأعلى رُتْبَةً من المُسجِّل»، ولفظ «اوغستال» (*augustal*) لِـ«حاكم الاسكندرية». واستمرَّ استعمالُ لفظ «دوكس» (*dux*) حتّى القرن الثامن للميلاد حيث وُجِدَ مُستعمَلاً في بعض الوثائق الرسمية [٢٩].

وحَدَث تعريبُ الدواوين في المغرب كذلك أثناءَ فترة حُكم الخليفة الأمويّ عبدالملك بن مروان فقد أوْرَدَ ابن عبدالحكم أنّ حَسّانَ بن النعمان، الذي عيَّنَه عبدالملك بن مروان في سنة ٧٣

٢٥) انظر البلاذري، المصدر نفسه، (باب نقل ديوان الفارسية)، ص ٤٢١-٤٢٢؛ والجهشياري، المصدر نفسه، ص ٤٠؛ وابن النديم، المصدر نفسه، ص ٢٤٢ وانظر أيضاً Hitti, 1940, *op cit.*, p. 217

٢٦) يذكر الجهشياري (المصدر نفسه، ص ٦٧) أنّ يوسف بن عمر، والي العراق، مثلاً، أحَلّ موظفين مسلمين محلّ الكتّاب المجوس سنة ١٢٤ هـ.

٢٧) «العجمية» كما وَرَدَ في ابن عبدالحكم، «فتوح مصر»، ص ١٢٣؛ والسّيوطي، «حُسْن المُحاضَرَة» (١)، ص ٥٨٧؛ والكِنْدي، «تاريخ ولاة مصر»، ص ٥٢، ينُصّ على لفظ القِبطيّة.

٢٨) انظر ابن عبدالحكم، المصدر نفسه، ص ١٢٣ و١٣١.

٢٩) Butler, 1978, *The Arab Conquest*, p. 450-451

هـ/ ٦٩٢ م والياً على المغرب، «دوّن الدواوين» [٣٠]. ونفترِضُ من هذا القول أنّ «التدوينَ» هذا تَمَّ بالعربية.

فبالإضافة إلى تعْريب الدواوين، ولغة الإدارة، والحكْم، عرَّب عبدالملك العُمْلَةَ حوالي سنة ٧٤ هـ/ ٦٩٣ م، وصَكَّ نُقُوداً عليها كتابةٌ بالعربية وتَحْمِل آيات قرآنيةً بَدَلاً من الكتابة اليونانية، والرُّموز البيزنطية، أو الفارسية [٣١]. واستمرَّ تعريبُ الدواوين خلال عهود الخلفاء الأمويين بعد عبدالملك بن مروان [٣٢].

إنَّ دلائلَ بداية «ترسيخ أقدام» اللغة العربية في أجهزة الدولة العربية الإسلامية المختلفة في بلاد الشام ومصر بدأت تَظْهَر من خلال مؤسَّسات هذه الدولة المُتعدِّدة: استخدام اللغة العربية في دَواوين الدولة الجديدة، وسجِلّاتها، والمكاتبات الرسمية، وصَكّ النُّقود والعملات بالعربية. وصاحَبَ هذا الترسيخَ اللغوي المؤسَّساتي بُروزُ طبقةٍ جديدة، أيّ طبقة العلماء الذين بدؤوا من خلال اطّلاعهم على علوم غيرهم من مثل اليونان، والسِّرْيان، والفُرْس، والهنود يهتمّون بعلوم هذه الشعوب، والأخْذ بِلُبابها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. ولأنَّ العربيةَ بَدَأَت تَتَبوأُ مكانتَها الجديدةَ والبارزةَ منْ خِلال الدين الجديد، ومنْ خلال مؤسَّسات الدولة الغالبة، كان من الطبيعي أنْ تصبحَ هذه اللغةُ الوعاءَ الذي تَصُبُّ فيه المعارفُ من اللغات الأخرى كالسريانيّة، واليونانيّة، والفارسيّة، التي فَقَدَ أبناؤُها السيطرةَ في الميادين العسكرية، والسياسيّة، وفي الميادين الأخرى. وهذه الحالُ ساعدَت في تنشيط حركة الترجمة إلى اللغة العربية من لغات الأمم المقهورةِ عسكرياً، والمُتقدّمة علْمياً، وفَلْسفَياً في الوقت نفْسه. وسَنَرَى في الصفَحات التالية أثَرَ حركة الترجمة في إغناء اللغة العربية علمياً ولغوياً، لا سيَّما من ناحية المُصْطَلَحات والألفاظ العلْميَّة، التي هي مَحَلُّ اهتمامنا في هذا الكتاب.

---

٣٠) ابن عبدالحكم، المصدر السابق، ص ٢٠١.

٣١) البلاذري، المصدر السابق ص ٣٣٥-٣٣٦ و ٦٥٥-٦٥٦.

٣٢) للمزيد انظر الجهشياري، المصدر السابق ص ٦٧؛ وانظر أيضاً Hitti, 1940, *op cit.*, p. 217

منَ الجَدير بالذِّكْر أنَّ ترجمةَ المعارف اليونانية إلى اللغة السريانية لم تظْهَرْ قبلَ القرن الخامس للميلاد، أي قبْلَ الفتحِ العربيّ وظُهُور العرب حُكّاماً في بلاد الشام، والعراق، وفارس [٣٣]. أمّا ترْجَمَةُ المعارف اليونانية إلى العربية فربَّما بَدأت إبّانَ العصْرِ الأُمويّ. فابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨ هـ) يُورِد أنَّ معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٨٠ م)، مؤسِّسَ الدولة الأموية، استخدمَ الطبيبَ ابن أثال، و«أبا الحكم». كما أنّه يَذْكُرُ الطبيبَ تياذوق، الذي «كان له نوادرُ وألفاظٌ مُستحسَنَة»، إذ عَمِلَ عند الحجّاج بن يوسف في بداية العصر الأُمويّ، وعبدالملك بن أبجر الكناني، مُدرِّسَ الطبِّ في الإسكندرية، الذي نَقَلَ تدريسَ الطبِّ إلى أنطاكية وحرّان في زمن الخليفة الأُمويّ عمر بن عبدالعزيز [٣٤]. وليس من المُستَبعَد أنْ يكون لهؤلاء، أوْ غيرِهم مِمَّن لم يَرِدْ ذِكْرُهُم هنا، ترْجماتٌ تُعْتَبَر أوليّة باللغة العربية. ولكن لم يَصِلْ إلينا ذِكرُها. وإنْ صَحَّت روايةُ ابن النديم [٣٥] فإنَّ بدايةَ الترجمة من اليونانية والقِبْطيَّة إلى العربية كانت على يَدِ الفلاسفة اليونانيين المُقيمين في مصر والعارفين العربية والذين طَلَبَ منهم خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٨٥ هـ/ ٧٠٤ أو ٧٠٨ م) ترجمةَ بعض الكتب العلميَّة ككُتُب الطبِّ و«النُّجوم» [الفَلَك] والكيمياء إلى العربية [٣٦]. ونَعرفُ اسمَ واحدٍ من هؤلاء المتُرجمين وهو «اصطفن القديم» [٣٧]. ويُورِدُ ابن العبريّ أنَّ ماسرجويه

---

٣٣) انظر Georr, 1948, *op cit.*, p. 4-5 حيث يُورِدُ أنَّ المحاولةَ الأولى لكتابة النَّحْو السِّرياني كانت ترجمةَ كتاب نَحْوِ دَنِس التراقي (ديونيسوس ثْراكس) (Denys de Thrace) (من اتراقية أو اثراكيا) على يَدِ يوسف «الأهوازي» الذي ماتَ قبلَ ٥٨٠ م. ويذكر Peters, 1968, *Aristotle*, p. 57 أنَّ ترجمةَ ارسطوطاليس في الشرق بدأت حوالي ٤٥٠ م إلى السِّريانية وليس إلى العربية.

٣٤) ابن أبي أصيبعة، «طبقات الأطباء»، ص ١٧١-١٨١.

٣٥) ابن النديم، المصدر السابق ص ٢٤٢.

٣٦) للمزيد عن خالد بن يزيد بن معاوية انظر البلاذري، «أنساب الأشراف» (ج ٤، قسم ٢)، ص ٦٥-٧١.

٣٧) ابن النديم، المصدر السابق، ص ٢٤٤. ولعلَّ السَّبَبَ في استعمال لقب «القديم» المُضاف إلى «اصطفن» هو السَّبقُ التاريخي، إذ حَدَثَت الترجمة في العهد الأموي قبل الازدهار العبّاسيّ، وقبل ظهور مُترجمين آخرين باسم «اصطفن» في الفترة العبّاسيَّة. وسببٌ آخر لاستعمال هذا اللقب قد يكون للتمييز بين أكثر من مُترجمٍ يشتركون في نفس الاسم الذي ربَّما كان اسماً مُتداولاً في ذلك الوقت. وهناك إشاراتٌ أخرى لاسْم «اصطفن» في ابن النديم، ولـ«اسطفانس»، (المصدر نفسه، ص ٣٥٣) [وهذا الأخير من =

(Masarjawayh)، الذي لَمَعَ نجمُهُ في الأيام الأولَى للخليفة الأمَويّ مروان بن الحكم (٢- ٦٥ هـ/ ٦٢٣- ٦٨٥ م) ترْجَم عام ٦٤ هـ/ ٦٨٣ م رسالةً من السريانية إلى العربية عن الطبّ، كتبَها أصلاً باليونانية قسٌ مَسيحيٌ في الإسكندرية عُرِفَ باسم اهرن [٣٨]. ويَعتبرُ فيليب حتّي أنَّ هذا أولُ كتابٍ علميٍّ بلُغَة الإسلام [٣٩]. ويقول نلّينو [٤٠] إنَّه من المُحتَمَل أنْ يكونَ كتابُ «عَرْض مفتاح النجوم» المنسوب إلى هرمس Hermes [٤١] أولَ كتابٍ تُرْجِمَ من اللغة اليونانية إلى العربية، باستثناءِ كتُب الكيمياء [التي تُرْجِمَت لخالد بن يزيد بن معاوية كما ذُكِرَ آنفاً]. وقد وُجِدَت نُسخَةٌ منه ضِمْنَ مجموعةٍ مكوَّنةٍ من ألف وستمائة مخطوطةٍ اقتنَتْها مكتبة امبْروسيانا (Biblioteca Ambrosiana) في مدينة ميلانو في إيطاليا عامَ ١٩٠٩ م. وحسبَ رأي نلّينو، يُفْهَم من العبارة الختامية التي كُتِبَت في نهاية نسخة هذه المخطوطة، التي خُطَّت سنةَ ١٠٧١ هـ/ ١٦٦١ م، أنَّ الكتابَ تُرْجِمَ سنة ١٢٥ هـ/ ٧٤٢-٧٤٣ م، أيْ قبلَ سقُوط الدَّولة الأُمويّة بِسبْع سنوات.

ويُثيرُ بعضُ الباحثين كثيراً من التساؤلات حولَ صحّة رواية ابن النديم عن خالد بن يزيد ابن معاوية وترجمةِ العلوم العربية في تلك الحقبة الزمنية المبكّرة في تاريخ الترجمة العربية ويعتبرون

= «الفلاسفة الذين تكلمّوا في الصنعة»]، و«اصطفن الراهب»، المصدر نفسه، ص ٣٥٩. وربّما كان هؤلاء أشخاصاً مختلفين باسم «اصطفن»، إذ ذكَرَ غوستاف فلوجل Flügel، مُحقّق «الفهرست» في الهامش حول «اصطفن الراهب» الطبيب النصراني «اصطفن الأثيني» [من أثينا]، والطبيب والفيلسوف أو الكيماوي «اصطفن الاسكندري»، والطبيب «اصطفن الرهوي» [من الرّها]، والراهب «اصطفن الموصلي» [من الموصل]. انظر ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٩٥، الهامش ٤ على الصفحة ٣٥٩، حول «اصطفن الراهب»، وغيره.

٣٨) ابن العبريّ، «مختصر تاريخ الدول»، ص ١١١-١١٢.

للمزيد انظر القفطي، «تاريخ الحكماء»، ص ٣٢٤-٣٢٥؛ وابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص ٢٣٢-٢٣٤.

٣٩) Hitti, 1940, *op cit.*, p. 255

٤٠) نلّينو، ١٩١١، «علم الفلك»، ص ١٤٢-١٤٣.

٤١) انظر ابن النديم، المصدر السابق، ص ٢٦٧؛ والقفطي، المصدر السابق، ص ٣٤٦-٣٥٠ حول خُرافَة وُجُوده.

مثل هذه الأخبار أسطوريةً [٤٢]. إلاّ أنّ لمثل هذه المعلومات، على الرغم من الشكّ في صحّتها وكَونها أسطوريّةَ الفحوى ومُبالغاً فيها، أهميّةً إذ أنّها تدلّنا على منبع العلوم عند العرب، ألا وهُم اليونان.

ولما آلت الخلافةُ للعبّاسيين ١٣٢-٦٥٦/ ٦٥٧ هـ (٧٥٠-١٢٥٨ م)، واستقرّ مركزُ الحكْم في بغداد، واستتبّت السيطرةُ على البلاد المفتوحة، بدأ اهتمامُ الخلفاء العبّاسيين بالفلك، والعلوم، والفنون المُزدهرة في الأمم الأجنبية ابتداءً من أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨ هـ (٧٥٤-٧٧٥ م)، الخليفة العباسي الثاني [٤٣]. كذلك، وبتشجيع من الخلفاء العبّاسيين، ورجالات الحُكْم في عهودهم مثل بني موسى بن شاكر وغيرهم [٤٤]، انتقل بعضُ العلماء (النّصارى) الناطقين بالسريانية والعارفين اللغةَ اليونانية إلى بغداد، حيثُ استخدمَتهم الدولةُ في دواوينها المُختلفة، وفي التعليم، والترجمة من اللغتَيْن السريانية، واليونانية إلى اللغة العربية. وحدَثَ مثلُ هذا الشيء للعلماء الآخرين الذين كانوا على معرفة بالعلوم الهندية، والآداب الفارسية [٤٥].

ولعلّ القولَ الشائعَ «إنّ العلومَ ثلاثةٌ: الفقهُ للأديان والطبُّ للأبدان والنُّجوم للأزمان» [٤٦] ركّزَ اهتمامَ الكثيرين في ذلك الوقت على علم الفلك، لا سيّما وأنّ الخلفاءَ كانوا شغوفين بهذا الفنّ إذ كانوا يَستصحبون معهم المُنجّمين في غزواتهم، ويَستشيرونهم في قراراتهم. فالخليفة العبّاسي المنصور، مثلاً، كان يَصْحَب معه في أسفاره نَوبَخْت، المُنجّمَ الفارسي، وبعدَ أنْ أصابَهُ الهَرَمُ، صاحَبَهُ إبنهُ أبو سهل بن نَوبَخْت [٤٧]. وكذلك استشارَ الخليفةُ العبّاسيُّ المنصور المُنجّمين

---

٤٢) Julius Ruska, 1924, *Arabische Alchemisten*, p. 8ff

٤٣) انظر نلّينو، ١٩١١، المصدر السابق، ص ١٤٣.

٤٤) انظر ابن النديم، المصدر السابق، ص ٢٧١.

٤٥) انظر ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٢٤٣-٢٤٥؛ وابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص ١٨٣ وما يليها؛ وانظر أيضاً Hitti, 1940, *op. cit.*, p. 308-316

٤٦) انظر نلّينو، ١٩١١، المصدر السابق، ص ١٤٣.

٤٧) انظر نلّينو، ١٩١١، المصدر نفسه، ص ١٤٣ وما يليها.

عندما أسَّسَ مدينةَ بغداد [٤٨]. قد يكون هذا الاهتمامُ الدافعَ وراءَ الترجمات في علُوم النجوم، والفَلَك. وكان أكثرُ هؤلاء العلماء من الفُرْس مثل نَوبَخْت، وعمر بن الفَرُّخان الطبري، وغيرهما.

ويذكر القفطي [٤٩] أنَّ الخليفةَ العبّاسيَ المنصور أمَرَ رجلاً هندياً عالماً في الفلك جاءَه سنة ١٥٦ هـ/ ٧٧٢ م في وَفْدٍ من أهل السِّند [٥٠] بإملاءِ مُخْتَصَر كتاب بْراهْمَ سْپُهُطَ سِدّهانْتَ (*Brāhmasphuta siddhānta*) المُؤلَّف أصلاً بالسنْسكريتيَّة سنة ٦٢٨ م (العام السادس أو السابع للهجرة). ثمَّ أمَرَ بترْجمة هذا الكتاب إلى العربية واستخراج كتابٍ منه لحساب حركات الكواكب. وسُمِّيَ هذا الكتابُ «السند هند». فقامَ بهذا العمل [ابراهيم بن حبيب] الفزاري [٥١] وعَمِلَ منه زيجاً بَقِيَ دارجَ الاستعمال حتّى زَمَن الخليفة المأمون، وقتَ انتشارِ مَذْهَب بطليموس في الحساب والفلك.

وبالإضافة إلى ترجمة الكتُبِ العلمية، شجَّع المنصورُ الترجماتِ الأدبيةَ تحْتَ إشرافِ كاتبِه عبدالله بن المُقَفَّع [٥٢]، الذي نَقَلَ كتابَ «كليلة ودمْنَة»، وهو من أصْلٍ هِنْديٍ، من اللغة الفارسية إلى العربية، وكتاب «خُداينامه» في السِيَر، وكتابَ «التاج» في سيرة أنو شروان، وكتابَ «الأدب الكبير»، وكتابَ «الأدب الصغير». ومِنَ الكتُبِ المشهورة ذات الأصول الفارسية التي تُرْجِمَت إلى العربية كتاب «ألف ليلة وليلة» حيث تُرْجِم هذا الكتاب في بغداد قبل مُنتصف

---

٤٨) نلّينو، ١٩١١، المصدر نفسه، ص ١٤٥ وما يليها. وانظر المصادر والمراجع المذكورة في تلك الصفحات.

٤٩) القفطي، المصدر السابق، ص ٢٧٠. نُوردِ نَصَّ القفطي هنا للإفادة: «. . . فأمر المنصور بترجمة ذلك الكتاب إلى اللغة العربية، وأن يُؤلَّف منه كتاب تتَّخذه العرب أصلاً في حركات الكواكب فتولّى ذلك محمد بن ابراهيم الفزاري وعمل منه كتاباً يُسمِّيه المنجِّمون السندهند الكبير . . .».

٥٠) يذكر البيروني، «تحقيق ما للهند من مقولة»، ص ٢٠٨، سنة ١٥٤ هـ/ ٧٧١ م.

٥١) نلّينو، ١٩١١، المصدر السابق، ص ١٥٦ يُبيِّن الخلطَ الذي وقَع فيه الكثيرون حوْل صحَّة الاسم الأول للفزاري كما ورَدَ في القفطي، المصدر السابق، ص ٥٧ و٢٧٠-٢٧١ حيْث ورَدَ محمد بن إبراهيم الفزاري.

٥٢) للمزيد انظر ابن النديم، المصدر السابق، ص ١١٨.

القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد. وكما هو معروفٌ، فلَقَد حَصَلَت إضافاتٌ كثيرةٌ على هذه الترجمة استُوْحِيَت قصَصُها من القُصور العبّاسية، ومُواطني بغداد.

وإنْ كانت اللُّغةُ الفارسيةُ وسيلةَ النَّقْل من العلوم والآداب الهندية، فاللُّغةُ السريانيةُ كانت وسيلةَ النَّقْل من العلوم اليونانية التي ازْدَهَرَت في بعض المراكز السوريّة مثل حرّان، والرُّها، ونَصيبين وغيرها، حَيْثُ تَخَصَّص كثيرٌ من عُلمائها ٥٣ في علُوم الفلك اليونانية، وعلِمَي الفَلْسفة، والطِب، العِلْمَيْن اللذَيْن لا ينْفَصِم أحَدُهُما عن الآخر حَسَبَ التقاليد الهيلينية (اليونانية) ٥٤. ولأنَّ مُعظمَ المترجمين كانوا من الناطقين بالسريانية فقد تَرْجَمَ هؤلاء المؤلّفات من اليونانية إلى السريانية قبل أنْ تكونَ العربيةُ لغةَ المؤلّفات في نهاية المَطاف.

ومن المُترجمين المشهورين، على سبيل المثال لا الحَصْر، يحيى [يوحنّا] بن البطريق ٥٥،

---

٥٣) من هؤلاء العلماء الحجّاج بن مطر في علوم الرياضيات والفلك وأحد العلماء الحرّانيّين الذين انتقلوا إلى بغداد لخدمة الخليفة المأمون. والذي ترجم كتاب «العناصر» (Elements) لاقليدس Euclid، و«الكون الاعظم» (Megale Syntaxis) سنة ٨٢٩ م المُسَمَّى «المجستي» («المجسطي»)، والذي فُقِد أصْلُه اليوناني. وكان يُساعدهُ ابنه وابن اخته بمراجعة الترجمات الأولى والقيام بترجمات مؤلفات جالينوس Galen، وهبوقراط Hippocrates، وديوقراطس Dioscrides الطِّبيَّة، ومُؤلّفات ارسطوطاليس Aristotle، وافلاطون Plato الفلسفية.

للمزيد انظر ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٢٤٤؛ وانظر أيضاً *GAL* S I, p. 363-364

٥٤) ورَدَت في قائمة حُنَيْن «ذكر ما تُرجم من كتب جالينوس»، وخاصة كتاب جالينوس «كتاب في التجربة الطبية». ومن المعروف كذلك أنَّ تُراثَ الفلاسفة الأطباء من مدرسة الاسكندرية كان بعدُ موجوداً خلال فترة الخلافة العباسية. ويَجب أنْ نذكرَ هنا أنَّ المترجمين الأوائل كانوا في العادة أطباء يمارسون الفلسفة، وكانوا قد تبنّوا تعاليم جالينوس Galen بأنَّ الطبيبَ الماهرَ لا بُدَّ أنْ يكونَ أيضاً فيلسوفاً.

٥٥) يحيى [يوحنّا] بن البطريق (ت بين ١٨٠ و١٩١ هـ/ ٧٩٦ و٨٠٦ م) أحد رُوّاد الترجمة من اليونانية، تَرْجَم للمنصور مؤلفات جالينوس Galen، وهيبوقراط Hippocrates، كما ترجم مُربعات بطليموس (Ptolemy's) *Quadripartitum*. انظر: *GAL* I, p. 222-221

وثابت بن قُرّة ٥٦، ويُوحنّا [يحيى] بن ماسويه ٥٧، وحُنَيْن بن إسحق ٥٨، الذي استنبَطَ - عن طريق الترجمة - المفردات العلميةَ في اللغة العربية، وطَوَّر بعضَ الأفكار اليونانية التي أصبحت أفكارَه الأصليّةَ. ووَضَعَتْه ترجماتُه في موضعٍ ليطوِّر المصطلحاتِ العربيةَ لجميع أنواع المعرفة في ذلك الوقت.

وكما ذكرنا سابقاً، فالمترجمون الذين أوْرَدْنا أسماءَهم في السُّطور السابقة ما هم إلاّ نماذجُ للكثيرين الذين مارسوا مهنةَ نَقْل العلوم من لغةٍ إلى أخرى على مَدَى أجيالٍ عديدةٍ. ولقد حاولَ بعضُ الباحثين تقسيمَ المترجمين إلى فئاتٍ، تدور عادةً حَوْلَ شخصيةٍ رائدةٍ فَذّةٍ في ميدان

---

٥٦) ثابت بن قُرّة (٢٢١-٢٨٨ هـ/ ٨٢٥-٩٠٠/ ٩٠١ م) مترجم كتاب «الذخيرة في علم الطب». ترْجَم هو وأعوانه كُتُبَ الرياضيات، والفلك اليونانية مثل مؤلفات ارخميدس؛ ووُكِلَت إليه مراجعةُ الترجمات القديمةِ مثل كتاب اقليدس Euclid. وقام أيضاً بمراجعة الترجمات السابقة مثل ترجمات حُنَيْن لكتاب اقليدس. انظر ابن النديم، المصدر السابق، ص ٢٧٢

وانظر أيضاً *GAL* I, p. 241-242 & *GAL* SI, p. 384-385

٥٧) يُوحنّا [يحيى] بن ماسويه (ت ٢٤٣ هـ/ ٨٥٧ م) طبيبٌ مُقَدَّم عند الخلفاء، تَتَلْمَذَ على يَدِ جبريل بن بختيشوع، وعلّم حُنَيْن بن إسحاق (انظر الهامش التالي)، وأصبَحَ نائبَ رئيسٍ في بيت الحكمة في بغداد. خدم أربعةً من الخلفاء العباسيين.

انظر ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٢٩٥-٢٩٦؛ وانظر أيضاً Hitti, 1940, *op. cit.*, p. 311-312

٥٨) حُنَيْن بن إسحق (١٩٣-٢٦٠ أو ٢٦٤ هـ (؟) / ٨٠٩-٨٧٣ م) درس الطبَّ في بغداد وأجاد اللغات اليونانية، والسريانية، بالإضافة إلى العربية. ويذكر ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص ٢٧٩ أنّه عَرَفَ الفارسية. كان طبيبَ المأمون، وكان مَسؤُولاً عن دار الحكمة التي أسَّسها المأمون. وكان على معرفةٍ بالطبِّ، والمنطق، والفيزياء، والميتافيزيقيا، والتاريخ، والزراعة، والرياضيات. ومارَسَ الترجمةَ وساعدَهُ ابنُهُ إسحاق، وابنُ أخته حُبَيْش بن الحسن. وترْجَم حُنَيْن من اليونانية إلى السريانية، وترجم أعوانُه وتابعوه من السريانية إلى العربية. شَمِلَت ترجمات حُنَيْن مؤلّفات افلاطون، وارسطو، وهيبوقراط، وجالينوس، وغيرهم.

للمزيد انظر ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٢٤٩ و٢٩٤-٢٩٥؛

وانظر أيضاً *GAL* I, p. 224-227 & *GAL* SI, p. 366-369

الترجمة. ولأهميةِ حُنَيْن بن إسحاق، ومَركزيّتِه في الترجمة، ونَقْل العلوم من اللغات المختلفة إلى العربية، فلقد عدَّه أفنان Afnan قُطبَ الرَّحى الذي تَشكَّلت حولَه جماعاتٌ من المترجمين. وبناءً على هذا الأساس، قَسَّمَهم إلى ثلاث زُمَرٍ: (١) جماعة ما قبل حُنَيْن؛ (٢) جماعة حُنَيْن وأقربائه وتلاميذه؛ (٣) جماعة ما بعد حُنَيْن ٥٩. ومن الإنصاف أنْ نَذْكُرَ هنا أنَّ هذا التقسيمَ يُمالِىءُ جانبَ حُنَيْن، على الرَّغم من أنَّ هذا ليس مُستغرَباً لدَوْرِه المَرْكزيّ، ومَقْدرته العلْميّة، واللغوية. كما يجبُ أنْ نُضيفَ أنَّ مثلَ هذا التقسيم جائزٌ بحقّ مُتَرْجِمٍ لا يَقِلُّ أهميةً عن حُنَيْن، إذ يُعْتَبَرُ ابن المقفَّع رائد الترجمة من الفارسية للعربية وهو الذي تشكَّلت حوله أيضاً مجموعةٌ من المترجمين هامَّةٌ جداً في الحياة الفكرية في العصور العبّاسية الأولى.

ونُلاحظُ أنَّ التقسيمَ السابق تقسيمٌ زَمَنيٌّ أُفُقِيٌّ أخَذَ في الاعتبار مركزيَّةَ حُنَيْن، وقَسَّمَ المترجمين مُعتمداً على الفترة الزمنية التي سبَقَت حُنَيْن، والتي تَلَتْه. وهناك تقسيمٌ آخر للمتَرْجمين يَعْتمدُ الترتيبَ الزمنيَّ لحُكْم الخلفاء العبّاسيين. فأحمد فريد الرفاعي مثلاً أوْرَدَ رأيَ سانتْلانا (Santillana) (١٨٤٥-١٩٣١ م) في مُحاضراته عن تاريخ المذاهب الفلسفية، وتاريخ الترجمة في العصر العبّاسي وأدْوارها الثلاثة ٦٠. فالدَّوْرُ الأولُ يَمتدُّ من عهد الخليفة أبي جعفر المنصور إلى وفاة الخليفة هارون الرشيد (١٣٦-١٩٣هـ) (٧٥٣-٨٠٨ م). ويشملُ هذا الدورْ الطبقةَ الأولى من المترجمين في القرن الثامن للميلاد: من بينهم البطريق (حوالي ٧٩٦ م) الذي تَرْجَمَ «المجسطي» في أيام الخليفة المنصور، وجورجيس بن جبرائيل الطبيب الذي عاشَ عام ١٤٨ هـ والذي نَقَلَ الكتُبَ الطبيّة اليونانية، وعبدالله بن المُقَفَّع (ت ٧٥٧ م)، ويوحنّا بن ماسويه، وسلام الأبرش، وباسيل (أو بسيل) المطران. ويَمْتَدّ الدَّوْرُ الثاني من فترة الخليفة المأمون (١٩٨ إلى ٣٠٠ هـ) (٨١٣-٩٣١ م). ومن بين مُترجمي هذه الفترة يوحنا بن البطريق، والحجّاج بن مَطَر

٥٩) Afnan, 1958, *Avicenna*, p. 18 . ولكنّ أفنان لم يُوردْ أسماءَ هذه الزُمر من المترجمين.

٦٠) أحمد فريد الرفاعي «عصر المأمون»، ج ١، ص ٣٧٩-٣٨٠. وحول الأدوار الثلاثة التي عرَضَها صاحبُ الرأي سانتلانا، وظهرَت في وقتٍ لاحقٍ في كتابٍ يستَنِدُ إلى محاضراته في الجامعة المصرية. انظر سانتلانا، ١٩٨١، «المذاهب اليونانية الفلسفية»، ص ١٥٤-١٦٠.

(عاش سنة ٢١٤ هـ)، وقسطا بن لوقا (٢٠٥-٣٠٠ هـ) (٨٢٠-٩١٢ م)، وعبدالمسيح بن ناعمة (عاش سنة ٢٢٠ هـ)، وحنين بن إسحاق (ت ٢٦٠ هـ أو ٢٦٤ هـ)، وإسحاق بن حنين (ت سنة ٢٩٨/ ٢٩٩ هـ)، وثابت بن قُرّة (٢٢١-٢٨٨ هـ)، وحُبَيْش بن الحسن الأعسم (ت سنة ٣٠٠ هـ)، واصطفان بن باسيل (مُنتصف القرن التاسع). ويَمْتَدُّ الدَّوْرُ الثالث من بداية القَرْن الرابع للهجرة إلى نهاية هذا القرن (القرن العاشر/ الحادي عشر للميلاد). ومن بين مترجمي هذه الطبقة متّى بن يونس (ت ٣٢٨/ ٣٢٩ هـ)، وسنان بن ثابت بن مُرَّة (ت ٣٣١ هـ)، ويحيَى بن عدي (ت ٣٦٣/ ٣٦٤ هـ)، وابن زرعة (٣٣١-٣٩٨ هـ).

ليس هَدَفَنا هنا الغَوْصُ في حَيَوات المترجمين، والمؤلَّفات التي شاركوا في نقلها للعربية، أو التَّعمُّق في بَحْث تلك الفترة الزمنية التي ازدَهَرت بِسبَبِ مواهبهم اللغوية ومقدراتهم في مجالات العلوم المختلفة. ولكن هدفَنا في هذا الفصلُ هو التعرُّفُ على المعاناة التي خَبِرَها المترجمون من حيْثُ إيجاد المُفْرَدة المُعبِّرة عن الفكرة الجديدة التي وَرَدَت من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية. كما نَهْدِف أيضاً إلى رَصْد المُصْطَلَحات التي استنبَطها هؤلاء المترجمون وغيرُهم، والطُّرُق التي استخدموها في استنباط هذه المُفْرَدات والمُصْطَلَحات. وسنُحاوِل الحديثَ عن هذه الطرُق في الفصل الثاني، وتَتَبُّع تَطورُ المفردة الجديدة التي دَخَلت العربية نتيجة جهُود هؤلاء المترجمين، والتي أثْرَت العربيةَ إثراءً جَمّاً مكّنَها من مُواكبة العلوم الحديثة في تلك الأزمان.

وكانت ترجماتُ المُؤلَّفات الهندية، والفارسيّة، واليونانيةِ العلمية، والفلسفية مُقَدِّمَةً لفَتْرَة الإبداع التي ازدهرت فيها العلومُ الرياضيةُ، والفلكيةُ، والعلوم الجغرافية، والطبُّ، والصيدلة، وعلوم النبات، والموسيقى، والمنْطق عند المسلمين. فالعلُوم التي ابتَكَرَها العلماءُ المسلمون مثل محمد بن موسى الخوارزمي [٦١]، وأبو يوسف يعقوب الكندي [٦٢]، وابن سينا [٦٣]، والرّازي [٦٤]، والفارابي [٦٥]، كُتِبَت بلُغَةٍ مُتأثرة باللُّغتَيْن اليونانية، والسريانية.

---

٦١) محمد بن موسى الخوارزمي (ت ٢٣٦ هـ/ ٨٥٠ م تقريباً) الذي أسَّس حساب الجبر والمقابلة algebraic calculations and equations، والذي رَسَمَ الزّيج Astronomical tables، مُعتَمداً في ذلك على ترجمة وتأليف [ابراهيم بن حبيب] الفزاري (ت بين ٧٩٦ و٨٠٦ م) والذي انتقل أخيراً إلى أوروبّا عن طريق اسبانيا.

إنَّ هذا العَرْضَ الموجزَ للاتِّصال اللُّغَوي بين العربية واللغات الأخرى التي كانت تُسْتَعْمَل في المناطق التي فَتَحَها العرب المسلمون، والاهتمام الذي أبْدَوه في نَقْل بعض العلوم المختارة إلى اللغة العربية يُثيرُ أسئلةً كثيرةً حَوْلَ اللغة العربية ومقدرتها على التعبير عن العلوم الجديدة التي لم يكن يعرفها العربُ قبل انتشارهم في البلاد التي فتحوها، خاصةً من ناحية المُفْرَدات، والمُصْطَلَحات العِلميَّة. فإلى أيِّ حَدٍّ استطاعَت اللغةُ العربية استيعابَ الأفكار والمُسمَّيات اليونانية، والهِندية، والفارسيَّة بِمُصطَلَحاتٍ عربية؟ وما هي الصُّعوبات التي واجَهَها العُلماءُ في التعبير عن هذه المُسَمَّيات؟ وكيف تَغلَّبوا عليها؟ وما هي الطُرُق التي استعملوها لتطويع اللغة العربية للتعبير عن هذه العلوم؟ وإلى أيِّ مَدَىً نجحوا؟ سَنُحاول الإجابةَ عن هذه الأسئلة، أو بعضها في الفصل التالي. وإنْ كانَ المجالُ لا يَتَّسع للإجابة عن كلِّ هذه الأسئلة في هذا الكتاب، فمن المأمولِ أنْ يُتابعَ في مُسْتقبل الأيام باحثونَ آخَرونَ البَحْثَ في هذه المسائل الحميمة العلاقة بتاريخ اللغة العربية، وتطوُّرِ مُفْرَداتها، ومُصْطلَحاتها العِلميَّة، التي أَصبحَت - في فترةٍ من الفترات - جزْءاً من التُراث العِلميِّ الإنساني.

= للمزيد عن العلماء في الميادين المختلفة، وعلم الفلك، والتنجيم، والرياضيات، والطب، والمعادن، واللغات التي كانوا يتقنونها والتي ترجموا منها إلى العربية، انظر
Shushtery, 1938, *Outlines of Islamic Culture*, p. 174-194

٦٢) أبو يوسف يعقوب الكندي (١٨٥ - ٢٦٠ هـ/ ٨٠١ - ٨٧٣ م تقريبا) الفيلسوفُ، والطبيبُ، والموسيقيّ، وعالِمُ الرياضيات، والفَلَكي المشهور. انظر ابن النديم، المصدر السابق، ص ٢٥٥-٢٦١.

٦٣) ابن سينا (٣٧٠- ٤٢٩ هـ/ ٩٨٠- ١٠٣٧ م).
انظر ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص ٤٣٧-٤٥٩.

٦٤) الرّازي (ت ٣١٣ هـ/ ٩٢٥ م).
انظر ابن النديم، المصدر السابق، ص ٢٩٩؛ وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤١٤-٤٢٧.

٦٥) الفارابي (ت ٣٣٩ هـ/ ٩٥٠ م).
انظر ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٢٦٣؛ وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٦٠٣-٦٠٩؛ والقِفطي، المصدر السابق، ص ٢٧٧-٢٨٠.

الفصل الثاني

البَحْث عن المُصْطَلَح العِلْمي العربي إبّان الازدهار في العصور العبّاسيّة

لقد انتهَت إلينا بعضُ المعلومات عن الطُرُق التي استعملَها المُترجِمون للترجمة من اللغات الأجنبية كاليونانية، والسِّريانية إلى العربية إبّانَ الازدهار العِلْميّ في العُصور العبّاسية ما بين القرن الثاني والخامس للهجرة (الثامن والحادي عشر للميلاد). فلَقَدْ ورَدَ على لِسان أحمد بن عبدالله بن سلاّم ما يلي: «. . . ترجمتُ صَدْرَ هذا الكتاب . . . من لغة العبرانيّة واليونانيّة والصابيّة [كذا] وهي لغة أهل كلّ كتاب إلى لغة العربيّة حَرْفاً حَرْفاً . . .». ويُضيف ابن سلاّم أنّه من قبيل خَشْيَة التحريف لم يتَدَخّلْ - بوَصْفه متَرْجِماً - في تحسين الألفاظ، ولم يزِدْ أو ينْقِص المادّةَ في الأصْل. ولكنّه، حَسَبَ قَوْله، أعْطَى نفسَه الحقَّ ليُقَدِّمَ أو يُؤَخِّر بعضَ المادّة اللغوية التماساً لاستقامة المعنى باللغة العربية، أيْ اللغةِ المنقولِ إليها. وفي النَّصِّ المُثْبَت في كتاب «الفهرست» يُزَوِّدنا ابن سلاّم بمثال يُوَضِّح الفكرةَ المقصودة [1].

---

١) انظر ابن النديم، «الفهرست»، ص ٢١ و٢٢. لم يَذْكُر ابن النديم شيئاً عن حياة أحمد بن عبدالله بن سلام سوَى أنّه «موَلى أمير المؤمنين هارون، أحسبه الرشيد . . .». ونَفْهَم من نَصّ «الفهرست» أنّ ابن سلام هذا تَرْجَمَ كتاباً لم يذكر اسمَهَ من كتُب الصابيّن [الصابئين] الابراهيميّة الذين وُصِفوا بالحُنَفاء «الذين آمنوا بابراهيم . . . وحملوا عنه الصُّحف التي أنزلَها الله عليه . . .». ولم يذكُر ابن سلام اللغةَ التي كتَبَ بها «الصابيون» [الصابئون]، والتي تُرْجِمَ منها هذا الكتاب.

وقالَ صلاح الدين الصَّفَدي[٢](ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٢ م) «. . . وللتراجمة في النَّقْل طريقان أحَدُهما طريقُ يوحنّا بن البطريق وابن الناعمة الحمْصي وغيرهما وهو أنْ يَنْظُرَ إلى كُلِّ كلمةٍ مُفْرَدَةٍ من الكلمات اليونانية وما تَدلُّ عليه من المعنى فيأتي بلفظةٍ مُفْردةٍ من الكلمات العربية تُرادفُها في الدلالة على ذلك المعنى فيُثْبِتها وينتقل إلى الأُخْرى كذلك حتَّى يأتي على جملة ما يُريد تعريبَه. وهذه الطريقة رديئة لوَجهَيْن: أحدُهُما أنَّه لا يوجَد في الكلمات العربية كلماتٌ تُقابل جميعَ الكلمات اليونانية ولهذا وقَع في خلال هذا التعريب كثيرٌ من الألفاظ اليونانية على حالها. الثاني: إنَّ خواصَّ التركيب والنِّسَب الإسنادية لا تُطابق نظيرها من لغةٍ أخرى دائماً وأيضاً يقع الخَلَل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرةٌ في جميع اللغات. الطريقُ الثاني في التعريب طريقُ حُنَيْن بن إسحاق والجَوْهري وغيرهما وهو أنْ يأتي إلى الجملة فيحصل معناها في ذهنه، ويُعبِّرُ عنها من اللغة الأخرى بجملةٍ تطابقها، سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها. وهذه الطريق أجود . . . »[٢].

وبالإضافة إلى رأيَيْ أحمد بن عبدالله بن سلاّم، والصَّفَدي السابقَيْن، نُضيفُ رأياً ثالثاً حوْلَ الترجمة، ألا وهو رأيَ ابن تيْمِيَّة (٦٦١- ٧٢٨ هـ/ ١٢٦٢- ١٣٢٨ م) في كتابه «نَقْض المنْطق»[٣]، حيثُ يذكُر أنَّ الترجمةَ، والتفسيرَ ثلاثُ طبقات: أحَدُها «ترجمة مجرد اللفظ»، أيْ إيجاد لفْظٍ مُرادفٍ للَّفظ المُترجَم؛ والثانية، «ترجمة المعنى»، أيْ تصويرُ المعنى للمخاطَب، ونَقْلُه له بلُغَةٍ يفهمها؛ والثالثة، بيانُ صحَّةِ المعنى، وتحقيقُه بإبرازِ الدلائلِ المُجَرَّدةِ من أمثلةٍ ومقاييسَ تُساعد على فَهْم المعنى.

يُمكننا أنْ نَفْهَمَ من الآراءِ الواردة في هذه النُّصوص على لسان ابن سلاّم الواردِ في «الفهرِست»، والصَّفَدي في «الغَيْث المُسْجَم»، وابن تيمية في «نَقْض المنطق» الأمورَ التاليةَ حولَ الترجمةِ وأغراضِها وصُعوباتها:

---

٢) انظر صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، «الغيث المسجم»، ج ١، ص ٧٩.

٣) انظر ابن تيمية، «نقض المنطق»، ص ٩٧-٩٨.

١) حرصُ المترجمين على أمانة النَّقْل، والتقيُّد بإيراد المعاني من النَّص الأصليّ إلى اللغة المنقول إليها دون زيادة أو نُقصان؛
٢) الإدراكُ – كما نفهَم من قَوْلِ الصَّفَدِيّ – أنَّ العربيةَ قادرةٌ على استيعاب المعنى الواردِ في نَصٍّ اللغة الأجنبيّة؛
٣) الحرْصُ على إيجاد اللفظة العربية المُرادفَة للَفْظة من اللغة الأصْلِ المنقول منها؛ والإدراكُ أنَّ وجودَ مثل هذه الألفاظِ مُمْكِنٌ؛ وفي نفس الوقت الإدراكُ التامُّ أنَّ الترجمةَ تَعْرِض صُعُوباتٍ عند عدَمِ وُجود مفرداتٍ في اللغة المنقول إليها تُرادِف معاني ألفاظ النَّص الأصلي؛
٤) عِنْد عَجْزِ المترجم عن إيجاد اللفظ العربي المناسب فلا بُدَّ في هذه الحالة من إثباتِ اللفظِ الأجنبيِّ على حالِهِ، أيْ تعريبِ الألفاظ الأجنبيّة؛
٥) الحِرْصُ على أسلوبٍ عربيٍ يَستقيم به المعنى.

لا بُدَّ من الإشارة هنا إلى أنَّ استعمالَ هؤلاء الكتّاب لبعض المفردات ومدلولاتها يختلف عن استعمالاتها في وقتنا الحاضر. لذا، يلزَمُنا عدمُ الخَلْط بين استعمالات هذه المفردات لديْهِم، والاستعمالِ السائدِ لها في أيّامنا الحاضرَة. فمثلاً، نَجِدُ في قَوْلِ الصَّفَديّ المذكورِ في بداية هذا الفصل أنَّ كلمتَيْ «تعريب» و«ترجمة» مُترادفتان في المعنى. وأحياناً، تَتَرادَف هاتان الكلمتان – لَدَى هؤلاء المؤلّفين – مع كلمة «نَقْل»؛ بينما تُسْتَعْمَل كلمة «تعريب» لَدَى الكثيرين في وَقْتِنا الحاضرِ لتُعبِّر عن طريقة نقْلِ المُفْرَدَة الأجنبيَّة الواردَة إلى اللغة العربية بلَفْظها الأجنبيِّ مع مُراعاة شُروط قواعد الصَّرْف، والنظام الصَّوْتيّ العربيّيْن. فمثلاً، استعمالُ كلمة «مَصْرِف» للمؤسَّسَة المالية التي وَرَدَت الى العالم العربي من الغرب في القرن التاسع عشر ترْجَمَةٌ، وكلمةُ «بَنْك» تعريبٌ.

في التأريخ لحركة الترجمة والمترجمين من القرن الثاني حتّى الخامس للهجرة (الثامنِ إلى القرن الحادي عشر للميلاد) نَلْمَسُ إدراكاً لَدَى بعضِ مؤرّخِي هذه الحركة أنَّ فنَّ الترجمة من اللغات الأجنبية للُغة العربية واجَهَ صُعُوباتٍ في إيجاد الألفاظ العربية المناسبة لصياغة الفكرة من اللغة المنقول منها إلى اللغة العربية. ومن ناحيةٍ أُخْرَى، نلْمَسُ من إلماحات «المؤرّخين» عن

المترجمين، ومقدراتهم اللغوية أنَّ هؤلاء كانوا إمّا جيّدي النَّقْل فَصيحي اللسان باليونانية، والعربية، والسريانية كَ«قُسْطا بن لوقا»[٤]، أو رَديئي النَّقْل كَ«ابن شَهْدي الكَرْخي»[٥]. وبعضُهم - على حَدِّ قَوْل ابن النديم - كان جيِّداً في لغةٍ واحدةٍ كالسريانية مثلاً، ولكنَّه كان «عفْطيّ الألفاظ بالعربية»[٦] كَ «مرلاحي» الذي كان بحاجةٍ لآخَر ليُصْلِح ترجمتَه[٧].

وبالإضافة إلى مِثْل هذه الصفّات التي وُصِفَ بها بعضُ المُتَرجِمين نَرَى أيْضاً إلماحاتٍ عن وَصْفِ الترجمة المُنْتَجَة. فابن النديم يُورِد أنَّ ابن شهدي الكرخي «. . . نقَلَ من السرياني إلى العربي نقلاً رديّاً [كذا]»[٨]. وإذا تتبَّعنا ترجمةَ «كتاب المجسطي» (Almagest) نَجدُ أنَّ الترجمةَ الأولى التي أمَرَ بها يحيى بن خالد بن برمك[٩]، وقام بها جماعةٌ من المترجمين كانت غيرَ مُتْقَنَةٍ، ولم تُرْضِ صاحِبَ الشأن. ولهذا السَّبَب وَكَلَ هذا الترجمةَ، ثانيةً، إلى مُتَرْجِمَيْن آخَرَيْن،

---

٤) قسطا بن لوقا البعلبكي (٨٢٠-٩١٢ م) عالِمٌ في الطبِّ، والفلسفة، والهندسة، والموسيقى. أجادَ اليونانية والعربية. ألّف كتباً كثيرةً في الطبّ والمنطق والهندسة. وله شروح وتفاسير عديدة.
للمزيد انظر ابن النديم، المصدر السابق، ص ٢٤٤ و٢٩٥.

٥) ابن شهدي الكرخي (القرن التاسع (؟) للميلاد) ترجَمَ من السُّريانيّة إلى العربية كتابَ «الأجنَّة» لبقراط. وحسبما ورَدَ في ابن أبي أصيبعة فإنَّ ابن شهدي كان «قريبَ الحال في الترجمة»، كما كان أبوه من قبله. ولكنَّه «فاقَ أباه» في «آخر عمره».
للمزيد انظر ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٢٤٤؛ وابن أبي أصيبعة «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، ص ٢٨٠.

٦) «العفْطي» أيْ «الألكَن الذي لا يُفْصِح». انظر «لسان العرب»، مادة «عفط».

٧) مرلاحي (أواخر القرن العاشر للميلاد) ترْجَم من السريانية التي كان يُجيدها إلى العربية التي ما كان يُتْقِن ألفاظها لعلي بن ابراهيم الدهكي. وكان هذا الأخير يُصلِح النقل والترجمة.
انظر ابن النديم، المصدر السابق، ص ٢٤٤.

٨) انظر ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٢٤٤، والهامش ٥ السابق.

٩) وزير الخليفة العبّاسي هارون الرشيد. ماتَ سنةَ ١٨٩ أو ١٩٠ هـ/ ٨٠٤ أو ٨٠٥ م.
للمزيد انظر «وفيات الأعيان»، ج ٦، ص ٢١٩-٢٢٩ (مادّة ٨٠٦).

«أبي حسّان»، و«سَلْم» [10]، اللذين أجادا النَّقْل وأتْقَناه بمُساعدةَ «النقلة المجوّدين» [11]. ويُورِد نلّينو [12] قولَ يعقوب بن طارق [13] الذي يقول في كتاب «الأركَنْد» «. . . وهذّبت زيج الأركند وجعلته بألفاظي إذ كانت الترجمة الموجودة منه غير مفهومة وألفاظ الهند فيها لحالها متروكة».
ويُشير البيروني إلى نفْسِ المؤلَّف والترجمة بقوله «. . . وهذا العمل هو الذي في زيج الأركند بنقل فاسد» [14].

وهكذا نجِدُ أحياناً كثيرةً أنَّ كتاباً ما يمُرُّ في نَقْله للُّغة العربية بترجمات عديدةٍ حتَّى يَتِمَّ إتقانُ ترجمتِه، ويُصبِحَ مقبولاً. وأحياناً أُخْرَى، نَرَى أنَّ الترجمةَ تنالها تصحيحاتٌ من مُصحِّحين أكفياء في مُدَّةٍ لاحقةٍ، كما نَرَى في «كتاب المجسطي» الذي سبقت الإشارة إليه.

وفي رأْيِ نلّينو أنَّ الصُّعوباتِ التي واجَهَها المُتَرْجِمون في نَقْل «كتاب المجسطي»، مثلاً، تُعْزَى إلى عواملَ عديدةٍ، منها صعُوبةُ الأصلِ من ناحية التراكيب اللغوية، والألفاظ، وعُمْقُ المادّة، وصعُوبتُها [15]. فمادّةُ الرياضيّات في «كتاب المجسطي»، مثلاً، تحتاجُ إلى مُتَخَصِّصٍ يفهم المادّةَ لأنَّ المُترجِمَ العارفَ للُّغة فقط وغيرَ الماهرِ في العلوم يُضْطَرُّ إلى الترجمة الحرْفيّة. وعاملٌ آخرُ جديرٌ بالإبراز هو عَدَمَ تَوفُّرِ المُصْطَلَحات العِلميّة العربية في تلك الفترة، إذْ كانت الترجمةُ عبارةً عن نقل العلوم لفظاً لفظاً، فكان هذا يُشير إلى عَدَمَ فَهْم موضوع النَّص المُتَرجَم بصورةٍ جيِّدةٍ، أو لم يكن الاستقرارُ على المُصطلحات العِلميَّة قدْ تَمَّ. ونَسوقُ الأمثلةَ التاليةَ

---

١٠) سَلْم صاحِبُ بيْت الحِكمة (القرن الثاني للهجرة). ورَدَ أيضاً «سلما» (انظر ابن النديم، المصدر السابق، ص ٢٤٣). وهذا تحريف. خدَم مع سهل بن هارون عند المأمون، وتَرْجَم من الفارسية إلى العربية. للمزيد انظر ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٢ و٢٦٨ و٣٠٥.

١١) انظر ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٢٦٧-٢٦٨.

١٢) انظر نلّينو، ١٩١١، «علم الفلك»، ص ١٧٢.

١٣) عالم فلَكِي. من كتُبه «كتاب تقطيع كردجات الجيب».
للمزيد انظر ابن النديم، المصدر السابق، ص ٢٧٨؛ ونلّينو، ١٩١١، المصدر نفسه، ص ١٦٤-١٧٣.

١٤) انظر البيروني، «تحقيق ما للهند من مقولة»، ص ٢٢٦.

١٥) انظر نلّينو، ١٩١١، المصدر السابق، ص ٢٢٦.

على المُططلَحات غير المُستَقرَّة التي وَقَعَت في كتاب «أجزاء الحيوان» لأرسطوطاليس الذي نُسِبَت ترجمتُه إلى يوحنّا بن البطريق: «المِسْوَة» لـ«المِنْفَحَة» أو «الانْفَحَة»، ومصطلَح «المِرَّة» لـ«المرارَة»، «والذي له ظِلْفان» و«رِجْلاهُ مشقوقَةَ باثنَيْن»، و«الذي له قُرون- أظلاف»[16]. وكان هناك تَحيُّرٌ وتَرَدُّدٌ في تعريب المُصْطَلَحات العلميّة المجهولة عند العرب آنذاك. وممّا لا شَكَّ فيه أنَّه بمُرور الزمن تطوَّرَت المفردات تدريجياً لاستيعاب العلوم الواردة من اللغات الأجنبية. ويَرَى نلّينو أنَّ الترجمةَ بلَغَت أوْجَها مِن حيْثُ الإتقان في القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد)[17]. ويُمكِن القولُ إنَّ استحداثَ كلمات، ومُصْطلحات علميةٍ جديدةٍ مُعبِّرَةٍ عن أفكارٍ كُتِبَت باللغات الأجنبية كان مَصدَرَ إثراءٍ لفظيٌّ للُّغة العربية في فترة حركة الترجمة من القرن الثاني إلى الخامس للهجرة (الثامن إلى القرن الحادي عشر للميلاد)؛ تماماً كما هي الحال في فترة عصر النهضة في القرن التاسع عشر، كما سنَرَى في الفصلَيْن الخامس والسادس من هذا الكتاب.

---

١٦) يحيى [يوحنا] بن البطريق (ت حوالي ٢٢٠ هـ/ ٨١٥ م) عمِل مع الحسن بن سهل، وكان مُعاصراً للجاحظ. نُسِبَت إليه ترجَمَةُ كتابِ «الحيوان» لأرسطوطاليس. ويجِبُ أنْ نذكرَ أنَّ بعضَ الشكوك أُثيرَت حولَ نَسَب ترجمة هذا الكتاب إليه.

انظر K. Kruck, 1979, p. 18. والصفحات التي تليها في هذا الكتاب.

انظر ارسطوطاليس «أجزاء الحيوان»: ٥٣، ١١٠، ١٢٣، ١٦٤، ١٦٨.

و«المِنفَحَة» أو «الإنْفَحَة» «كِرْش الحَمَل أو الجدي ما لم يأكُل». «لسان العرب»، مادّة «نَفَحَ»؛ و«المرارة» «هَنَةٌ لازقةٌ بالكبد وهي التي تمرئ الطعام تكون لكل ذي روح إلا النعام والإبل فإنها لا مرارة لها. . .»؛ و«. . . والمرارة التي فيها المِرَّةُ. . .». انظر «لسان العرب»، مادّة «مَرَرَ»؛ و«المِرَّة» «. . . إحدى الطبائع الأربع . . . والمِرَّة مزاج من أمزجة البَدَن . . .».

١٧) انظر نلّينو، ١٩١١، المصدر السابق، ص ٢٢٦.

لَفَتَ جورج صليبا نظري إلى أنَّ القولَ بأنَّ نقلَ العلوم اعتمَدَ النقلَ لفظاً لفظاً يُجافي الصواب، وأشارَ إلى أنَّ الترجمةَ التي قامَ بها الحجّاج بن مطر لـ«كتاب المجسطي» عام ٨٢٩ م، تَسْتَخدِم المُصطلحات العربية بغزارة وقليلاً ما تترجم كلمةً كلمةً – على حدٍّ قوله. ويُضيف صليبا أنَّ الحجّاج كان يُصَحِّح ما يَجِدُهُ خطأً في نَصّ «كتاب المجسطي»، وتُظْهِرُ ترجمتُهُ فَهْماً للمادّة المُتَرجَمَة. (تعليق صليبا المكتوب على مُسَوَّدة مادّة هذا الفصل، صيف ١٩٩٧).

من المُسلَّم به أنَّ المترجمين الأوائلَ واجهوا صعُوباتٍ في إيجاد المُرادف العَربيِّ لنَقْل الأفكار اليونانية، والهندية، والفارسية، والسريانية المُعبَّر عنها بألفاظٍ علميةٍ خاصةٍ بهذه اللغات. إذاً، من المعقول أنْ نُبدي أسباباً لهذه الصعُوبات. وليس من المُستَبْعَد أنْ يكونَ لهذه الأسباب صلةٌ باللغة العربية وطبيعتها، إذا ما قُورنَت باللغات الأخرى التي كان للعربية اتّصالٌ بها، كاليونانية، مثلاً. فلكلٍّ من هاتيْن اللغتيْن انتماءٌ عائليٌّ لُغَويٌّ يَتميزُ عن انتماء الأخرى بصفاتٍ خاصةٍ بكلتا اللغتيْن، والأُسَر اللغوية التي تنتميان إليْها. فنجدُ مثلاً أنَّ عائلةَ اللغات الهندو-أُورُوبيَّة تمتاز بتَوافُر السَّوابقِ *prefixes*، واللواحقِ *suffixes* التي تُسهِّل استنباطَ مفرداتٍ جديدةٍ، فتَتَمكَّن هذه اللغاتُ- باستعمال هذه الأدَوات - من التعبير عن المعاني والأفكار بدقَّةٍ، على عكسِ عائلة اللغات السامية حيثُ مثلُ هذه الأدوات محدودٌ نسبيّاً، على الرَّغم من توافر الأبْنِية العديدة وغناها في اللغة العربية التي يمكن من خلالها استنباط مفُرداتٍ قادرةٍ على التعبير الدقيق. وسَبَبٌ ثانٍ نستطيعُ إدراجَهُ هنا وهو صعُوبةُ استنباط كلماتٍ مُركّبَةٍ باللغة العربية. فبينما تَتَميَّز اللغاتُ الهندو-أوروبيّة، التي تنتمي اليونانية إليها، بمقدرتها على صَوْغ كلماتٍ مُركَّبةٍ، نَجدُ أنَّ اللغةَ العربيةَ تَتَحاشَى مثلَ هذه التراكيب التي قَد تبدو موحِشَةً للأسْماع، وغيْرَ دارجَةِ الاستعمال، على الرَّغم من أنَّ اللغويَّ المشهورَ أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ/ ١٠٠٥ م) يَنُصُّ على أنَّ «. . . العربَ تنحَتُ من كلمتَيْن كلمةً واحدةً، وهو جنسٌ من الاختصار . . .»[١٨]. ويُضيفُ ابنُ فارس أنَّ ما يزيد على ثلاثة أحرفٍ في اللغة العربية فأكثرُهُ منحوتٌ[١٩]. ويُوردِ ابنُ فارس أمثلةً تدلُّ على أنَّ بعضَ المفردات منحوتٌ من ثلاث كلمات[٢٠]. ويُضيفُ كذلك أنَّ الرُّباعي أو ما زادَ عن أربعة أحرفٍ يكون «. . . موضوعاً كذا وضعاً من غير نحت»[٢١]. وفي مواضعَ أُخرَى يذكرُ أنَّ ما زادَ على ثلاثة أحرفٍ يكون مُشْتَقّاً واضح الاشتقاق إما بزيادة حَرْفٍ كالميم، أو

---

١٨) انظر ابن فارس، «الصاحبي في فقه اللغة»، ص ٤٦١.

١٩) انظر ابن فارس، المصدر نفسه، ص ٤٦١.

٢٠) انظر ابن فارس «معجم مقاييس اللغة»، ج ٦، ص ٧١.

٢١) انظر ابن فارس، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٤٣.

القاف، أو اللام، أو الراء، أو الباء، أو غير ذلك من الحروف [٢٢]. فاستعمالُ «لا»، و«غير»، أو «ليس» في اللغة العربية يَجعلُ المُفردةَ لفظاً مُركّباً. وقديماً استعملَ المترجمون هذه الأدوات في اصطلاحاتهم الفلسفيّة، مثلاً، حيثُ وَرَدَ «غير مبكَّت» [٢٣]، و«ليس بمباينة» [٢٤]، و«لا برهان» [٢٥].

وجديرٌ بالذكر أنّ الترجمات من اليونانية، أو السريانية، والمُصطَلَحات المُستَنبَطَة في اللغة العربية والتي بَدَتْ غريبةً على الأسماع كانت سبباً في إثارة حفيظة دُعاة النقاء اللغويّ والقُدْسيّة المنسوبة إلى اللغة العربية. ومثالٌ على ذلك نَذكرُ المناقشةَ بين أبي سعيد السيرافي [٢٦]، ومتّى بن يونس [٢٧] في مجلس الفضل بن جعفر بن الفرات، وزير الخليفة العباسي المُقتَدِر سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م، الذي يَتَنَدَّرُ فيه السيرافي على متّى بن يونس لاستعمال كلمات مثل: «الهَلّيَّة» (المُشتَقَّة من «هَلْ») و«الأَيْنِيَّة» (المُشتَقَّة من «أين») و«الماهِيَّة» (المُشتَقَّة من «ما هو» أو «ما هي») و«الأيْسِيَّة»

٢٢) انظر ابن فارس، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٢-٥٥.

٢٣) على لسان يحيى [النحوي] الذي عاش في مصر قبل الفتح الإسلامي. وبعد الفتح اتَّصَلَ بعمرو بن العاص الذي قرّبَه. فَسَّرَ كُتُبَ أرسطوطاليس وجالينوس في الطبّ، وكَتَبَ كتباً أخرى في الفلسفة. انظر ابن النديم، المصدر السابق، ص ٢٥٤-٢٥٥.

٢٤) على لسان إسحاق بن حنين وهو مترجم من اليونانية، والسريانية للعربية. خَدَمَ خلفاء عبّاسيين كثيرين. مات سنة ٢٩٨ هـ. له «كتاب تاريخ الأطباء»، و«كتاب الأدوية المفردة». انظر ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٢٨٥ و٢٩٨.

٢٥) على لسان متّى بن يونس (ت حوالي ٣٢٨ هـ/ ٩٣٠ م). هذه الأمثلة مأخوذة من Afnan, 1964, *Philosophical Terminology*, p. 32

للمزيد عن متّى بن يونس انظر الهامش ٢٧ فيما يلي.

٢٦) نحويٌّ وقاضٍ في بغداد توفي سنة ٣٦٨ هـ/ ٩٧٩ م. له «شرح كتاب سيبويه»، و«شواهد سيبويه»، و«أخبار النحاة البصريين».

للمزيد انظر ابن النديم، المصدر السابق، ص ٦٢-٦٣؛ والسيوطي «بغية الوعاة»، ج ١، ص ٥٠٧-٥٠٩.

٢٧) عالم بالمنطق سكَن بغداد وتُوُفّي سنة ٣٢٨ هـ. انظر ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٢٦٣-٢٦٤.

و«الليْسيَّة» (المُشتقَّة من «ليس»)[٢٨]، إلخ. ولَوْ قَبِلنا القولَ بأنَّ اللغةَ العربيّة مَرنةٌ إلى حَدٍّ يُمكِّن المترجمين من استنباط هذه المفردات، فإنَّ بعضَهم ما كان يُتْقِن العربية، كما نلْمَس من الغَمْز الذي أظهره السيرافي نحوَ متَّى بن يونس في المحاورة بيْنَهُما[٢٩].

ربَّما لا نكون بعيدين عن الصَّواب إنْ قُلْنا إنَّ استنباطَ المُفردَة كان يَمرُّ في مَراحلَ مختلفةٍ في الفترة العبّاسيّة. فالمرحلةُ الأولى كانت مؤقَّتةً يحارُ المترجم في أثنائها أيَّ مُفردةٍ يختار. وفي بعض الحالات، نَجدُ أنَّ المفردةَ اليونانيةَ كان يُقابِلُها مُرادفتان (أوْ ربَّما أكثر) على ألْسنَةِ المُترجمين، أوْ المُتخَصّصين في العلوم، وذلك لعَدَم تَيَقُّن المترجِم من صحَّة استعمال المُفردَة. فمثلاً، استُعمِلَت كلمتا «الموسيقور» و«الموسيقار» للمُطرِب ومُؤلِّف الألحان[٣٠]. وأحياناً أُخرَى نَجدُ أنَّ كلمةً عربيةً واحدةً استُنْبِطَت للتعبير عن كلمتَيْن من اللغة الأصليّة. ومثالٌ على ذلك، نَسوقُ كلمة «منطق» التي استُعْمِلت لتُعَبِّر عن الكلمتَيْن اليونانيتَيْن «دايالكتك» (*Adialektike*)، و«لوجيكا» (*logica*)[٣١].

يذكُرُ فيليب حتّي أنَّ الترجمةَ كانت حَرْفيّةً إذا كانت النُّصوصُ الأصليةُ صعبةً. وفي حالة ما إذا ما تَوفّرَت الكلماتُ العربيةُ المُعبِّرةُ عن الأفكار اليونانية، أوْلم يَستَطعْ المترجمون استنباطَها، استعملَ المُترجمون الكلماتِ الأجنبيةَ، يونانيةً كانت، أم هنديةً، أم فارسيةً، مع شيءٍ من التعديل لتُناسِب الأبنية العربيّة، وللتعبير عن العلوم الدخيلة من اللغات الأجنبية المذكورة آنفاً[٣٢]. وهذا يُفسِّرُ استعمالَ الكلماتِ التاليةِ في اللغة العربية، - التي جلُّها من أُصولٍ يونانيَّة -، في المراحل الأولى من نقْل هذه العلوم للُغة العربية: «ارثماطيقي» (*arithmetic / arithmétique*)، و«جوماطريا» (*geometry / géométrie*)، و«جغرافية» (*geography / géographie*)، و«موسيقي» (*music / musique*)، و«فلسفة»

---

٢٨) انظر التوحيدي، «الإمتاع والمؤانسة»، ج ١، ص ١٠٧-١٣٠.

٢٩) انظر التوحيدي، المصدر نفسه، ص ١٠٧-١٣٠.

٣٠) انظر الخوارزمي «مفاتيح العلوم»، ص ١٣٦.

٣١) انظر Afnan, 1958, *Avicenna*, p. 84-85

٣٢) انظر Hitti, 1940, *History of the Arabs*, p. 311

(*philosophy / philosophie*)، و«أصطرلاب» (*astrolabe*)، و«أثير» (*ether / éther*)، و«إكسير» (*elixir / élixir*)، و«أبريز» (*pure gold*)، و«مغناطيس» (*magnet / aimant*)، و«أرغانون» (*organon*) [الأرْغُن]. ومن المعروف أنَّ بعضَ هذه الكلمات استُبْدِلَ به كلماتٌ عربيةٌ في المراحل المتأخِّرة من تطوُّر اللغة. فمثلاً، استُعْمِلت كلمة «علم العدد» بَدَلاً من «ارتماطيقي»، و«علم الهندسة» بدلاً من «جوماطريا» ٣٣. وحُوفِظ على البعض الآخَر على الحال اللغوية التي استقْدِمَ بها في المراحل الأولى من التعريب.

وأحياناً أُخرَى لجأ المُترجمون إلى ترجمة بعض الأفكار اليونانية المُعبَّر عنها بكلمات مُخَصَّصَة لاستعمالات مُعيَّنة. نُوردُ فيما يلي بعضَ المُصطلحات الجديدةَ التي استعملها الفلاسفة المسلمون كَالفارابي، وابن سينا وهي عبارةٌ عن ترجمات حَرْفيّة لكلمات أُصُولُها يونانيةٌ: «العلم المَدَنَي» (*the civic science, "politics / politique"*) حيثُ يقول ابن سينا إنَّ هذا يعرفُ «بإدارة المدينة» ٣٤؛ ويستعمل الفارابي مُصْطَلَحَ «السياسة» للتعبير عن شكلٍ من أشكال الحكم كَـ «السياسة النبوية»، و«السياسة الملوكية» (*monarchy / monarchie*)؛ «السياسة العاميّة» (*democracy / démocratie*)، و«السياسة الخاصيّة» (*aristocracy / aristocratie*)، و«السياسة الذاتية» (*autocracy / autocratie*)؛ «سياسة الخِسَّة/ سياسة الخَساسة» (*oligarchy / oligarchie*). وكلُّ هذه العبارات - كما سَبَقَ أنْ أشَرْنا - ترجمةٌ حرفيّةٌ من اليونانية. وكذلك تَبنَّاها ابن سينا، وأضاف غيرَها ٣٥.

ولأنَّ العربيّةَ كانت تَفْتَقِرُ إلى المُصْطَلَحات العلميَّة، والفلسفيَّة، والفنيَّة نَقَلَ المترجمون النُّصوصَ اليونانيةَ، أو السريانيةَ مُستعملين المُصْطَلَحات اليونانية، أو السريانية لسَدِّ الحاجة الطارئة

---

٣٣) كلمة «هندسة» فارسية الأصل من «اندازه». انظر «لسان العرب»، مادَّة «هندس».

٣٤) يقول الفارابي الذي استعمل هذا الإصطلاح إنَّ تَبَنِّي هذا الاصطلاح اعتمد على كتاب «السياسة» لأرسطوطاليس، وكتاب «السياسة» لأفلاطون المعروف بكتاب «الحاكم».

٣٥) هذه الأمثلة مأخوذة من Afnan, 1958, *op cit.*, p. 231-232. ويستعمل الخوارزمي اصطلاح «تدبير المنزل» وهو «تدبير الخاصة» و«تدبير العامة» وهو سياسة المدينة والأمة والملك»، المصدر السابق، ص ٨٠.

آنئذ. مثلاً، استعمل المترجمون أولاً الكلمة اليونانية «قاطغورياس» (*qatighuriyas*)، و«كاتغوريا» (*kategoriai*). ثمَّ جاء مترجمٌ فَطِنٌ بكلمة «مقولات»؛ وكلمة «كيان» السريانية و«كيونو» (*keyōnō*) المساوية لكلمة (*physis*) اليونانية بَدَلاً من كلمة «طبيعة» التي ورَدَت في وقتٍ لاحقٍ. وكمثالٍ للتطوُّر التدريجيّ لاستعمال المُفرَدَة، أُطلِقَ على ما سُمِّيَ فيما بعد «المُستشفَى» لفظ «بيمارستان» (*bimaristān*) المُعبِّرة عن هذه المؤَسَّسة الطبيَّة. واستمرَّ استعمالُ هذا المُصطلَح قُروناً عديدةً قبل أنْ تُصبِحَ كلمةُ «مُستَشْفَى» مُفْرَدَةً شائعةً مقبولةً [٣٦].

---

٣٦) Hitti, 1940, *op cit.*, p. 365

يجبُ أنْ نذكُرَ هنا أنَّ كلمةَ «البيمارستان» هو المُصطلَح الشائع لبيوت المَرْضَى قبل الإسلام وخلال القرون الوسطى. وبقِيَت لفظة «بيمارستان» شائعةَ الاستعمال مُرادِفةً لـ «بيت الصِّحة» في القرن التاسع عشر، كما نَجِدُ في كتابات رفاعة رافع الطهطاوي في وَصْف باريس في كتاب «تخليص الإبريز». انظر الفصل السادس التالي، الهامش ٢٧.

وكما هو واضح فإنَّ مصطَلَحَ «مُستَشفى» مُشتَقٌّ من «استشفى»، والأصل «شفَى». ولا أعرفُ تاريخَ استنباط هذه المُفرَدَة العربية المعاصِرَة، وشيُوعها في اللغة لهذه المؤَسَّسة الطِّبيَّة. ويجب أنْ نذكُرَ أنَّ مصطلَح «دار الشفاء» لـ «المستَشفَى» استُعْمِلَ في عصر السلاجقة عام ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٦ م عندما أُسِّس أولُ مستشفى في مدينة قيصرى.

حول لفظة «البيمارستان» انظر حديث ابن أبي أصيبعة عن أبقراط إذ يقول: « . . . ويقال انه أول من جدد البيمارستان واخترعه وأوجده . . . وكذلك أيضاً معنى لفظة البيمارستان، وهو فارسي، وذلك أنَّ البيمار بالفارسي هو المرضى، وستان هو الموضع، أي موضع المرضى».

للمزيد انظر «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، الباب الرابع، الأطباء اليونانيون الذين أذاع أبقراط فيهم صناعة الطب، مادّة وصيّة أبقراط، ص ٤٧؛ وكذلك انظر المقريزي «المواعظ والاعتبار»، ج ٢، ص ٤٠٥-٤٠٩.

وأورَدَ الشيخ عبدالله البستاني في «البستان» (ج ١، ص ١٣٤٣) في شَرْحِه لكلمة «مستشفى» أنَّ هذه اللفظة مُولَّدة فقال: «المستشفى بناء يقيم به المرضى ويعالجهم به أطباء ويعاني خدمتهم ممرضون وممرضات (مولَّد)». كما ينُصُّ «المعجم الوسيط» (ج ١، ص ٥٠٧) حول كلمة «المستشفى» على أنَّ هذه المفردَة «محدثة». ولا تُضيف معلومة البستاني هذه، أو شَرْح «المعجم الوسيط» تحديداً لتاريخ بدء استعمال هذا المصطلَح.

كان من الطبيعي في هذه المحاولات المُبكِّرة أنْ يلجأ المترجمون إلى تعريب المفردة الأجنبية وذلك بإدخالها إلى اللغة العربية بلفظها الأجنبيّ مع تحوير يُلائم بناءَ اللغة العربية الصوتيّ، أو الحفاظ على بناء المفردة الأجنبية كما كانت عليه في الأصل. فنَجِدُ مثلاً أنَّ الكلمةَ الفارسيةَ «جُوُهَر» (*gowhar*) استُعيرَت في العربية على شكل «جَوْهَر»؛ وكلمة «مايه» (*mayeh*) الفارسية أصبَحَت «مَادَّة». وكلمة «ميمار» (*mimar*) السريانية دَخَلَت العربية بنفس اللفظ [٣٧].

لا بُدَّ من القَوْل هنا إنَّ الأخْذَ من لغَةٍ تنْتمي إلى نفسِ عائلة اللغةِ الآخِذة يكون أسهلَ من الأخذ بين لُغتَيْن متُباعدتَيْن من حيث الانتماء اللغوي. على سبيل المثال، يكون اقتراضُ كلمةٍ من اللغة السريانية إلى اللغة العربية، وكِلْتاهما مُنْتَميَتان إلى عائلة اللغات السامية، أيْسَرَ من الأخذ بين لُغتيْن متُباعِدتيْن لغوياً كاللغة العربية، واليونانية. فنَجِدُ مثلاً أنَّ كلمةَ «نوموس» (*nōmos*) اليونانية كانت قد دخلت السريانية على شكل «ناموس» وأخذتها العربيةُ بنفسِ اللفظ [٣٨].

أخَذَ العربُ بعضَ مفاهيم علوم المُثلَّثات (*trigonometry / trigonométrie*) من الهند. وبالتالي فإنّه من المعقول أن يُصاحِبَ هذا الأخذ العلميَّ أخذٌ في المفردات التي تُعبِّر عن هذه العلوم، ذلك أنَّ اللغةَ العربيةَ كانت تنْقُصُها هذه المُفردات العلميَّة المعبِّرة عن هذه العلوم الطارئة عليها. وفي رأي نلّينو أنَّ «كلَّ الاصطلاحاتِ العربية من علْم حِساب المثلَّثات مأخوذةٌ من الهند

٣٧) Afnan, 1964, *op. cit.*, p. 26

٣٨) لعلَّ التجربةَ العربيّةَ لتعريب الكلمات اليونانية تُشْبِهُ استعمالَ كثيرٍ من الكلمات العربية في اللاتينية، أيْ مرحلة ألْتَنَة latinization الكلمات العربية، إذْ إنَّ اللغةَ اللاتينيةَ لم تملك المفرداتِ التي تستوعِب المصطلحات العربية، ممّا دفَع المترجمين إلى ألْتَنَة الكلمات العربية مثل «القلْي» (*alkali*)، و«الكيمياء» (*alchemy*)، و«الكحول» (*alcohol*)، و«التَنّور» (فُرْن) (*athanor*)، و«الإكسير» (*elixir*)، و«النَفْط» (*naphtha*). وأصبحت هذه الكلماتُ - فيما بعد - جُزْءاً من المُفردات العلمية للُغات الأوروبيّة العديدة. ويجب الإشارة هنا إلى أنَّ كلمات «الإكسير»، و«النفط»، و«الكيمياء» تنْحَدِرُ من أصلٍ يوناني؛ أمّا كلمة «تنّور» فهي سريانيّةُ الأصل.

Hill, Donald, 1990, *The Literature of Arabic Alchemy*, p. 328-341

لا من الفُرْس» ٣٩ . ومثالاً على ذلك يَسوقُ المُصْطلحَ «جَيْب» (*sine*) في علْم المثلّثات . فهذه الكلمةُ الطارئةُ على العربية تعريبٌ للكلمة السنْسكريتيَّة (*jiva*) . وقد استُقْدمت هذه الكلمةُ السنْسكريتيَّةُ على حالها فكُتبَت «جيبَ» لَدَى العرب . ويبدو أنَّ هذه الكلمةَ صُحِّفَت فيما بعد حيْثُ كُتبَت «جيبا» . وتدريجياً ، أصبحت «جيبَ» و«جَيْب» كلمةً واحدةً ، على الرَّغم أنَّه لا توجَدُ علاقَةٌ بين «جَيْب» الملابس والمُصطلَح الرِّياضيٌّ في علوم المُثلَّثات ٤٠ .

إنْ كانَ معظمُ مُصطلَحات علوم المثلَّثات وَرَدَ إلى اللغة العربية من اللغات الهندية – كما زَعَمَ نلّينو آنفاً – ، فإنَّ تأثيرَ الفُرْس كان أوْسعَ انتشاراً من التأثير الهندي ، وبخاصةٌ في «صناعة أحكام النجوم» [الفلك] . ولعلَّ السببَ يعود إلى أصْلِ العُلماء النشيطين في هذا الميدان كَنَوْبَخْت ، وعمر بن الفَرُّخان الطبري ، وغيرهما . وفي هذا الميدان وَرَدَت إلى العربية اصطلاحاتٌ فارسيَّةٌ كثيرةٌ مثل «الهيْلاج» (*alhyleg*) ، و«الكَذْخُداه» (*alcochoden*) و«الجانْبَخْتان» *alimbutar* والتي دَخَلَت اللاتينية عن طريق ترجمة العلوم الإسلامية إلى هذه اللغة ٤١ .

---

٣٩) انظر نلّينو ، ١٩١١ ، المصدر السابق ، ص ١٧٠ ، حاشية ٤ .

٤٠) انظر نلّينو ، ١٩١١ ، المصدر نفسه ، ص ١٦٨ ، حاشية ٤ .

٤١) انظر نلّينو ، ١٩١١ ، المصدر نفسه ، ص ١٤٦-١٤٧ ، إذْ يذكر أنَّ هذه المفردات الخاصّة بمُصطلَحات النُّجوم دَخَلَت اللغة اللاتينية على الأشكال التالية : **alhyleg, alcochoden, alimbutar**

«الهيلاج» ***alhyleg*** من أصل يوناني ، ويقول البعض من أصل هندي . والجمع «هيالج» أو «هيلاجات» ، بمعنى «أساس الحياة» (بالفارسية «چشمه زندگي» – الجيم والكاف الفارسيتان) ، أو «بالفارسية . . . امرأة الرجل . . .» . وتُعنَى بأحكام النجوم وتُقرِّر كيْفيَّةً وكميَّةً مقدار عمر المولود وسعادته والنحس الذي قد يُصيبه .

انظر دهخدا ، ١٩٦٨ ، «لغة نامه» ، مجلّد هـ ، ص ٣٦٣ ؛ والخوارزمي «مفاتيح العلوم» ، ص ١٣٣ ؛ «الكَذْخُداه» ***alcochoden*** أو «الكَدخُداه» المعنى الحرفي بالفارسية هو «صاحب البيت» . «وهو الكوكب – على الهيلاج وهو الذي يدل على كميَّة العمر بسنين موضوعة لكل كوكب كبرى ووسطى وصغرى [هكذا] . . .» . ولعلَّ التأنيثَ في نصِّ الخوارزمي خطأٌ طِباعيٌّ .

انظر الخوارزمي ، المصدر نفسه ، ص ١٣٣ ؛ ودهخدا ، ١٩٦٨ ، «لغة نامه» ، مجلّد ك ، ص ٣٩١ ؛ «الجانْبَخْتان» ***alimbutar*** أو «الجان بختان» أو «جان بختار» بمعنى «الشخص ذو الطالع الخاص» . كذلك =

وأرّخَ الخوارزمي لكلمة «اصطُرْلاب». وكان على وَعْيٍ بأنَّ أصلَ هذه الكلمة المُعَرَّبَة هو الكلمةُ اليونانيةُ «اصطرلابون» وقدَّم شرحاً للكلمتَيْن اليونانيتَيْن المُكوِّنَتَيْن لكلمة «اصطُرْ لاب» [٤٢]. وفي هذا التحليل اللُغَوِي سَخِرَ من «بعض المولَعين بالاشتقاقات في هذا الاسم بما لا معنى له . . .»، ومن أولئك الذين يَدّعون أنَّ هذه الكلمةَ عربيةُ الأصل. وبالإضافة إلى تبَنّي هذه الكلمة المعرَّبَة وَسَّعَ الخوارزمي استعمالات هذه الكلمة حيثُ ذَكَرَ أنواعاً عديدةً من «الاصطرلاب» باستعمال كلمة «اصطرلاب» المُعرَّبَة، وصِفَةٍ مُشْتَقَّةٍ من اللغة العربية لتُحَدِّدَ أنواعَ الاصطرلابات مثل «الاصطرلاب الكُرِيّ»، و«الاصطرلاب المُسَطَّح» [٤٣] . . . إلخ.

والإشاراتُ الكثيرةُ، كما يظهرَ من نُصوص يعقوب بن طارق [٤٤]، والصَّفَدي [٤٥]، وغيرهما من المؤلّفين، تَدلُّ على أنَّ بعضَ المترجمين الأوائلَ - قد نَستثني حُنَيْن بن إسحاق - كانوا يَميلون إلى ترجمة كلمةٍ مُقابِلَ كلمةٍ. وبالطَّبْع، أدّى هذا إلى أخطاء إذْ إنَّ العربيةَ واليونانيةَ، وغيرَهما من اللغات، لا تتَطابقان في المُفردات. وهذه الحالُ قادَت المترجمين إلى تعريب الكلمات الأجنبيَّة، أيْ نقلْها بلفظها من اللغة المنقول منها مع مُراعاة النظام الصوتي للُّغة العربية. وعلى العموم، فإنّ مدرسةَ ما قَبْل حنين تُظهِرُ جُرأةً كبيرةً، وإلماماً لُغَوياً واسعاً. ومن هؤلاء نَذكُرُ البطريق الذي عاشَ في أثناء خلافة المنصور (١٣٦-١٥٨ هـ/ ٧٥٤- ٧٧٥ م)، وجورجيس بن جبرائيل الطبيب والعارف بالدواء الذي خَدَمَ أيضاً الخليفة المنصور، ونَقَلَ من اليونانيّة إلى العربية،

= «معناه قاسم الروح وذلك أنَّ درجة الطالع تسير إلى الصعود والنحوس فصاحب الحد الذي يبلغه التسيير يسمى قاسم الحياة: والجانبختان البرماهي هو الامتلاء وهو أن يصير بدراً. . .». ولعلَّ «بختان» هي من الفارسية «بختار» أو «بختار» أو «بخشان» بمعنى «قاسم».

انظر الخوارزمي، المصدر نفسه، ص ١٣٤؛ ودهخدا، ١٩٦١، لغة نامه»، مجلد ج، ص ١٩٩.

٤٢) انظر الخوارزمي، المصدر نفسه، ص ١٣٤-١٣٦؛ و«اصطرلاب» تعني، حَسْبَ الخوارزمي، «مقياس النجوم».

٤٣) للمزيد انظر الخوارزمي، المصدر نفسه، ص ١٣٤-١٣٦.

٤٤) انظر نلّينو، ١٩١١، المصدر السابق، ص ١٦٤-١٧٣.

٤٥) انظر الصفدي، المصدر السابق، ج ١، ص ٧٩.

وباسيل (أو بسيل) المطران، وعبدالله بن المُقَفَّع، وغيرهم. وتَبْدو أصالةُ أصحاب هذه المدرسة في المفردات التي استنبطوها.

كان حُنَيْن بن إسحاق، ومدرستُه يُعارِضُ الترجمةَ كلمةً مُقابِلَ كلمة. وكانوا يُفَضِّلون طريقةَ الترجمة التي تعتمد على المعنى، لا سيَّما في المجالات غير المحسوسة (المعنوية) [٤٦]. وأدرَك حُنَيْن أنّ الجملةَ هي الوحدةُ للمعاني وترْجَم حَسَبَ ما يقتضي المعنى، حيثُ كان يبحث عن المفردات العربية لنقل المعنى الدقيق والمطابق للأفكار في اللغة اليونانية. فتَرْجَم «خلازيون» (*chalazion*) إلى «بَرَدَه». وكلمة «خلازيون» استُعْمِلَت بمَعْنَى «بَرَد صغير». واستعملَ «بَرَدَه» ليُعبِّر عن انتفاخٍ (بَثْر) صغيرٍ صلْبٍ في طَرَف الجَفْن الأعلى للعين. وتَرْجَم «پانوس» (*panus*) بمعنى «قطعة قماش مُمَزَّقة» إلى «سَبَل» واستعملها ليُعبِّرَ عن نَسيجٍ (*membrane*) به وعاءٌ يُغطّي جُزْءاً من القَرْنيّة، أو كلّها بسبَب مُضاعفَات مَرَض التراخوما، مَرَضِ العين المعروف [٤٧]. وعانَى كثيراً ليَسْتَنْبِطَ المفردات «الفَنيَّةَ» في العربية والسريانية [٤٨]. ويُظْهِر حُنَيْن بن إسحاق، ومجموعتُه درجةً رفيعةً من المعرفة باللغة؛ ونَثْرُ أصحاب هذه المدرسة أكثرُ طلاقةً ووُضُوحاً. ومن المؤكَّد أنَّ مدرسةَ من بعد حُنَيْن استفادت من مؤلَّفات سابِقيهم.

ولا بُدَّ من أنْ نُشيرَ إلى الخلاف بين المُصطلحات التي استخدَمَها يوحنّا [يحيى] بن ماسويه، ومُفردات حُنَيْن بن إسحاق فيما يتعلّق بمُصْطلَحات العيْن، حيثُ استعملَ يوحنّا [يحيى] ابن ماسويه أحياناً كثيرةً مُصطلحاتٍ سريانيةً، أو فارسيةً لعدم معرفته بالمُصطلحات العربية. وكمثالٍ على ذلك، استعمل يوحنّا [يحيى] بن ماسويه مُصطلَحيْن، واحداً سريانياً «عمتانا» (*'amtānā*)، بمعنى (*opacity / opacité*)، والآخرَ فارسياً «باد بخاست» بمعنى «ريح» أو «هواء الذباب» للذُّبابات التي تطفو أمام العَيْن، أيْ (*muscae volitantes*). بيْنَما استعملَ حُنَيْن بن إسحاق، من ناحيةٍ أُخْرَى، كلمةً عربيةً مُناسبةً لهذا المرض وهي كلمة «خيال». وبنفس

٤٦) انظر قولَ الصَفَدي عن حُنَيْن في المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٩،
وانظر أيضاً Rosenthal, 1970, *Knowledge Triumphant*, p. 197

٤٧) انظر Isaacs, Haskell D., 1990, « Medical Literature », p. 344-345

٤٨) انظر Goodman, L.E., 1990, « The Translation of Greek Materials into Arabic »

الطريقة، استعمل يوحنّا [يحيى] بن ماسويه مُصْطَلَحاً سريانياً وفارسياً لظاهرة العَيْن المَرَضيَّة (*exophthalmos* (*goggle-eye*))، في حين استعمل حُنَيْن بن إسحاق الكلمةَ العربيةَ «جُحُوظ».

ويذكر مايِرْهُوف أنّ المُصْطَلَحاتِ التي استنبطها حُنَيْن بن إسحاق تَمَّ تبنّيها في العلوم الطبية العربية كافّةً كما أثْبَتَ ذلك هِرشْبِرْغ (J. Hisrschberg, 1905) في مصطلحات طبّ العيون، ودي كُونِنْغ (P. De Koning, 1903) في مُصْطَلَحات التشريح [٤٩].

ممّا لا شكّ فيه أنّ بِداياتِ التعريب ولّدَت كلماتٍ كثيرةً لم تَحْظَ بالقبول ورُبّما تعرَّضت لتحويراتٍ في اللفظ، وطُرُقِ الاستعمال. فمثلاً وَرَدَ «سلاسي»، و«سالاخي»، و«صلاي»، و«سلاشي»، و«سلاخي»، و«صلاشي»، و«صلاسي»، و«صلاخي» وهي الفصفوريات (*cartilaginous fishes*)، و«الثوركس» الذي هو الصَّدْر [٥٠]؛ وأرين، ومتُغيّراتها: اوجين/عجين، وأذين، وأزين، المُعبِّرة عن فكرة أنّ للعالم مركزاً [٥١].

---

٤٩) انظر Meyerhof, Max, 1926, « New Light on Hunain », *ISIS*, Vol. VIII, p. 712

٥٠) لاحِظ أنّ المترجِم إسحاق بن حُنَيْن يُفسِّر الكلمة المُعرَّبة. المقالة الاولى من «كتاب فيه جوامع كتاب ارسطاطاليس [كذا] «في معرفة طبائع الحيوان لثامسيطوس» Themistius». انظر «شروح على ارسطو مفقودة في اليونانية ورسائل اخرى»، تحقيق وتقديم عبدالرحمن بدوي (١٩٧١).

٥١) وهذه التسمية تحريفٌ لاسم المدينة الهندية *Ujjayini*. ذَكَرَ بطليموس في جغرافيته *Ozene*؛ انظر ابن رسته «الاعلاق النفسية»، ص ٢٢ حيث قالَ «. . . ويقال إنّ وسط الأرض وهو الموضع الذي يسمى القبة مدينة تسمى اذين. . .»؛ وكذلك ذكر المسعودي في كتاب «التنبيه والاشراف»، ص ٢٢٥ «. . . وهم أهل خط الاستواء . . . فزآن وأزّين وعدَن . . .» وكما ذكر أبو الفداء في «كتاب تقويم البلدان»، ص ٣٧٦ «. . . وعند خط الاستواء قبّة ارين [كذا] . . .»؛ وكذلك المصدر نفسه، ص ٣٧٦ «. . . وهناك بهذه النقطة مكان يسمى قبّة ازين بالزاء وقيل بالراء المهملة . . .». مدينة «أُجّين» التي سمّتها العرب «أزّين» وصحّفوها على «أرين» أو «قبة أرين». ودخلت العربية كلمة «الأرين» بمعنى «محل الاعتدال في الأشياء».

انظر نلّينو، ١٩١١، المصدر السابق، ص ١٥٥؛ انظر كذلك الشريف الجرجاني «كتاب التعريفات»، ص ١٦.

ونتيجةً لعدَم فهْم المترجمين بعضَ أفكار اللغة المنقول عنها فقد استعملوا كلمات عديدةً، أو معُرَّبةً تُغايرُ المعنى المقصود في النَّص الأصليّ. فمثلاً، فهموا كلمةَ «التراجيدياء» بمعنى «المَدْح» (*panegyric / panégyrique*)، و«الكوميدياء» بمعنى «الهجاء» (*invective / invectif*) عندما ترجموا كتابَ أرسطوطاليس «فَنّ الشعر». كما استعملوا كلمتَيْن لأداء معنى «مُمَثّل»، وهما «المُنافق» (*hypocrite*)، و«مُتَقَمِّص الوجوه» (*the taker of faces*). ويذكرُ أفنان أنَّ ابن سينا يتَحَدَّث بحسْرَةٍ، ويأسٍ عن «الشيء الذي يُسمّونه تَقَمُّص الوجوه» ٥٢.

لعلَّنا لا نَبْتَعِدُ عن الصَّواب إنْ قُلْنا إنَّ الترجمةَ من اليونانية إلى العربية اقْتَفَت خُطوات نَقْل المؤلَّفات اليونانية إلى السريانية والتقاليدَ المُتَّبعةَ فيه، سواء كانت المؤلَّفاتُ علميةً أو دينيةً أو فلسفيةً. واللغةُ السريانيةُ تطوَّرَت نتيجةَ الاتّصال المُباشر باليونانية التي كانت لغةَ الكنيسة. واستُحْدث الكثيرُ من المفردات السريانية عن طريق اقتباس المفردات أو الترجمات الحَرْفيّة من اليونانية. واقتَفَى نَحْوُ السريانية النَّحْوَ اليوناني، وأصبحت المفرداتُ السريانية ثَرِيَّةً نتيجةَ اقتباس مفردات اللغة اليونانية، أو الترجمة الحَرْفِية منها ٥٣. كما كانَ للُّغة الفارسية تأثيرٌ على السريانية عن طريق «مدرسة الفُرْس» (*The Persian School*) في نصيبين الدينيّة الطابِع عُموماً، والتي كان معظمُ طلابها من أصولٍ فارسيّة. ونتيجةً لهذا، فإنَّ هذا التأثيرَ اليونانيَّ، والسريانيَّ، أو الفارسيَّ على الترجمات إلى العربية كان لا مناصَ منه. وليْسَ من المُسْتبعَد أنْ نُخمِّن أنَّ الخلفيةَ اللغويةَ السريانيةَ، والآراميةَ كان لها تأثيرٌ كبيرٌ على المترجمين. ومن المُمكن أحياناً التأكُّدُ من أنَّ الترجمةَ كانت من اليونانية إلى العربية مُباشَرَةً أو من اليونانية إلى العربية عن طريق السريانية من تركيب الجُمَل، وصيَغها، وأسلوبِها، والمفردات المستعمَلَة ٥٤.

---

٥٢) Afnan, 1958, *op. cit.*, p. 19

٥٣) لعلَّ حُنَين بن إسحاق يُعتَبَرُ مُؤسِّس المُعجميّة السريانيّة، وقواعد اللغة السريانيّة إذ ألَّفَ كتابَيْن في هذَيْن الموضوعَيْن. وكَتَبَ أيضاً رسالةً حول المُترادفات.

انظر Wright, 1894, *A Short History of Syriac*, p. 106 & 211-215

٥٤) Afnan , 1964, *op. cit.*, p. 22

يُمكنُنا عرضُ الخطوات التي مرَّت بها الترجمةُ بالمراحل التالية :

أولاً) تعدُّدُ الكلمات المُستَنبَطةِ من قِبَل مُترجمين عديدين وذلك ناتجٌ عن أسبابٍ كثيرةٍ منها :

أ) مَدَى تَمَكُّنِ المُترجِم من اللغة المنقول عنها ومن اللغة العربية ؛

ب) خَلْفيَّةُ المُترجِم اللغويةُ وثقافتُهُ، سواء كانت هذه الثقافةُ يونانيةً، أو سريانيةً، أو عربيةً، أو فارسيةً، واحتمالُ تأثيرِ هذه الخلفيّة على استنباطِ الكلمات وتَبَنّي كلمةٍ فارسيةٍ أو كلمةٍ سريانيةٍ أحياناً، أو الجَمْعُ بين اللغتَيْن أحياناً أُخْرَى. ومثالُ ذلك، الكلماتُ التي سقُناها، والتي استعملها يوحنّا [يحيى] بن ماسويه، وحُنَيْن بن إسحاق للتعبير عن حالة الجُحُوظ في العَيْن ؛

ج) الأدوارُ التاريخيةُ التي مَرَّت بها الترجمةُ سواء كانت الترجمةُ في مراحلَ مُبَكِّرةٍ أم مُتأخرةٍ. ومثالُ ذلك أنَّ المُفردات المستَعْمَلَةَ في ترجمة كتاب أرسطوطاليس «الميتافيزيقا» (*Metaphysica*) تختلف عن مفردات مدرسة حُنَيْن بن إسحاق، التي استعملها الفلاسفة فيما بعد. والكلماتُ المُهِمَّة التي استنبطها حُنَيْن، وابنُه إسحاق، وأتباعُهما تختلف عن كلمات سابِقَيْهما [٥٥]، وأصبحت هذه المُستَنبَطاتُ الكلماتِ الدارجةَ في الفلسفة، والمنطق، والميتافيزيقا، وعلم النَّفْس حتَّى اليوم.

ثانياً) توقُّف الترجمة لأسبابٍ عديدةٍ خارجةٍ عن نطاق هذا البحث، واستقرارُ المفردات في اللغة العربية نتيجة التراكم في المفردات بسبب الترجمة من القرن الثاني حتَّى الخامس للهجرة (من القرن الثامن حتَّى القرن الحادي عشر للميلاد).

ثالثاً) إبداعٌ وخلقٌ من داخل اللغة المنقول إليها.

لعلّنا لا نُجافي الصَّوابَ إنْ قُلْنا إنَّ العربيةَ - على مَدَى تاريخها - استَوْعَبَت كثيراً من الأفكار والمفردات لدلالاتٍ جديدةٍ بالتدريج. فالأفكارُ الإسلاميةُ الطارئةُ على مُجتمع الجزيرة

---

٥٥) Afnan, 1958, *op. cit.*, p. 21

العربية في بداية القرن الأول للهجرة (السابع للميلاد)، سواء كانت دينيّةً، أو اجتماعيةً، أو سياسيّةً، أو اقتصاديةً، وجَدَت الألفاظَ المناسبةَ للتعبير عنها بمُفردات كانت قد استُعْملت قبل الإسلام لدلالات مختلفة. ومجيءُ الإسلام حوّرَ استعمالَ بعضِ هذه المُفردات لتُعبّرَ عن الأفكار الإسلاميّة الجديدة. وعلى سَبيل المثال، نذكرُ كلمتَيْ «حَجّ» و«صَوْمْ». فكلمةُ «حَجّ» كانت تعني في اللغة «القَصْدُ للزِّيارة». واستُعْمِلَت في الخِطاب الإسلامي بمعنى «قصد زيارة مكّة» «إقامةً للنُّسُك» الذي يُمارِسهُ المُسلِم في وقتٍ مَخصوصٍ «بشرائط مخصوصة». أمّا كلمة «صَوْم» فقد عنَت أصلاً «الإمساك عن الفعل» على شكلٍ مُطلقٍ، سواء فعْل الأكْل، أو الكلام، أو المشي. وفي الشَّرْع الإسلامي اكتَسَبَت لفظةُ «صَوْم» معنى الإمساك عن تَناوُل الأكْل، والشُّرْب، والدَّواء، والجِماع من طلوع الفجر حتّى غُروب الشمس مع توفُّر النيّة [٥٦].

وأصبحت العربيةُ في القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) مُتطوِّرةً، ومَرِنَةً للتعبير عن الأفكار العلْميَّة، والآراء الفلسفية إلى مُستوىً راقٍ [٥٧]. هذا بعد أنْ كانت لغةَ الشعر في الجاهلية. وهذا نَموذجٌ من رُقِيّ العربية وتطوّرها في الفترة [العبّاسية] لتُصبِحَ الواسطةَ الكافيةَ للتعبير عن الفكر العلميّ في كلِّ مناحيه.

والمُصْطلحاتُ العربيةُ المُسْتَحْدَثَة تشْمَلُ أسماءً وأفعالاً مُشْتقّةً من الأدَوات العربية مثل «هُوِيَّة»، و«أيْس». واستُعمِلَت الأدَوات كأنّها أسماء مثل «الأَنْ»، «لَيْس»، و «أيْس» [٥٨].

يَظهرَ من السُّطور السابقة مَدَى المُكابَدَة التي خبَرَتها اللغة العربية في القرون الخمسة (القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر للميلاد) وهي المكابَدَة المُتَمثّلة في محاولة العلماء من أبنائها للرُّقي بها إلى مُستَوىً متطورٍ قادرٍ على التعبير عن أفكارٍ علميّةٍ وفلسفيّةٍ جديدة في تلك الأوقات.

---

٥٦) انظر الرّاغب [الحسين بن محمد] الإصفهاني «مفردات ألفاظ القرآن» [كذلك ورَدَ اسم الكتاب «المفردات في غريب القرآن»]، مادّة «حج»، و«صوم»؛ وكذلك الشريف الجرجاني، «كتاب التعريفات»؛ وابن فارس «الصاحبي في فقه اللغة»، «باب الأسباب الإسلامية»، ص ٧٨-٨٦.

٥٧) Hitti, 1940, *op. cit.*, p. 316; Rosenthal, 1970, *op cit.*, p. 203

٥٨) Zimmerman, Fritz W., 1990, « Al-Kindi », p. 364-369

ويُمكننا القول إنَّ لهذه الفترة نظيراً في فترة القرن التاسع عشر، تلك الحقبة التي اُصْطُلِحَ على تسميتها بـ«عصر النَّهضة»، وشعَرَ خلالها علماءُ العربية بالتَّقهقُر الذي أصابَ اللغة خاصةً، على مُستوى المفردات اللازمة للتعبير عن أنماطٍ حضاريّة جديدة، ومُسَمَّياتٍ، وعلومٍ حديثةٍ واردةٍ من الغرب. ودَفَعَ هذا الشعور نَفَراً من العلماء للبحث عن السُّبُل الكفيلة بعلاج هذا الوَهن اللغوي إما عن طريق التنظير للخروج بالعربيّة من وَضْعها الواهن، وذلك عن طريق تطوير المعاجم اللغوية بِرِيادة (أحمد) فارس الشدياق (١٨٠١/ ١٨٠٤؟-١٨٨٧ م) في هذا المجال، كما نَرَى في الفصل الخامس، أو عن طريق المُمارَسة الفعليَّة في استنباط مُفرداتٍ مُستَحْدَثَة مُعبِّرةٍ عن أنماطٍ حضاريةٍ جديدةٍ، كما نَرَى في الفصل السادس، الذي يتناول شَريحةً صغيرةً فقط من جهود رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١/ ١٨٠٢-١٨٧٣ م) في كتابه الشهير «تخليص الإبريز في تلخيص باريز».

وكتَوْطئةٍ تاريخيَّةٍ لدَوْر هذَيْن العَلَمَيْن الرياديّ في قضيَّة المُصطلح اللغوي العربي، سنَعرِض للحالة الثقافيَّة والفكريّة في البلاد العربية قبل الغزو الفرنسي لمصر وبلاد الشام (١٧٩٨-١٨٠١ م) في الفصل الثالث. كما سنَعْرِض في الفصل الرابع لحركة الترجمة في مصر، والمصطلحات المُستَحْدَثَة في القرن التاسع عشر.

الفصل الثالث

الحالة الثقافية والفكرية في البلاد العربية قبلَ الغزْو الفرنسي لمصر وبلاد الشام (١٧٩٨-١٨٠١ م) وبعدَه

يُمكِنُ القولُ إنَّ الحالةَ الثقافيَّةَ والفكريَّةَ في البلاد العربية في أواخرِ القرن الثامن عشر انحَصَرَت في الدراسات التقليديّة: فالعلوم كانت مُقْتَصِرةً إلى حَدٍّ كبيرٍ على الدراسات الدينيَّة كَدراسة القرآن والحديث، والعلوم اللغوية المُرتبطة ارتباطاً وثيقاً بهذه الدراسات، والعلوم (علم الهيْئَة، والميقات)، وعلم الفَلَك، والمُثلَّثات، ومقاييس الزَّمَن بغَرَض حِساب المواسم الدينيّة كتَوقيت الأهِلَّة لشَهْر رمضان، وذي الحِجَّة، إلخ. وكانَ التعليمُ بِشكلٍ عامٍّ بعيداً من ناحية الموضوعات، وتوافُر الموادّ التدريسية عمّا كانت عليه الحال المُتَقَدِّمة في بعض الدول الأُوروبِيَّة الغربيَّة كفرنسا وبريطانيا.

ففي مصر اعتمَدَت الطبقةُ الحاكمةُ من ناحية الطِّب، مَثلاً، حتَّى مُنْتَصَف القرن الثامنَ عشرَ على الطِّبِّ البَدَنيِّ القديم الذي كان بعدُ يُدَرَّس بأُسلوب المدارس الإسلاميّة القديمة كـ «البيمارستان المنصوري» في القاهرة. وقَدِمَ في مُنْتَصَف القرن الثامن عشر إلى مصر بعضُ الأوروبيِّين الذين أصبحوا جنوداً مُرتَزِقةً، أو تُجّاراً مغامرين. وضَمّوا بعضَ الأطباء الذين أدخلوا العلومَ الحديثةَ في الطِّبّ[١].

---

١) انظر Peter Gran, 1979, *Islamic Roots of Capitalism*, p. 166-167

وعلى الرَّغم من العزُلة التي فُرِضَت على البلاد العربية التي كانت جزءاً من الدولة العثمانية مُدَّةَ أربعة قرون ممّا حالَ دونَ اتّصالها بالأُمَم المُتَطوِّرَة في أوروبّا آنذاك [٢]، فقد ظَهَرَ فيها عَدَدٌ من الأعلام الأقطاب مثل مُرتَضى الزَّبيدي، وعبدالرحمن الجَبَرْتي، وقلّة آخرين [٣]. وللتدليل على الرُّكود بأشكاله المختلفة الذي أصابَ الأُمَّة العربية في ذلك الوقت نُورِدُ ما كتَبَه المؤرِّخُ المصريّ الجَبَرْتي، والرَحَّالةُ الفرنسيُّ ڤُولْني Volney في هذا الشأن [٤].

٢) شفيق غربال، مُقدِّمَة كتاب «الشرق الاسلامي في العصر الحديث» لحسين مؤنس (صفحة هـ).

٣) وُلِدَ مُرتَضى الزَّبيدي في عام ١١٤٥ هـ/ ١٧٣٢ م، وهاجَرَ من زَبيد في اليمن إلى مصر عام ١١٦٧ هـ/ ١٧٥٣ م. وهو فقيهٌ، ومُحدِّثٌ، ولُغَويٌ، ونَحْويٌ. له مُؤلَّفاتٌ ومُصنَّفاتٌ كثيرةٌ، أشهرُها «تاج العروس»، وهو شرْح المُعجَم اللغويّ «القاموس» للفيروزأبادي. ومات سنة ١٢٠٥ هـ/ ١٧٩١ م.
للمزيد انظر الجَبَرْتي «عجائب الآثار»، ج ٤، ص ١٤٢-١٦٧؛ علي مبارك «الخطط التوفيقية الجديدة» (٣)، ص ٣٤٢-٣٤٦؛ جرجي زيدان، «تاريخ آداب اللغة العربية»، ج ٣، ص ٣٠٢-٣٠٤؛ والزِّركلي «الأعلام»، ج ٧، ص ٧٠؛ ومحمود الشرقاوي، ١٩٥٧، «مصر في القرن الثامن عشر»، ج ١، ص ٨٦-٩٢.
أمّا عبدالرحمن الجَبَرْتي فوُلِدَ في القاهرة عام ١١٦٧ هـ/ ١٧٥٣-١٧٥٤ م في عائلة معروفة بالعلم والمعرفة والجاه. وهناك اختلافٌ حول سنة وفاته، حيْث ذُكِر أنّها كانت ١٢٤٠ هـ/ ١٨٢٤ م، و١٨٢٦ م. له مؤلَّفاتٌ تاريخيةٌ منها «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»، و«مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس» عن الاحتلال الفرنسي لمصر (١٧٩٨-١٨٠١ م).
للمزيد انظر جرجي زيدان، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٦١٩-٦٢٠؛ لويس شيخو، «الآداب العربية في القرن التاسع عشر»، ج ١، ص ٢١؛ محمود الشرقاوي، ١٩٥٧، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢-٤٤؛ *EI*[2], (Vol. II), p. 355-357 ; *EI*[1] , (Vol. II), 986-987.

٤) الكونت ڤولني Comte de Volney (١٧٥٧- ١٨٢٠ م) عالمٌ فرنسيٌ وفيلسوفٌ سياسيٌّ. اسمُه Constantin-François de Chasseboeuf. بعدَ دراسة القانون والطّب، أمضَى ڤولني ثمانيةَ أشهرٍ في دراسة العربية في دَيْر في لبنان، وارتَحَل بعد ذلك إلى مصر وسورية ما بيْن ١٧٨١ و١٧٨٧ م. وكتَبَ عن رحلاته كتاباً باسم *Voyage en Éypte et en Syrie*، ونُشِرَ هذا الكتابُ في مُجلَّدَيْن بالفرنسية سنة ١٧٨٧ م. ونُشِرَت الترجمةُ الإنكليزية لهذا الكتاب بعنوان ***Travels Through Syria*** =

أَوْرَدَ الجَبَرْتي حادثةً عن أحوال التعليم في مصر كما رآها الوالي العثماني أحمد باشا، المعروف بـ«كور وزير»، خلال الفترة التي تَولَّى فيها هذا الوالي الحُكْم في مصر (١١٦٢/ ١١٦٣ هـ (١٧٤٩/ ١٧٥٠ م). فقد عقَدَ الوالي أحمد باشا اجتماعاً مع وُجُوه العلماء المصريين آنذاك، وجلُّهم من الأزهر وبينهم الشيخ عبدالله الشَّبْراوي، شيخُ الجامعِ الأزهر آنذاك، وتكلّم معهم في أمورٍ عديدةٍ شَمِلَت الرياضيات. وبَعْدَ مُساءلَتهم تَبَيَّنَ له أنَّهم لم يكونوا يعرفون أُمورَها، ذلك أنَّ اهتمامَ شيوخِ الأزهر كان مُقْتصِراً في العلوم الرياضية على الحِساب اللازم في عِلْم الفرائض. فخابَ ظَنُّ الوالي بهذه الصَّفْوة من العُلماء، وأدْرَكَ مَدَى ضَحالة مُستوَى العلوم والمعارف في مصر آنذاك، خاصَّةً في الأزهر الذي كان من المفروض أنْ يكونَ مركزَ الإشعاع العلمي[٥].

وَمِنْ حديثِ الوالي العثماني مع هؤلاء العلماء، وفيهم شيخُ الجامع الأزهر، نفْهَمُ أنَّ شيخَ الأزهَر كان يُدرك أنَّ العلومَ الرياضيّة تحتاجُ إلى أدواتٍ، وشروطٍ، ولوازمَ، وصناعاتٍ لا بُدَّ من الحصول عليها للتقدُّم في هذه العلوم. وكانَ واضِحاً من وَضْعِ الأزهر آنذاك عَدَمُ تَوافُرِ هذه الشُّروط، أو عَدَمِ تَوافُرِ الطلاب ذوي القابلية لتلقّي العلوم الرياضية وذلك بِسَبَبِ خَلْفيّاتِهم الاجتماعية وأحوالهم المالية[٦]. ولعلَّ واقعَ الأزهر هذا يعكِس الحالةَ العلميةَ المُتأخِّرَة لا في مصر وحدها بل في البلاد العربية كافّة آنذاك.

= *and Egypt* سنة ١٧٨٨ م في لندن. وتَدُلُّ طباعة مؤلَّف ڤولني هذا بالفرنسيّة في سنة عودته من رحلته، ثُمَّ بالإنكليزية في السنة التالية على اهتمام أوروبا بالتعرُّف على أقطار المشرق العربي. هذا ولم أعثر على ترجمة كتاب ڤولني هذا إلى العربية التي ذَكَرَها لي شاكر الفحّام.

ولتقويم فِكْر ڤولني يَحْسُن الاطلاع على الطبعة الجديدة لهذا الكتاب التي أشرفَ عليها جان غُولْميه Jean Gaulmier والمُقدّمة التي كتبَها عام ١٩٥٩ م.

للمزيد انظر *The Encyclopedia Americana* (28), p. 225 ; *The New Encyclopaedia Britannica* (12), p. 424 ; *La Grande Encyclopédie* (31), p. 1112-1113.

٥) الجبرتي، «عجائب الآثار»، ج ٢، ص ٨٢–٨٥.

٦) الجبرتي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٣.

وكتَبَ الرَّحالةُ الفرنسي ڤُولْني حَولَ التأخُّر في البلاد العربية آنذاك، والدولة العثمانية كَكُلٍّ فقال: «. . . إنَّ العلاقةَ الوطيدةَ بين الفُنُون والعلوم لا تَتْرُكُ مَجالاً للشكِّ في أنَّ العلُومَ لا تزال مُهملةً؛ وإنْ أرَدْنا قولَ الحقيقة فإنّها لا تزال غيرَ معروفةٍ. والجَهْل في سورية - كما هو الحال في مصر - مُطْبِقٌ. وتسْري هذه الحالُ على جميع مناطق الامبراطورية [العثمانية]. ونستطيع أنْ نُصدِرَ الحكمَ نفسَهَ على مُجمَل البلاد الخاضعة لحكم الأتراك. وحاولَ بعضُ الناس عبَثاً أنْ يُنكروا وُجُودَ هذه الحال. ومِنَ العبَث أنْ يتَحدَّثوا عن الكُلِّيات، ومعاهد التعليم، والكتُب. فهذه [المُسَمَّيات] لا تعنِي الشيء نفْسَه للأتراك كما هو مفهومٌ عندنا. وعصورُ الخلفاء [العبّاسيّين] [عصر الازدهار العلمي] قد ولَّت عند العرب، ولكنها لم تَحِن بعد للأتراك. إذْ إنَّه ليس لهذَيْن الشعبَيْن في الوقت الحاضر علَماء مُثلثّاتٍ، أو فَلَكٍ، أو موسيقيون، أو أطبّاء. . .» [٧].

ويضيف ڤُولْني «. . . والعقبةُ الكبرى للتطوُّر في مصر تَكْمُن في جهْل الشعب المُطبِق والذي يحول دون فَهْمِهم لأسباب علاّتِهم أو اكتشاف الدواء الناجع لها . . .» [٨]. ونَفْهَم من كتابات ڤُولْني أنَّ هذا الجهلَ كانَ عاماً بَيْنَ طبقات الشعب كافةً. ويتَضحُ هذا الجهلُ جلياً في المعرفة العلميَّة، والفنيَّة، وفي الصنائع التي كانت متأخِّرةً وبدائيَّةً. كما كانت معظمُ حاجاتهم مُستَوْرَدَةً من البلاد الأجنبية. ويذكُرُ ڤولني أنّه كان يصعُب أنْ يَجدَ الإنسانُ مِهَنياً قادراً على تصليح ساعةٍ، وإن وُجِدَ فلا بُدَّ أنْ يكون أُورُوبياً.

وعلى الرَّغم من التحامُل المُسْبَق الذي - ربَّما - كان يُكِنُّه ڤُولْني تجاه الدولة العثمانية، ووَسْمِها بالصورة السَّلبيَّة التي وَرَدَت في كتابه، أو المُبالَغة التي قدْ يتَّسِم بها وَصفُه للوضع التعليمي، والعلمي، والصّناعي، في الدولة العثمانية عامَّةً، والبلاد العربية خاصَّةً، فإنَّ هذا

---

٧) Volney, *Voyage en Égypte et en Syrie* (2), p. 442-443

من الفصل التاسع والثلاثين الخاص بالفنون والعلوم وجهل الناس - وقد ترجمتُ ما أورَدْتُه نقلاً عن النَّص الإنكليزي من الكتاب بعنوان *Travels Through Syria and Egypt*, vol. II.

٨) Volney, *op. cit.*, I, p. 204-205 من الفصل الثاني عشر، القسم الثامن، بعنوان «حالة الفن» - وترجمتها كذلك عن النَّص الإنكليزي المذكور في الهامش السابق.

الوَصْفَ، وكتابات الرَّحالة الآخرين، يُعْطيانا صورةً ليست مُشرقةً عن حال التعليم، والتصنيع آنذاك، قبل زَحْفِ نابليون بأسْطُوله، وجَيْشه نَحْوَ مصر عام ١٧٩٨ م. وسَنَرَى في الصفحات القليلة القادمة مَدَى أثَرِ الحمْلة الفرنسيّة في إيقاظ المشرق العربي من السُّبات الذي ألَمَّ به، وتأثيرات هذه الحملة الإيجابيّة، على الرَّغْم من السَّلبيّات التي خلَّفَتْها، والتَّسلُّط والتحكُّم الأجنبيَّيْن في مصير شعبٍ بأكمله. فكما هو مَعْروفٌ، أحْضَرَ نابليون مَعَهُ طائفةً من العلماء في ميادين العلوم المختلفة الكثيرة. وقام هؤلاء العلماءُ بدراسة جوانبَ عديدةٍ من حياة المجتمع المصري، ووثَّقوا هذه الدراساتِ في المجلَّدات العديدة التي أصبحت تُعْرَفُ بـ «وَصْفِ مصر» Description de l'Égypte [٩]. وأثناءَ وُجود هؤلاء العلماء، الذين كان بعضُهُم من المُستشرقين الملمّين باللغة العربية، والأدب العربي، والدين الإسلامي، وعلوم القرآن، تَمَّ الاتّصالُ بينَهُم وبيْنَ بعضِ العلماء المصريين، حيثُ كَوَّنَ الفرنسيون «مَجْمَعاً» علمياً في مصر، وأعدّوا مكتبةً تحوي كثيراً من الكتُب لتَسهيل القيام بأبحاثٍ في مجالاتٍ مختلفة، وشجّعوا الاتصالَ بين العلماء الفرنسيين والعلماء العرب المسلمين. فلقد تَحدَّثَ الجَبَرْتي عن زياراته لهذا المَجْمَع واطّلاعه على التقدُّم العلمي الذي أحْرَزَهُ الفرنسيون [١٠]. ودَفع به هذا الاطّلاعُ إلى المُقارنة بين ما كان يَجري في فرنسا وبين مُستويات التعليم ووسائله في الأزهر الذي كان منارَ المدارس آنذاك.

---

٩) هذا عنوان الكتاب الذي وَضَعه نخبةٌ من العلماء الذين رافقوا نابليون في حملته على مصر. ونَجِدُ في هذا المُؤلَّف وَصْفاً شاملاً، ومُفَصَّلاً لمصر القديمة، وآثارها، وتاريخها الطبيعي، وجغرافيّتها، ومصر زمن الاحتلال الفرنسي بما فيها تجارتها، وصناعتها، والأمراض المُنتشرة فيها، والفن الموسيقي فيها، إلخ.

ويتكوَّن هذا الكتاب من ٢٣ مُجلَّداً من القطع الكبير، ويشتمِل على خرائط، ورسوم. وتمَّ نشره على مدى السنوات ١٨٠٩-١٨٢٢ م. والطريف أنَّ عبارةَ «نُشِرَ بناءً على أمْرِ جلالة الإمبراطور نابليون العظيم» غُيِّرَت إلى «نُشِرَ بناءً على أمْرِ الحكومة» بعد سقُوط نابليون من الحكم.

للمزيد انظر *The New Encyclopaedia Britannica* (18), p. 108؛ والمصدر نفسه (20), p. 575.

١٠) انظر وَصْف المكتبة في الجبرتي، «عجائب الآثار»، ج ٤، ص ٣٤٨-٣٥١.

وكان الديوانُ أحدَ وسائل الاتصال بين العلماء الفرنسيين وعلماء مصر من المشايخ ذوي الباع الطويل في العلوم الإسلامية، وفقه الشريعة، وتفسير القرآن [١١]. وأتاحَ هذا الاتّصالُ بين صفْوَة العلَماء في مصر ونظائرهم من الفرنسيين الفُرْصَةَ لعلماء الشّرق أنْ يَعُوا أموراً كثيرةً كانت تدور آنذاك في الميادين العلمية في الدول الأوروبيّة المتقدِّمة. فبينما كانت فرنسا، وبعضُ دول غرب أوروبّا، تَنْعَم بالتطوّر العلمي والتقدُّم الصناعي الذي واكَبهَ، كان الشرقُ يعيش حياته التقليديةَ الرتيبةَ بمَعزلٍ عن التطورّات العالمية آنذاك.

لا بُدَّ أنْ نَقِفَ هنا ونُوردَ بعضَ الأفكار عمّا قد ينتُج من الاتّصال الحضاريّ بين حَضارةٍ مُتطوِّرة - كما كانت حالُ فرنسا في ذلك الوقت - وأُخرى راكدةٍ - كما كانت الحال في مصر آنذاك -. وسنُورد نُبْذةً قصيرةً عما آلَت إليه الأمورُ في الشرق نتيجة هذا الاتصال.

من ْنافلةِ القَوْل أنْ نَذْكرَ أنَّ الصرِّاعات بكُلِّ أنواعها، سواء كانت عسكريةً، أم اقتصاديةً، أم نفسيةً، أم اجتماعيةً، والتي تنتج من تلاقي نِظامَيْن مُختلفَيْن: نظامٍ قَويٍّ في النواحي العسكرية، والاقتصادية، والعلمية، ونظامٍ أقلّ قُوّةً في هذه النواحي، لا بُدَّ أنْ تكونَ نتيجتَها سَيْطرَةُ القَوِيِّ على الضَّعيف. وتكون هذه السيطرةُ إمّا سَيْطرةً تامَّةً تتلاشى بها شَخصيَّةُ الضعيف، أو محدودةً إلى مَدَىً مُعينٍ، وفي ميادين مُعيَّنةٍ. وفي كلتا الحالتَيْن، لا بُدَّ أنْ يَتولَّدَ نظامٌ جديدٌ يجمعُ النظامَيْن، وأنْ يظهرَ - نتيجةَ هذا الصرِّاع - ردُّ فعْل أبناء النظام الضعيف الأصليين. وردُّ الفعْل هذا قَدْ يُساعدهم - بِشكْلٍ من الأشكال - في بناء مُجتَمعهم الجديد [١٢].

وإذا طبّقْنا هذا النَّموذجَ على الصراع الناتج عن الغَزْو الأوروبيّ الفرنسي لمصر وَجَدنا أنَّ النظامَ القديمَ أخَذَ في التراجُع تدريجياً. فلقد برزَت مظاهرُ في المجتمع المصريّ نَسْتَشفُّ منها الاستعدادَ لَدَى طبقة الصَّفْوَة لقبُول بعض الأفكار الغربية - سواء كانت علميةً أو غيرَ ذلك - في حدود ما هو مقبولٌ للمجتمع العربي الاسلامي آنذاك. فإذا تَتبَّعْنا علاقةَ الشيخَيْن

---

١١) للاطلاع على أسماء هؤلاء العلماء، انظر الجبرتي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٠٢-٣٠٣، وج ٥، ص ٤-٦ و١٩١-١٩٣؛ والشيال، «تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية»، ١٩٥٠، ص ٢٥.

١٢) انظر الفصل الأول في Tignor, 1966, *Modernization and British Colonial Rule*, p. 66

إسماعيل الخشّاب، وحسن العطّار [١٣] بأعضاء الحملة الفرنسية، وتأثيرها في ميُولهما واتّجاهاتهما نَحْوَ الإفادة من العلوم والمعارف الغربية وسيلةً للتطوُّر المَنْشود [١٤]، وما تركَهُ العطّار من تأثيرٍ في الآخرين مثل محمّد عيّاد الطنطاوي، ورفاعة رافع الطهطاوي أدْرَكْنا أنّ طبقةً جديدةً من المُثقّفين بَدأَت تأخُذُ في البُروز في مصر، وأنّ استعداداً جديداً نَحْوَ نظامٍ تعليميٍّ حَديثٍ بَدأ يَتَبلْوَر. ومثالٌ على ذلك أنّنا نجِدُ عالِماً مثل حسن العطار بَدَأ دراسةَ العلوم العقلية، والاهتمامَ بدراسة

١٣) الشيخ حسن العطّار (١١٨٠ - ١٢٥٠ هـ/١٧٦٦ - ١٨٣٤/ ١٨٣٥ م) خالَط علماءَ الحملة الفرنسية، واهتمَّ بالعلوم الطبيعية العصرية كالطبِّ، والفلك، وعلوم الرياضيات، والجغرافية، والتاريخ. تَوَلّى مَشْيَخةَ الأزهر زَمَنَ محمد علي، وكان داعيةً إلى التطوُّر، واكتساب العلوم الحديثة نتيجةً لشعُوره بقُصور الموادّ المُدَرَّسَة في الأزهر آنذاك. وهو أيضاً الذي رَشّح رفاعة رافع الطهطاوي ليكون إمامَ البعثة الأولى لفرنسا (١٨٢٦ م). للعَطّار مُؤلّفاتٌ كثيرةٌ تشملَ حواشيَ في النَّحو، ورسائل في العلوم، والطبّ، والمنْطِق، والإنشاء والمراسلات.

للمزيد عن العطار، انظر علي مبارك، «الخطط التوفيقية»، ج ٤، ص ٨٢-٨٥؛ جرجي زيدان، «تاريخ آداب اللغة العربية»، ج ٤، ص ٥٩٦؛ ولويس شيخو، «الآداب العربية في القرن التاسع عشر»، ج ١، ص ٥١-٥٢؛ الشيال، ١٩٥٠، المصدر السابق، ص ٢٩-٣٢؛ والشيال، ١٩٥١، «تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي»، ص ١٢٠-١٢١؛ ومحمود الشرقاوي، ١٩٥٧، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٨-٥٤.

أمّا إسماعيل الخشّاب (ت ١٢٣٠ هـ/ ١٨١٤ - ١٨١٥ م) فهو شاعرٌ، وناثرٌ، ومُتمكّن في العلوم الفقهية. عيِّن أثناء الحملة الفرنسية في الديوان الذي أنشأه الفرنسيون كاتباً للحوادث اليومية، واستمرّ في هذا العمل أثناء حكم الجنرال مينو Menou حتّى رحيل الفرنسيين عن مصر. له ديوانُ شعرٍ جَمَعَه بعد وفاتهِ صَديقُهُ حسن العطار (انظر أعلاه).

للمزيد عن الخشاب، انظر الجبرتي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٣٣٤-٣٤١؛ علي مبارك، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢١٣-٢١٥؛ جرجي زيدان، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٧١-٣٧٢؛ ولويس شيخو، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠؛ والشيال، ١٩٥٠، المصدر نفسه، ص ٢٤-٢٩.

١٤) انظر علي مبارك، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٨٢؛ جرجي زيدان، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٥٩٦؛ ولويس شيخو، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥١.

الهندسة، والفَلَك. وفي أثناء إقامته في استنبول (١٨٠٢-١٨١٠ م) أظهرَ اهتماماً بدراسة الطبّ (١٨٠٨-١٨١٠ م) كما كانَ يُمارَسُ في الغرب في ذلك الوقت وكما كان يُعْرَفُ لَدَى النُّخبة في استنبول، واهتمَّ بمؤلّفات الأطبّاء الأوروبيّين، ومُسْتَشْفيات استنبول، والتيّارات الطبيّة الغربيّة التي كانت معروفةً لَدَى النُّخْبة العثمانية من خلال ترجمات المؤلّفات الرئيسيّة. ومارَسَ العَطّار لاحقاً تدريسَ التشريح والطبّ في دمشق أثناء إقامته هناك بين عام ١٨١٠ وعام ١٨١٥ م في المدرسة الباذرائيَّة [١٥]. وهكذا، نجدُ أنَّ العلماءَ العربَ أدركوا أهميَّةَ التجديد في المدارس، والتركيز على العلوم العقليّة. وَسَنَرى فيما بَعْد، عنْد بحثِنا لفترة ما بعد الحملة الفرنسية، كيف أنَّ هذا الاستعدادَ لقبول الأفكار الجديدة ولَّدَ طبقةً جديدةً من المتعلمين المثقفين، وكيف أنَّ نظاماً اقتصادياً، وعلمياً، وتعليمياً جديداً بَدَأ يظهرُ في التطوُّر التِّقَني كما يتَّضحُ من بِناء مصانعَ حربيةٍ وغيرِ حربيةٍ تحْت إدارة محمد علي التي دامت من سنة ١٨٠٥ حتَّى سنة ١٨٤٨ م.

حتَّى نَفْهَمَ الاجراءاتِ التعليميةَ التي اتَّخذَها محمد علي أثناء حكمه، ونستطيعَ الحُكْمَ على جَدْوى هذه الاجراءات ومَدَى تأثيرها، لا بُدَّ من إيراد كلماتٍ وجيزةٍ عن حالة التعليم قبل ظهور محمد علي في مَسْرح حياة مصر السياسية. ومن الجديرِ بالذكْر هنا أنَّ دراستَيْن شاملتَيْن بقلم أحمد عزت عبدالكريم [١٦] وهيوِرْثْ-دَنْ Heyworth-Dunne [١٧] بَحَثَتا هذا الموضوعَ بحثاً وافياً، وأوْرَدَتا المعلوماتِ الوفيرةَ التي تُفيد القارئَ المُهتمّ. وسَنُورِدُ هنا نُبذةً مُختَصَرَةً عن هذا الموضوع.

---

١٥) انظر Peter Gran, 1979, *Islamic Roots of Capitalism*, p. 106-111 . أوْرَدَ غْران Gran اسم المدرسة «البدْرَئيَّة». وفي النُّعَيْمي، «الدارس في تاريخ المدارس»، ج ١، ص ٢٠٥-٢١٥ وَرَدَ الاسم على «البادرائيّة» [نسبَةً إلى «بادرايا» بفتح الباء والدال والراء، قرية في العراق]؛ وفي محمد كرد علي، «خطط الشام»، ج ٦، ص ٧٦ وَرَدَ «الباذرائيّة».

١٦) انظر عزت عبدالكريم، «تاريخ التعليم في عصر محمد علي»، ص ٣-٢٦.

١٧) Heyworth-Dunne, 1968, *An Introduction to the History of Education in Modern Egypt* الفصل الأول، ص ١-٩٥.

كان من المعتاد أنْ يُرسِلَ بعضُ الناس أبناءَهم الذكور إلى الكتاتيب المنتشرة في المدن والقرى والتي كان يُشرِف عليها بعضُ الشيوخ. وفي هذه «المدارس» الأوّليَّة كان الأطفال يحفظون القرآنَ ويتعلّمون مبادىءَ القراءة، والكتابة. وكذلك كانوا يتعلّمون مبادئَ علم الحساب. وكان الطالبُ المبرِّزُ من بين هؤلاء - والذي كان يتوَفَّرُ له الدَّعْم من أسرته - يُوفَدُ إلى الجامع الأزهر في القاهرة ليَبْدأَ دراساتٍ تحضيريةً تلي هذه المبادىء الأوليّة، ثُمَّ يترَقّى شيئاً فشيئاً ليبدأ المرحلةَ العاليةَ من العلوم الإسلامية، واللغوية، والأدبيّة.

كان الجامع الأزهر المؤسسةَ التعليميةَ التي ارتكز عليها التعليم في مصر ارتكازاً كاملاً. ولأهميّةِ الأزهر التعليميّة، والعلمية أصبحت هذه المؤسَّسةُ المركزَ الثقافيَ الإسلاميَ الرئيسَ في جميع البلاد الإسلامية حيث وَجَبَ على مَنْ أراد التزوُّدَ بالعُلوم الورُودُ إلى الأزهر والإقامةُ هناك سنوات للعَبِّ من مَناهل العلم كما كانت معروفةً آنذاك.

وشَمِلَ المِنهاجُ الأزهري، الذي كانت تجري محاولاتٌ بيْنَ الفيْنة والأُخرى لتطويره أوْ تعديله، نَوْعَيْن من العلوم: (١) العلوم النَّقْليَّة، أو العلوم الوَضْعيَّة مثل تجويد القرآن، والقراءات، والتفسير، والحديث، والفِقْه وعلم الأُصُول، وعلم الفرائض؛ و(٢) العلوم العَقْليَّة التي تنقسم إلى قِسمَيْن: (أ) العلوم اللغوية مثل النَّحْو، والصَّرْف، وعلم البيان، والبديع، والمعاني؛ و(ب) والمنطق، والحساب، والميقات، والجبر، والفَلَك. ويذكرُ علي مبارك أنَّه لم يكن هناك اهتمامٌ بالتاريخ، والجغرافية، والفلسفة، والديانات المُقارنَة [١٨].

وكما نَرَى فلقد كان التعليمُ قبل ظهور محمد علي على مسرح الحياة في مصر مُقتصراً على التعليم الديني في الكتاتيب، أوالمساجد، أو الأزهر. وكان الأزهر المؤسسةَ التي تصوغ روحَ التعليم ومُقوِّماته. فالمُؤَسَّساتُ التعليميَّةُ في المساجد في الأقاليم خارجَ القاهرة استَوْحَت مادتّها، وطُرقَ تدريسها من الرُّوح الأزهرية السائدة آنئذ.

عندما ارتقَى محمد علي سُدَّة الحكم في مصر في عام ١٨٠٥ م وبَدأَ يُثَبِّتُ خُطاه في إدارة البلاد، أدْركَ أنَّ قُوَّةَ مصر تكمُن في بناء جيشٍ وأُسطولٍ قَوِيَّيْن لحماية نُفوذه، وللحفاظ على مركزه. ومن الإنصاف أنْ نُضيفَ هنا أنّ جميعَ الإصلاحات الأخرى التي فكَّر فيها محمد علي

---

١٨) علي مبارك، المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٣-٦٤.

أو قام بها، كالإصلاحات الزراعية، والصناعية، والتعليمية، كانت تَهدفُ إلى بناءِ جيْشٍ قويٍّ. وفي هذا المجال، حَذا محمد علي حَذْوَ السلاطين العثمانيين الذين حاولوا بناءَ دولةٍ قويةٍ تستَندُ إلى الأسُس الحديثةِ السائدةَ آنَذاك، كالسلطان العثماني سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧ م)، الذي تمَّ غزْوُ نابليون لمصر في أثناء حكْمه. ويَجِبُ أنْ نَذكرَ هنا أنَّ المدرسةَ الخاصَّةَ بالعلوم الطبيّة والتي أنشأَها محمد علي عام ١٨٢٧ م تحْت إشراف الدكتور الفرنسي كلُوت بك Clot-Bey [١٩] هدَفَت في بادئ الأمر إلى إعداد الأطبّاء، ومُساعديهم لخدمة الجيش. كما كانت الغايةُ من الصناعات، ووَسائل المواصلات التي أنشأَها محمد علي توفيرَ الحاجات العسكرية للجيش الذي كان يُخطِّط لبنائه [٢٠].

---

١٩) تُورِد المصادرُ العربية هذا الاسم على «كلُوت بيك»؛ وأوْرَدَه لويس شيخو، المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٩ «كلوط بك». لا شَكَّ أنّ كتابةَ الاسم باللغة العربية بثَبْت التاء في نهايته، أو الطاء كما في شيخو، مُتأثِّرةٌ بالرَّسْم الكتابي للاسم باللغة الفرنسية Clot. وكما هو معروفٌ فإنَّ كثيراً من الكلمات الفرنسية المُنتهية بحرفٍ صامتٍ مثل التاء، مثلاً، لا يُلفَظ فيها هذا الحَرْف، على الرَّغم من ثَبْتها في الكتابة.

كلُوت بك (Antoine B. Clot "Clot-Bey") (١٧٩٣ - ١٨٦٨ م)، عضو الأكاديمية الطبية الملكية في باريس، حضرَ إلى مصر عام ١٨٢٥ م طبيباً في الجيْش المصري، وأصبحَ مديرَ مستشفى «أبي زعبل» في القاهرة، وهو مؤَسّسُ مدرسة الطبّ في القاهرة عام ١٨٢٧ م، والخَدَمات الطبيّة في مصر. له مؤلّفاتٌ تعليميةٌ عديدةٌ في الطبّ تُرْجِمَت إلى العربية، ونُشِرَت في القاهرة لتُستَعمَل في مدرسة الطبّ. وألّفَ كذلك عن حياته في مصر، وسنوات خِدْمته في حكم محمد علي التي دامت مدّة خمسة عشر عاماً. من هذه الكتب «لمحة عامّة عن مصر» *Aperçu Général Sur l'Égypte* حيْث نُشِر عام ١٨٤٠ م. ودافَعَ كلوت بك في هذا الكتاب عن إدارة محمد علي. وتُرْجِم هذا الكتاب إلى العربية في جزْأيْن بقلم محمد مسعود بعنْوان «لمحة عامّة إلى مصر».

للمزيد انظر جرجي زيدان، المصدر السابق، ج ٤، ص ٥٣٢؛ وجرجي زيدان «مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر»، ج ٢، ط ٢، ص ٣-٨؛ وابراهيم مصطفى الوليلي «مفاخر الأجيال في سيَر أعاظم الرجال»، ط ٢، ص ٣٥-٣٧؛ وانظر أيضاً

Jean-Marie Carré, 1932, *Voyageurs et Écrivains*, vol .I, 282-286.

٢٠) Vatikiotis, 1969, *The Modern History of Egypt*, p. 60

ولتوفير الدَّعم اللازم والخدمات الضرورية للجيش «الحديث» الذي كان يَعْتَزِم محمد علي تأسيسَه على النَّمط الفرنسي، وما يقتضيه هذا من تأسيسٍ للمدارس، والدواوين كالمدرسة الحربيّة في أسوان، ووزارة الحرب (نظارة الحربية) والمعروفة آنذاك باسم «ديوان الجهادية»، باتَ محمد علي مُقتنعاً بأنَّ تطويرَ هذه المؤَسَّسات يستلزم تطوُّراً تعليمياً ذا مُستوىً عالٍ. وكان هذا الإدراكُ مُنْطلَقَ النهضة التعليمية التي استدعاها بناءُ الجيْش القَويّ.

وعلى الرَّغم من العلاقة الوطيدة التي عَقَدَها محمد علي بين بناء جيشٍ قويّ ومُستوىً تعليميٍ عالٍ يخدمُ هذا الجيشَ، بَدَأَ هذا الوالي تدريجياً يَهْتَمُّ بالتعليم لذاته إذْ كان يُدْرِكُ إدراكاً كاملاً أهميّةَ المعرفة. ويتَّضح هذا من الرِّعاية التي أظهرها نحوَ المبعوثين للدراسة في المدارس الأوروبيّة، واهتمامه بالترجمات من اللغات الأوروبيّة [٢١].

وهكذا، بَدَأَ محمد علي يُعدُّ نَمَطَ تعليم «الكوادر» المصرية لتَخْدِم في مؤَسَّساته العسكرية، والحُكوميّة على أُسُسٍ علميّةٍ حَديثة تختلف عن مُؤَسَّسات الأزهر. وكان هذا بدايةَ خُطوتَيْن هامّتَيْن في نَشْر التعليم: الأولى تَتَعلّق ببناء المدارس والكليّات في الميادين المختلفة؛ والثانية تشملُ إيفادَ الطلاب في بعثاتٍ علميّةٍ إلى الدول الأوروبيّة المختلفة.

أمْضَى محمد علي، كما أسْلَفْنا، زمناً طويلاً، وبذلَ جهوداً كبيرةً، وأنْفَقَ أموالاً طائلةً في بناء المدارس ذات الاختصاصات المختلفة. فبَدَأَ بإنشاء المدرسة الحربية الأولَى بمدينة أسوان عام ١٨٢٠ م [٢٢]، ومدارسَ حربيةٍ أُخرَى في فَرْشوط، والنخيلة، وأبار (بمنطقة جرْجا). وأنشأَ

٢١) Ahmed, 1968, *The Intellectual Origins*, p. 10

٢٢) نُقلَت هذه المدرسة من أسوان إلى إسنا، ثُمَّ إلى إخميم، ثُمَّ إلى النخيلة (قرب أسيوط). وأخيراً استقَرَّت هذه المدرسةُ الحربيةُ في «الخانقة» بالقرب من القاهرة. ويُورِد الجبرتي في «عجائب الآثار»، ج ٤، ص ٣٠٧ (يوميّة سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف، شهر صفر) الاسمَ «الخانكة». ويُورِدِ أمين سامي باشا «التعليم في مصر»، ص ٩، وعمر طوسون «البعثات العلمية»، ص ٣٠، هامش ١، وعزت عبد الكريم، ١٩٣٨، «تاريخ التعليم» الاسمَ على «الخانقاه». ويورده جرجي زيدان في «مشاهير الشرق»، ج ١، ص ١٦٧ «الخانكاه قرب المطرية». ولكن وَرَدَ اسمُ «الخانقة» [في منطقة قليوب] في *Description de l'Égypte*, 1822, vol. II, Part II, p. 815-816 واخميم تقَع في منطقة جرجا في =

مدرسةٌ إعداديةٌ عام ١٨٢٥ م باسم «المدرسة التجهيزية الحربية» للتعليم الحربي بالقصر العَيْني، ومدرسةَ أركان الحرب بقرية «جهاد أباد» قرب أبي زعبل بجوار القاهرة عام ١٨٢٥ م على يد ضابطٍ فرنسي باسم پْلانا Planat، ومدرسةَ الموسيقى العسكرية عام ١٨٢٤ م، والمدرسةَ البحريةَ بالاسكندرية عام ١٨٣١ م، ومدرسةَ السواري (الفُرْسان) بالجيزة عام ١٨٣١ م، ومدرسةَ المدفعية بطُرَة عام ١٨٣١ م، ومدرسةَ البيادة (المُشاة) بقرية «الخانْقَاة» عام ١٨٣٢ م [٢٣].

ويُقدِّم باوْرِنْج (Bowring, 1840) تقريراً وافياً عن حال التعليم في مصر أيّام محمد علي، ويَذْكُرُ إنشاءَ المدرسة الفَنّيّة polytechnic عام ١٨٣٤ م، ومدارسَ أُخرى تَهدف إلى إعداد طُلاّبٍ في المدفعية عام ١٨٣١ م، والهندسة ١٨٣٤ م، والجُسور والمناجِم عام ١٨٣٤ م، والطبِّ البَشَرِيِّ ١٨٢٧ م، والطبِّ البَيْطريّ ١٨٣١ م. كما يذكرُ أيضاً أنّه كانَ لجميع أساتذة هذه المدارس رُتَبٌ عسكريةٌ، ورواتبُ، وتجهيزاتٌ حَسْبَ النظام العسكري [٢٤]. كما يُقَدِّمُ وَصْفاً وافياً للبرنامج الأُسبوعيّ الأكاديميّ في المدارس الفَنّيّة المختلفة، ولتوزيع الموادّ الدراسية خلال السنوات الهجرية

= صعيد مصر الأوسط. وبها آثارٌ قديمةٌ. انظر لَفْظَ هذه المدينة ووَصْفَها في «أبي الفداء» «تقويم البلدان»، ص ١١٠-١١١. كذلك انظر *Description de l'Égypte*, 1822, vol. II, Part II, p. 798
للتفاصيل عن هذه المدرسة، انظر عزت عبدالكريم، ١٩٣٨، المصدر نفسه، ص ٣٨٧-٣٨٩.

٢٣) لا بُدَّ أنْ نذكُرَ هنا أنَّ تغييراتٍ كثيرةً طَرَأَت على هذه المدارس على مَرّ السنين في زمن محمد علي، وبعد وفاته، حيثُ تَعَرَّضَ بعضُها للنَّقْل من مكانٍ إلى آخَر، أو للإلغاء، أوْ الدَّمج نتيجة تنظيم التعليم في مصر عام ١٨٣٦/١٨٣٧ م. ومثالاً على نَقْل مواقع هذه المدارس نَذْكُر أنَّ «مدرسةَ البيادة» (المُشاة) نُقِلَت من قرية «الخانقة» إلى دمياط عام ١٨٣٤ م، وإلى «أبي زعبل» عام ١٨٤١ م.
للمزيد عن هذه المدارس انظر جرجي زيدان، «تاريخ آداب»، ج ٤، ص ٣٨٠؛ عزت عبد الكريم، ١٩٣٨، المصدر نفسه، ص ٣٨٦-٤٢١؛ الشيال، ١٩٥١، المصدر السابق، ص ٢٩-٣٢؛ الرافعي «عصر محمد علي»، ١٩٥١، ص ٣٧٨-٣٩٢ و٤٢٣-٤٣٠؛ وانظر أيضاً
Heyworth-Dunne, 1968, *op. cit.*, p. 134-144; Hamont, P[iere] N[icolas], 1845, *L'Égypt Sous Méhémet-Ali*, vol. II, p. 163-169

٢٤) Bowring, 1840, *Report on Egypt and Candia*, p. 125-129; Yacoub Artin Pacha, 1890, *L'Instruction Publique en Égypte*, p. 78-79

١٢٥٢ - ١٢٥٥هـ(١٨٣٦-١٨٣٩/ ١٨٤٠ م). وكذلك يُزوِّدنا بوصفٍ كاملٍ لمدرسة الفُرْسان، ومدرسة اللغات الأجنبية، ومدرستَيْ الطبّ، والطبّ البيطري [٢٥].

ما يَهُمُّنا بشكلٍ خاصٍّ من هذا العَرْض المُوجَز هو حالةُ اللغة في هذه المدارس. وسَتَتَناول الوضعَ اللغويَّ في مدارس مصر في الفصل التالي. كما سَنَتَناولُ حركةَ الترجمة، والتحريرَ، وأثَرَ ما نُقِلَ إلى مصر في دُخول مُصطلحاتٍ جديدة، وحركةَ التصنيع، وانتشارَ مظاهر حضاريةٍ أوروبيّةٍ، وأثَرَها في اللغة، لا سيَّما من ناحية المُفردات، والمُصْطَلَحات المُسْتَحْدَثَة.

٢٥) Bowring, 1840, *Ibid.*, p. 134-135

الفصل الرابع

حركة الترجمة والمُصْطَلَحات المُستَحْدَثَة في مصر في القرن التاسع عشر

كان التعليمُ في المدارس «الرسميَّة» [الابتدائية] في مصر في زَمَن محمد علي يُعنَى عنايةً كبيرةً بالتعليم الديني، وخاصةً القرآن، والفرائض الدينية، والقراءة، والكتابة، ونَحْو اللغة العربية، وصرْفِها، والحساب[1]. أمّا من الناحية اللُغَويَّة، فالاهتمامُ في هذه المدارس [التجهيزية] في مصر كانَ باللُغتَيْن الشرقيتَيْن التُّركية، والفارسية على درَجاتٍ متَفاوِتة. فتعليمُ التركية كان لأنَّها اللغةُ الرَّسميَّةُ في الدولة العثمانية، التي كانت مصر جُزْءاً منها، ولأنّها لغةُ الطبقة الحاكمة، والصَّفْوَة من المصريين. وهذا يُفَسِّر العنايةَ بتعليمها في مدرسة المُبْتَديان بالقاهرة[2]. أمّا اللغةُ الفارسية، اللغة الإسلاميَّة الهامَّة للمثَقَّف والعالِم في العلوم والآداب الإسلاميّة في تلك الفترة، فكانت اللغةَ الثانيةَ لبعض أفراد الطبقة الحاكمة، ومحدودةَ الاستعمال بالمُقارنة مع اللغة التركية،

---

١) انظر وَصْفَ اَدْوَرْد ولْيَم لين Edward William Lane (١٨٦٠ م) المُفَصَّل في *An Account of the Manners and Customs of the Modern Egyptians* (الصفحات ٥٩ وما يليها) عن تعليم الأولاد، والمدارس، والكتاتيب، ومادّة الدراسة، والمعلمّين. وملاحظات لين هذه اعتمَدَت على زياراتٍ قام بها المؤلّف إلى مصر في السنوات ١٨٢٥ م، ١٨٢٦ م، ١٨٢٧ م، و١٨٢٨ م؛ كذلك انظر عزت عبدالكريم، ١٩٣٨، المصدر السابق، ص ١٧٤-١٧٥.

٢) عزت عبدالكريم، ١٩٣٨، المصدر نفسه، ص ١٧٥.

و«يهتمُّ بها الأغنياء من الناس» [٣]. ولم تأخذ اللغاتُ الأجنبيّةُ الأوروبيةُ مكانَها في الخُطَّة الدراسيّة إلا في السنوات الأخيرة من عصر محمد علي [٤].

أمّا المدارسُ المُتنوِّعةُ ذاتُ التخصُّصات المختلفة، مثل «المدرسة الحربية في أسوان»، و«مدرسة الإدارة الملكية»، ومدارس الطبّ، والطبّ البيطري، والزِّراعة، والهندسة التي أنشأها محمد علي في السنوات المُبكِّرة من فترة حُكْمه فكانت تُدار بشكلٍ أساسيٍّ على يَدِ أساتذةٍ أجانبَ تعاقدَ معَهم هذا الحاكم لتصريف أُمور هذه المؤسَّسات التعليمية. وكما هو معروفٌ، فإنَّ محمد علي استدعى من تحتاج إليه الحكومةُ من خُبَراء للقيام بأمْر المُنشآت العسكريّة، والبَحريّة، والصِّحيّة، والتعليميّة، والصناعيّة من الدول الأوروبية. واستقدمَ هؤلاء الخُبراءَ من إيطاليا أولاً، ثُمَّ تَحوّل بعدَ ذلك إلى فرنسا [٥]. وفي المدارس المُتخصِّصة مثل «مدرسة اللغات» كان

٣) عزت عبدالكريم، ١٩٣٨، المصدر نفسه، ص ٧٨؛ الشيال، ١٩٥١، المصدر السابق، ص ٢٢٢-٢٢٣.

٤) انظر Bowring, 1840, *op. cit.*, p. 12؛ وعزت عبدالكريم، ١٩٣٨، المصدر نفسه، ص ٧٠.

٥) يذكر Yacoub Artin Pacha (1890) في *L'Instruction Publique en Égypte*, p. 71 أنَّ الإيطاليةَ كانت اللغةَ الأوروبيةَ التي كان يتكلَّم بها أغلبيةُ مُدرِّسي المدرسة العسكرية التي أنشأها محمد علي سنة ١٨٢٥ م في القصر العيني بالقاهرة، وذلك أنَّ محمد علي أدْخَلَ الإيطاليةَ مادّةَ دِراسةٍ في مدرسة القلعة التي أسَّسها بعد مَذْبَحة المماليك في عام ١٨١١ م. ويذكر أمين سامي باشا («التعليم في مصر»، ١٩١٧، ص ٧) أنَّ محمد علي أصْدرَ أمراً بتعيين أحَدِ القُسُس لإعطاء دروس في اللغة «الطليانية». ويُضيف أنَّ «. . . هذا أول أمر صَدَرَ بتعليم لغات أجنبية بمدارسه».

انظر كذلك Heyworth-Dunne, 1968, *op. cit.*, p. 108.

كما يذكر عزت عبدالكريم (١٩٣٨، المصدر نفسه، ص: ٩٠-٩٢) أنَّ محمد علي استَدْعَى مُعلّمين للمدارس، وضُبّاطاً للجيش، واشترى آلاتِ الطباعة من إيطاليا؛ وترْجَم الكتب الإيطالية إلى التركية، أو العربية. كما نستدلُّ أيضاً على أنَّ الإدارةَ الصِّحيَّةَ كانت في يَدِ الإيطاليّين. وبقِيَ حالُ اللغة الإيطالية في المقام الأوّل، ونُفُوذُ الخبراء الإيطاليين قَويّاً حتى عام ١٨٣٦ م، حين تضاءلت الحاجةُ إليها، وحلّت اللغةُ الفرنسية مَحلَّ الإيطالية بالتدريج؛ وكذلك حَلَّ الفرنسيون مَحلَّ الإيطاليين.

ويبدو أنَّ الدورَ الفرنسي العالمي، ونشاطَ الفرنسيين في مصر تُجّاراً، أو مُوظّفين دَعَمَ النفوذَ الفرنسي في مصر على حساب النفوذ الإيطالي، فتَحوّلت البعثاتُ من إيطاليا إلى فرنسا، واستُبْعِدَ المُدرِّسون، =

= والضبّاط الإيطاليون، وتُرْجِمَت الكتُب الفرنسية بَدَلاً من الإيطالية، وفَقَدَت اللغة الإيطالية أهميَّتها. عزت عبدالكريم، ١٩٣٨، المصدر نفسه، ص ٩١.

ويذكر أمين سامي باشا (١٩١٧، المصدر نفسه، ص ٧) أيضاً أنَّ محمد علي أصدرَ أمْراً لانتخاب «. . . أساتذة يُجيدون اللغتَيْن الفرنسية والتركية . . . لتدريسهما بالمدارس». ونَجِدُ في الصفحة نفسها نصَّ القرار الذي اتَّخذه محمد علي لتوظيف أساتذة يُجيدون اللغةَ الفرنسيةَ.

ولعلَّ التَّحولُ إلى استخدام العلماء، والموظَّفين، والضُّبّاط الفرنسيين في حكومة محمد علي راجعٌ إلى نشاط الحركة السان-سيمونية Saint-Simoniens في مصر (١٨٣٣ - ١٨٣٦ م)، ونُفوذ أفرادها، لا سيَّما بعد قرار الأب الرُّوحي لهذه الحركة، پُروسْپِيْر انْفانْتان le Père [Prosper] Enfantin (١٧٩٦ - ١٨٦٤ م) الانتقال إلى مصر مع المخلصين من أتباعه ليُحَقِّقوا هدف الكونت سان-سيمون Comte de Saint-Simon (١٧٦٠-١٨٢٥ م) في شَقِّ قناة السويس، إذْ إنَّ هذا الإنجازَ بَدا بالنسبة لهؤلاء ضرورةً دينيَّةً، وأضْحَى علامةً كبيرةً للسلام، والوِئام بين جميع القارّات. وكان بعضُ أنصار هذه الحركة من المُؤيِّدين الأشدّاء لمحمد علي، حيْث كَتَبَ الأبُ الرُّوحي للحركة أنَّ «. . . نابليون لَمَسَ مصر بِسيْفِه الحضاري، وواصَلَ محمد علي عَمَلَ المُحارِب، ولكن طبَعَها [مصر] بالطابع الصناعي. وأعْطَى شعبَه الجيْشَ والآلات، ونظَّم كتائبَها وأسَّس مصانعَها . . .» (انظر هذا النَّص في Jean-Marie Carré, 1932, *op. cit.*, vol. I, p. 264-265

ووضَعَ أنصارُ الحركة السان-سيمونية كفاياتِهم وخِبراتِهم في خدمة الوالي، وقاموا بالكثير من إصلاحاته كَبِناء «القناطر الخيرية» قُرْب القاهرة، والمدارس الفنيَّة، والمشاريع الهندسية الكثيرة. وبتأثير الحركة السان-سيمونية استمرَّ التأثيرُ الفرنسي في مصر عن طريق إرسال الطلاّب في البعثات العلمية إلى فرنسا، وتعميق الرغبة لدى المبعوثين في تقدُّم مصر، وتطوُّرها.

(للتعرُّف على الحركة السان-سيمونية، وعلى أعضائها الناشطين في مصر، والوظائف التي شغلوها، انظر Jean-Marie Carré, 1932, *Ibid.*, vol. I, p. 260-261; 275-276

فبالإضافة إلى أعضاء الحركة السان-سيمونية، استخْدَم محمد علي كثيراً من الفنّيين الفرنسيين الذين وفدوا مع الحملة الفرنسية، وتخلّفوا في مصر للاستقرار فيها بعد مُغادرة الجيش الفرنسي عام ١٨٠١ م. كما استخدم أيضاً بعضَ الخبراء الذين وفدوا إلى مصر بحثاً عن فُرَص عملٍ بعد انهيار امبراطورية نابليون، وتسريح الجيش. انظر عزت عبدالكريم، ١٩٣٨، المصدر نفسه، ص ٤٠٦؛ و Afaf L. Marsot, 1984, *Egypt in the Reign of Muhammad Ali*, p. 77-78 .

ومن الذين عيَّنهم محمد علي في خِدمة جيشه الكولونيل الفرنسي جُوزِف سيف Joseph Sève (١٧٨٧ - ١٨٦٠ م) الذي كان أحَدَ أعضاء الحركة السان-سيمونية، إذِ التحَقَ في جيش محمد علي بعد وُروده =

الطلاب يتعلّمون التَرْجمةَ من التُّركية والفرنْسية إلى العربية [٦].

ومن المُشكلات التي واجهَها المُدرِّسون الأُوروبيُّون - وهم العَصَبُ الرئيسيُّ للحركة التعليمية في مصر آنذاك - في تعليم العلوم الحديثة للطلاب المصريين اختلافُ المُصْطلحات اللغوية بين اللغتَيْن العربية والتركية من ناحيةٍ، واللغات الأُوروبيّة التي كان يستَخْدِمها المدرِّسون، من ناحيةٍ أُخرَى، بالإضافة إلى اختلاف طُرُق التفكير بين الشرقيين والغربيين [٧]. ويذكرُ باوْرنْج (Bowring, 1840) أنَّ المشكلةَ اللغويةَ كانت أكثرَ حِدةً في تَعلُّم الطبِّ، إذْ إنَّ العربيةَ المُستعمَلةَ آنذاك لم تكن كافيةً لتُعبِّر عن فُنُون الطبِّ المختلفة. وفي هذه الحالة، ولأنّه لم يُعثَر على الكلمات

= مصر عام ١٨١٩ م مُدرِّباً للجيش المصري لدَى تأسيسه. ونِيطَ به تنظيمُ المدرسة الحربية التي أُسِّسَت عام ١٨٢١ م، والمساعدة في تعيين الموظفين بمدرسة أسوان الحربية عام ١٨٢٢ م. وترَقَّى في مَنْصبِه حتَّى أصبحَ المُفتِّشَ العامَّ للمدارس المصرية، ورئيساً للجيش المصري.

للمزيد انظر جرجي زيدان، ١٩٠٢، «مشاهير الشرق»، ج ١، ص ١٦٥-١٦٩؛ وابراهيم مصطفى الوليلي، ١٩٣٤، المصدر السابق، ص ٢٣-٢٤؛ Aimé Vigntrinier, 1932, *Soliman-Pacha-Colonel Sève*; Jean-Marie Carré, 1932, *op. cit.*, vol .I, p. 204-205; Hamont, N. P., 1845, *L'Égypte sous Méhémet-Ali*, vol. II, p. 50-51.

كما تَمَّ تعيين كْلُوت بك رئيساً لمدرسة الطبِّ المؤَسَّسَةَ عام ١٨٢٧ م. (انظر هامش ١٩ في الفصل الثالث). وكان هامون Hamont مديرَ مدرسة الطب البيطري؛ كما كان دو سيجورا De Seguera مديرَ مدرسة المدفعية. انظر عزت عبدالكريم، ١٩٣٨، المصدر نفسه، ص ٨٣-٨٦ و٩٠ و٤٢٢.

وقد ألَّفَ بيير [نيكولاس] هامون P[iere] N[icolas] Hamont، الذي كان مديرَ مدرسة الطبِّ البيطري في القاهرة كتاباً نُشِرَ في باريس عام ١٨٤٥ م بعنُوان «مصر في عهد محمد علي» *L'Égypte sous Méhémet-Ali*. ويظهرُ في هذا الكتاب نقدُ هامون لحكم محمد علي الذي تخلّى عن اصلاحاته رغم نصائح وليِّ عهده ابراهيم، وحفيده عبّاس، حيْث أغلقَ بعضَ المدارس التي أسَّسها، وسبَّبَ هذا البطالةَ لعددٍ كبيرٍ من أساتذة هذه المدارس، وفنيِّيها. كما يظهرُ في هذا الكتاب مَدَى التنافُس، والخُصومة بين هامون وكلوت بك، مدير مدرسة الطبِّ آنذاك.

للمزيد انظر Jean-Marie Carré, 1932, *op. cit.*, vol .I, p. 289-290

٦) Bowring, 1840, *op. cit.*, p. 125

٧) Bowring, 1840, *Ibid.*, p. 136

العربية المناسبة، فلقد تبَنّى الأساتذةُ، والمُتَرْجمون المُساعِدون لهم العبارات والكلمات الفرنسيةَ في شرح المُحاضَرات [٨].

ولسدّ الحاجة إلى الطاقات البَشَريّة المُؤَهَّلة لإدارة المُؤَسَّسات الحديثة التي أنشأها محمد علي من خلال النظام الجديد المُطَوَّر حسب الأنظمة الأوروبيّة آنذاك، وبخاصّةٍ النَّمَط الفرنسي، ارتَأى والي مصر أنْ يُوفِدَ أعداداً من أبناء البلاد ليتدرّبوا في المدارس، والمعاهد، والمصانع الأوروبيّة، وليكتسبوا الخبرات التي كانت مؤسّساتُه بحاجة إليها في ذلك الوقت. وكان يهدفُ لأنْ يديرَ هذا الجيلُ الجديدُ هذه المؤسسات بكفاية تُماثِلُ كفايةَ الأوروبيين المُتعاقَد معهم لأغراضٍ مُحَدَّدة من ناحيةٍ، وحتَّى يحلُّوا محَلَّ هؤلاء الأوروبيين تدريجياً، من ناحيةٍ أُخرَى. وكما أسْلَفْنا، فلقد باتَ محمد علي مُقتنعاً أنَّ بناءَ دولةٍ جديدة، حديثةٍ قويّةٍ يستلزم الطاقات البشريةَ المؤَهَّلةَ لإدارة مؤَسَّسات هذه الدولة. كذلك، بَدَأَ محمد علي يؤْمِن إيماناً كبيراً أنّ أبناءَ البلاد أكثرُ ولاءً لدَولَتِه من الأوروبيين الأجانب. ولَعَلَّه شعَرَ أيضاً أنَّه يُمكن التّحكُّم فيهم، والسيطرةُ عليهم بشكلٍ لا يستطيعهُ حِيالَ الأوروبيين المُستَقْدَمين للقيام بمَهمّات مُحدّدة. ولعلّه أدْرَكَ أيضاً أنَّ الإكثارَ من الأجانب ليْس في مصلحة البلاد، وأنَّ تكاليفَهم باهظةٌ، وأنَّ بعضَهم أفّاقون غيْرُ مؤَهّلين [٩]. كلُّ هذا دفَعَ محمد علي أنْ يُنْشِئَ نُخْبَةً من أبناء البلاد ليَحلُّوا مَحلَّ الأجانب في

٨) Bowring, 1840, *Ibid.*, p. 138

٩) Hamont, 1845, *op. cit.*, vol. II, p. 108-109 . كذلك نقلَ عنه عزت عبدالكريم (١٩٣٨، المصدر نفسه، ص ٣١-٣٣ و٤٢٢) أنَّ كثيراً من المُوَظَّفين الأجانب الذين عملوا في الإدارة الصحيّة، والصيادلة، والجرّاحين، والأطبّاء لم يكونوا قد درسوا هذه العلوم، ولكن نالوا بعضَ التعليم البدائي فقط. والأغلبيةُ [من هؤلاء الموظفين] حصَلَت على الوظائف عن طريق «الوساطات». ويذكر هامون (op. cit., vol, II, p. 108-109) بعضَ أسماء الذين كانوا يتقاضون رواتبَ للقيام بأعمال لم يكونوا قد تلقَّوا تدريباً فيها، كالصيْدلي الذي سبَقَ أنْ كان مديراً للتلغراف، والمُساعِد الطبّي الذي كان حذّاءً في مرسيليا، وصيدلي آخر كان عاملَ منْجرَة، وآخر كان نادلاً في مَقْهىً في القاهرة. ويُضيف هامون أمثلةً كثيرةً أُخرى. ويقول إنّه من بين مئة صيدلي كان حوالي عشرة فقط حاصلين على شهادات، والبَقيّةُ لا يعرفون شيئا. وعندما كان يَصِلُ الأوروبي الذي لم تكن لَديْه مِهنَةٌ إلى مصر، فإنَّه كان يَدَّعي أنّه صيْدليٌ أوْ طَبيبٌ.

=

دولته. منَ المُحتَمل أنْ تكونَ كلُّ هذه الأسبابِ هي الحافزَ الذي دفَعَ محمد علي إلى أنْ يبدأ عملاً لا تنْحَصرُ قيمتُه في تاريخ مصر في أنّه جديد، بل يُعَدُّ من أهمِّ إنجازات حكْمه، وحكْم تابعيه الذين شاركوه إيمانَه بأهميّة التطوُّر والتعليم. وتُعْتَبَر البعثاتُ العلميّةُ إلى أوروبّا من أهمِّ الخُطوات التي دفَعَت مصر بخاصّة، والشرقَ العربيَّ بعامّة، نَحْوَ النهضة الجديدة التي بدأَت نَواتُها بإرسال هذه الوفود العلمية إلى المؤسَّسات الأوروبية ليَعبُّوا العلومَ الحديثةَ من مَناهلها.

تَمَّ إرسالُ المجموعةِ الأولى من الطلاب من مصر عام ١٨١٣ م إلى بعض المدن الإيطالية مثل روما، وليڤورنو، وميلانو، وفلورنسة وغيرها لتعلُّم الفنون العسكرية والحِرَف، والمِهَن المختلفة كبِناء السُّفُن، والهندسة [١٠]. وبعد البعثةِ الأولى إلى إيطاليا توالَت البعثاتُ إلى انجلترا

= ولعلَّ أحَدَ الأسباب الرئيسيّة التي دفَعَت محمد علي وحكومتَه لإدخال العربية لغةً للتعليم في المدارس في مصر كان بيساطةٍ مسألةً اقتصاديةً تتَعلَّق بنفقات الأساتذة الأجانب ذوي الرواتب العالية، ولإحلال أساتذةٍ مصريين بَدلَهم تُدفَع لهم رواتبُ أقل بكثيرٍ من رواتب الأوروبيين، لا سيَّما بعد انتهاء حرب محمد علي في سورية عام ١٨٣٩ م، وما كبَّدتْه هذه الحربُ من نَفَقاتٍ عاليةٍ، وأعباءٍ ماليّةٍ كبيرة. ومثالاً على ذلك، يُوردُ پيرون Perron أنَّ عددَ الطلاب في مدرسة الطبّ قُلِّص من ثلاثمائة طالبٍ إلى مئة وثلاثين فقط. وكذلك تَمَّ تقليصُ الجيش للتوفير في التكاليف.

انظر Yacoub Artin Pacha, 1908, « Lettres Inédites du Dr. Perron à M. J. Mohl , in *Bulletin de L'Institut Égyptien*, 5e serie, tome III, Mars 1910, p. 137-152، خاصّةً الصفحة ١٤٢؛ والشيال، ١٩٤٤، «دكتور برُّون Dr. Perron والشيخان محمد عياد الطنطاوي ومحمد عمر التونسي»، «مجلة كلية الآداب»، جامعة فاروق الأول، المجلد الثاني، ص ١٨٦–١٨٧، نقلاً عن رسالة پيرون إلى جُولْز مُوْل Jules Mohl، مؤرَّخة بـ٢٨ ديسمبر ١٨٤١ م.

١٠) يذكر (Yacoub Artin Pacha, 1890, *op. cit.*, p. 71) أنَّ محمد علي «الباشا» أرسَل مبعوثين عام ١٨١٦ م إلى ليڤورنو، وميلانو، وفلورنسة، وروما ليتعلَّموا بناءَ السُّفن، والفنونَ العسكرية، والطباعةَ، والهندسةَ العسكرية، وفنَّ الهندسة. كما يذكر الشيال (١٩٥١، المصدر السابق، ص ٣٤) و (Heyworth-Dunne, 1968, *op. cit.*, p. 105) أنَّ أوّلَى البعثات كانت عام ١٨٠٩ م إلى إيطاليا. وهذا يُناقض ما أوْرَدَه طوسون، «البعثات العلمية»، ١٩٣٤، ص ١٠، وعزت عبد الكريم، ١٩٣٨، المصدر نفسه، ص ٨٤، إذ يُوردِ الأول أنَّ أُولى البعثات كانَت عام ١٨١٣ م، ويذكر الأخير أنَّ أُولى =

لدراسة الهندسة المدنيّة، وهندسة المياه، والملاحَة، ثُمَّ إلى فرنسا حيْث أُوفد عام ١٨١٨ م عَددٌ من الطلاب لا يُعْرَفُ إلاّ واحدٌ منهم، هو عثمان نورالدين، الذي ترقّى إلى رتبة رئيس البحرية المصرية عام ١٨٢٨ م [11]. والبعثةُ الأخرى إلى فرنسا تَمَّت عام ١٨٢٦ م وكان فيها اثنان وأربعون طالباً، يَهُمُّنا منهم في هذا المجال رفاعة رافع الطهطاوي الذي سنُوفيه بعضَ البحْث في الفَصْل السادس. وهكذا توالَت البعثاتُ إلى فرنسا بشكلٍ رئيسيٍّ، وإلى النمسا، وانجلترا. ويجب أنْ نذكرَ هنا أنَّ تَخصُّصات هؤلاء الطلاب كانت مختلفةً. لكن كان يُطلَب منهم، على العموم، دراسةُ العلوم العسكرية، والهندسة، والطبّ، والكيمياء، والصيدلة، وصناعة بناء السُّفُن، والعلوم السياسية، والإدارية. قارَبَ عددُ المُوفَدين إلى أوروبّا للدراسة خلال سنوات ما بين ١٨١٣ م و١٨٤٨ م ثلاثمئةٍ وتسعةَ عشرَ طالباً [12].

ما يَهُمُّنا هنا، وبشكلٍ رئيسٍ، الوضْعُ الطريفُ الذي وَجَدَ هؤلاء المبعوثون أنفسَهم فيه من الناحية اللغوية، لا لمُجَرَّد الصعوبات التي واجهوها في بَدء مقامهم في البلاد التي ما عرفوا لُغَتَها قبل سفرهم، بل أيضاً للوَضْع الجديد الذي وَجَدوا أنفسهم فيه لدى عودتهم إلى مصر،

= البعثات العلمية إلى أوروبا كانت عام ١٨١١ م. ويذكر جرجي زيدان (١٩٧٨، «تاريخ آداب اللغة العربية»، ج ٤، ص ٣٧٩) أنَّ محمد علي بدأ بإرسال الطلاب عام ١٨١٣ م.

يُعْرَفُ من بيْن الذين أُرسِلوا إلى إيطاليا نحوَ عام ١٨١٥ م رَجُلٌ حلَبِيّ الأصْل من «الشُّوام» الذين هاجروا إلى مصر وهو نقولا مسابكي، الذي دَرَسَ فنَّ سبْك الحروف وفنَّ الطباعة. ولَدَى عودته إلى مصر عام ١٨١٩ م، أسَّسَ مطبعةَ بولاق الحكوميّة، وأصبح فيما بعد مسؤولاً ومديراً لهذه المطبعة حتّى ١٨٣٠ م. انظر طوسون، ١٩٣٤، المصدر نفسه، ص ١٠؛ عزت عبدالكريم، ١٩٣٨، المصدر نفسه، ص ٤٣٤؛ ومسعود ضاهر، «الهجرة اللبنانية»، ١٩٨٦، ص ١٣٤.

وانظر أيضاً T. Philipp, 1985, *The Syrians in Egypt*, p. 69

(١١) انظر Yacoub Artin Pacha, 1890, *op. cit.*, p. 71.

للمزيد عن عثمان نورالدين انظر عمر طوسون، ١٩٣٤، المصدر نفسه، ص ١١؛ وابراهيم مصطفى الوليلي، ١٩٣٤، المصدر نفسه، ص ٣٢-٣٣؛ وعزت عبدالكريم، ١٩٣٨، المصدر نفسه، ص ٤٣٥.

(١٢) انظر طوسون، ١٩٣٤، المصدر نفسه، ص ٤٠٤-٤٠٨ حيث يُثير الشُكوكَ حول هذا العدد.

وعملهم في مُختَلَف المُؤسَّسات، وبخاصةً تلك التي حاولت تعليمَ العلوم الأوروبيّة الحديثة باللغة العربية. وسنَعْرِض لهذا الأمر فيما بعد.

لقد شَمِلت خُطّةُ محمد علي فَتْحَ مدرسة الطبِّ في مستشفى «أبي زعبل» في القاهرة عام ١٨٢٧ م. ويورِد كْلُوت بك أنّ فكرةَ تأسيس مدرسة الطبّ واجهت معارضةً شديدةً لأسبابٍ عديدةٍ. وكانت لغة التعليم لطلابٍ مصريين لا يعرفون الفرنسيةَ إحدى الصعوبات الرئيسية، فالأساتذةُ كانوا يُجيدون اللغةَ الفرنسية ولا يعرفون العربيةَ. وكان رأيُ كلوت بك أنْ يكون تعليمُ الطبِّ بالعربية بِواسِطة مُترجمين واسعي المعرفة traducteurs érudites، عارفين لغة الطلاب والأساتذة [١٣]. وكان هؤلاء الطلابُ - وعددُهُم مئةُ طالب - أزهريِّي التعليم أُسلوباً:

١٣) انظر Clot-Bey, 1833, *Compte Rendu*, p. 147-149; Clot-Bey, 1840, *Aperçu*, vol. II, p. 383ff

كذلك انظر الفصل الخاص عن تأسيس المدارس، وبشكل خاص مدرسة الطبّ في Hamont, 1845, *op. cit.*, vol. II, p. 82-113، حيث يُعْتَبَر دون رفائيل Don Rafael من المُترجمين الأوائل من اللغات الأوروبيّة إلى العربية، عندما بدأت الترجمات إلى العربية ما بين ١٨١٦ و١٨٢٠ م. نُقِلَ دون رفائيل من «مدرسة بولاق» إلى «مدرسة الطبّ»، حيث عُيِّنَ مُتَرْجماً ومعلّماً، في عِلْم وظائف الأعضاء «الفسيولوجيا». وهو جامع القاموس الإيطالي-العربي (Dizionario Italiano et Arabo)، ومُتَرجم كتاب ماكير Macquer المُعَنْوَن «فن صِباغَة الحرير» (L'Art de la Teinture en Soie)، الذي يُذْكَر أيضاً باسم «كتاب الصباغة»، المطبوع عام ١٢٣٨ هـ/ ١٨٢٢ م، و١٢٥١ هـ/ ١٨٣٥ م. وطُبِعَ هذان الكتابان بمطبعة بولاق؛ كما تَرْجَم كتابَ نيكولو ميكافيلي (١٤٦٩ - ١٥٢٧ م) المعروف باسم «مبادئ ميكافيلي» (Il Principe) الذي لم يُطْبَع، ولكن تُوجَد منه نُسخَةٌ مخطوطة في مكتبة القاهرة (؟) [كذا] [دار الكتب المصرية].

يذكر جاك تاجر (د. ت، «حركة الترجمة»، ص ١٣-١٤) أنّ اسمَ «دون رفائيل» الأصلي هو «انطون زخورة»، وأنّه من أصلٍ شامي (١٧٥٨-١٨٣١ م)، تَلَقّى العلومَ الدينية في روما، وعَمِل مُترجماً للجنرال مينو، وأنّه كان الشرقيَّ الوحيد في «المجمع العلمي المصري»؛ كما عَمِل في الترجمة في حكومة محمّد علي، وفي ترجمة الكتُب الطبيّة. ووَرَد اسمه على أشكالٍ مختلفة حيث أوْرَدَ جاك تاجر (المصدر نفسه، ص ١٣) الاسم على أنّه «الأب روفائيل دي موناكيس Dom Raphael De Monachis». كما وَرَدَ «الأب انطوْن رفائيل زاخور راهبة»، و«الأب انطون رفاييل زاخور».

انظر Heyworth-Dunne, 1940, *op. cit.*, p. 337-338; =

يَمْهَرون في اللغة العربية، والعلوم الأزهرية فقط. وقُسِّمَ الطلابُ إلى شُعَبٍ تتكوّن كلٌّ واحدة منها من عشرة طلاب يرأسُهم أكثرهم تميُّزاً، ومعرفةً. وشكَّل هؤلاء حلقاتٍ مدرسيَّةً بالمعنَى الأوروبي لهذا المفهوم [١٤]. وفي مدرسة الطبِّ، كانوا يدْرسون مَوادَّ علميَّةً من فيزياء، وكيمياء، وعلم الأحياء، وتشريح، وعقاقير طبيّة، وعلم الأمراض وطبائعها (باثولوجيا)، إلخ، يقوم بتدريسها أساتذةٌ فرنسيون، وإيطاليون، أو أوروبيّون من جنسيّاتٍ مُختلفة من الإسبان، أو الباڤاريّين [١٥]. وتدريجياً، ارتأى كْلُوت بك أنْ يُؤسِّسَ مدرسةً لتعليم طلاب الطبِّ اللغةَ الفرنسيةَ لتسهيل التواصُل بين الطلاب وأساتذتهم، كيْما يُتابع الطلابُ الاطّلاعَ على العلوم من مصادرها الأصليّة [١٦]. كما ارتأى أنْ يُرْسِلَ بعضَ الخرّيجين المتميّزين لمواصلة تعليمهم في المدارس الطبية الفرنسية ليحصلوا على تخصُّصاتٍ طبيّةٍ لم يكن بمقدورهم الحصولُ عليها في مصر، وليعودوا، فيما بعد، أساتذةً في المُؤسَّسة التي تخرَّجوا منها نفسها، ليستطيعوا التأليفَ في الموادِّ الدراسية، ونقلَ العلوم إلى طلّابهم دون الحاجة إلى وَساطة مترجمين، وأساتذة أجانب [١٧].

وطريقةُ التدريس في مدرسة الطبِّ كانت تتِمُّ عن طريق مُترجمين يُترجِمون الدروسَ من اللغة الفرنسية، لغة التعليم العلميّة، إلى اللغة العربية، لغة الطلابِ، في حُضور الأساتذة أثناء شرحِهم الدروس. وإذا تَعَذَّر على المترجمين فَهْمُ الاصطلاحات العلميَّة، كان الأساتذةُ الأجانبُ يقومون بِدَوْرِهم بتفسير النقاط الصعبة للمتُرجمين. ويقوم كلا الطرفَيْن بمُراجعة الدَّرْس حتَّى يتَحَقَّقا من صحَّةِ المعلومات. ثُمَّ يُملَى النَّصُّ العربيُّ على الطلاب ويقوم بعد ذلك شخصٌ

= Heyworth-Dunne, 1968, *op. cit.*, p. 90, 109 and 109, fn2.
كذلك انظر جاك تاجر، د.ت، المصدر نفسه، ص ١٣-١٤ و٢٣ و٢٤ و٦٤-٦٥؛ والشيال، ١٩٥٠، المصدر السابق، ص ٥٨ و٦٩-٨٠، خاصَّةً ٦٩، هامش ٢؛ والشيّال، ١٩٥١، المصدر السابق، ص ٧٤-٨٣ و٢١٥-٢١٧.

١٤) Clot-Bey, 1833, *Ibid.*, p. 148-149; Clot-Bey, 1840, *Ibid.*, vol. II, p. 385-386

١٥) انظر الأسماءَ والمنهاجَ في Clot-Bey, 1840, *Ibid.*, vol. II, p. 385-391; Heyworth-Dunne, 1968, *op. cit.*, p. 126-127

١٦) Clot-Bey, 1833, *op. cit.*, p. 150-151; Clot-Bey, 1840, *Ibid.*, vol. II, p. 387

١٧) Clot-Bey, 1840, *op. cit.*, vol. II, p. 387; Hamont, 1845, *Ibid.*, vol. II, p. 106-107

مُخَصَّصٌ لكلِّ شُعْبةٍ بسؤال المترجم عن النقاط الغامضة. والمُترجِم، بدوْرِه، يعود لمُساءَلة الأستاذ عن المادة الغامضة التي أُثيرَت حولَها الأسئلة [١٨]. ويَبدو أنَّ وُجودَ مترجمين واسعي المعرفة للقيام بهذا العمل كان نادراً حيث يُورِد هيْوِرْثْ-دَنْ Heyworth-Dunne (1986) أنَّ كَلُوت بك، مديرَ مدرسة الطبِّ، اعترفَ بِعدَمِ وُجُود مُترجمين واسعي المعرفة لترجمة المادة في البداية [١٩]. ويذكر عزَّت عبدالكريم (١٩٣٨)، والشيّال (١٩٥١) تعيينَ بعضِ علُماء الأزهر، حيثُ أوْرَدا أسماءَ بعضِهم، من الذين كان مِنْ واجبِهِم القيامُ بتصحيح المادّة المُتَرْجَمة إلى العربية وَسَبْكِهَا بلُغَةٍ عربيّةٍ سليمةٍ. كما يذكر هذان المؤرِّخان أنَّ اثنَيْن من هؤلاء المُصحِّحين أُوفِدا في بعثةٍ عام ١٨٣٢ م لدراسةِ الطبِّ في فرنسا [٢٠].

في ضوء ما تقدَّم، يُمكنُنا وَصفُ المراحل التي كانت تَمُرُّ بها مُحاضرةُ الأستاذِ الأجنبيِّ في مدرسة الطبِّ بالقاهرة في القرن التاسع عشر، واستحداث المُصْطَلَحات العلمية العربية الحديثة عن طريقِ الترجمةِ من اللغات الأوروبيّة بالخُطُوات التالية:

أولاً) يقوم أستاذُ المادّة ومؤلِّفُ المحاضرةِ بإعداد مادّته باللغة الفرنسية؛

ثانياً) يتولَّى المُتَرْجِمُ المُعَيَّنُ في مدرسة الطبّ والمصاحِبُ لأستاذِ المادّة ترجمةَ المحاضرة من الفرنسية إلى العربية في حُضور الأستاذ الذي يُقدِّم كُلَّ الشُّروح اللازمة للمُترجمين حَتَّى يفهمَ هؤلاء المادّة، ومُحتوى المحاضرة العلميّ، ويتأكّدوا من صحّة الترجمة، ويتعرَّفوا موْضوع المُحاضرةَ. وكانَ مِنْ واجبات المترجم نقلُ المادّة إلى العربيّة وتوزْيعُها على الطلاب. ويَجْدُرُ أنْ نَذْكُرَ هنا أنَّ المُتَرْجِمَ كان بالفعل يَسْتَحْدِثُ الكلمات، والمُصْطَلَحات الفنيَّةَ، والعلميَّةَ الجديدةَ في اللغة العربية. وكانت هذه المُصْطَلَحاتُ العلميةُ تُصاغُ أحياناً في اللغة العربية للمرَّة الأولى، عندَما لم تكنْ معروفةً مِنْ قَبْل؛

---

١٨) Clot-Bey , 1840, *Ibid.*, vol. II, p. 385-386; Heyworth-Dunne, 1968, *op. cit.*, p. 127

١٩) انظر Heyworth-Dunne, 1968, *Ibid.*, 127, fn 4 . ولم يُحَدِّد هيْوِرْث-دَنْ الصفحة التي أوْرَد بها كلوت بك هذا القول.

٢٠) عزت عبد الكريم، ١٩٣٨، المصدر السابق، ص ٢٥٨؛ والصفحة نفسها، هامش ٣؛ والشيال، ١٩٥١، المصدر السابق، ص ٦٥ و١٧٧.

ثالثاً) يُتابع المُحَرِّرُ - الذي يكون في العادة شيْخاً أزهرياً - تَصحيحَ الترجمة وضَبْطَ المفردات العلميَّة والفنيَّة ؛

رابعاً) يَتَولّى المُصَحِّحُ مراجعةَ نُسخة المُحَرِّر للتأكُّد من صحّة أسلوب اللغة العربية، وتهذيب العبارة المُستَحدَثة، وسلامة المباني، وتنقيحها، وإجرائها على أساليب الكتابة العربية. والمُصَحِّح - شأنُه شأنُ المُحَرِّر - كان أزهريَّ التعليم، عارفاً باللغة العربية والمفردات المُستَعْمَلَة في الكتابات العلمية، والتُّراث العلميّ العربيّ الإسلاميّ. وفي أحيانٍ كثيرةٍ، لم تكن وظيفتا المُحَرِّر والمُصَحِّح واضِحتَي المعالِم، مُحدَّدتَي المسؤوليّات والواجبات فكان هناك نوعٌ من التَّشابُك والتَّداخُل في طبيعة العَمَل.

لقد سبَقَ إلماحُ باوْرنج إلى الصعوبات اللغوية التي كان يُواجهُها المترجمون في نَقْل المادّة العلميَّة الطبيَّة من اللغات الأوروبيَّة إلى اللغة العربية وذلك لسَبَبَيْن هُما: عَدَمُ وُجُود مترجمين واسعي المعرفة للقيام بهذه المَهَمَّة من ناحيةٍ، وعَدَم معرفة المفردات، والمُصْطلحات العلميّة في اللغة العربية للتعبير عن المواد والأفكار العِلميّة التي كانت اللغات الأوروبيّة، كالفرنسية مثلاً، قد استَوْعَبَتها من ناحيةٍ أخرَى [٢١].

ولما كان حالُ العارفين باللغات الأجنبيَّة والمؤهَّلين للترجمة منها إلى اللغتَيْن العربية، والتركية مُقتصراً على عددٍ قليلٍ من أبناء البلاد، فالحَلُّ الأَمْثَلُ كان إيفاد طلابٍ مصريين للمؤسَّسات العلمية الأوروبيّة، حتّى إذا عاد هؤلاء تقلَّدوا المناصبَ التعليميةَ، والإداريةَ للقيام بأعمال الأساتذة الأجانب، أو لمُمارَسَة ترْجمَة الكتب التي أُرْتُئِيَ أنّها نافعةٌ للحاكم أو أنّها لخيْرِ البلاد. وهناك ما يُثْبِتُ أنَّ محمد علي كان يطلب من الطلاب المبعوثين أنْ يتَرجموا بعضَ الكتب أثناء وُجُودِهم في فرنسا خِلالَ سنوات دراساتهم [٢٢]. وبِمُرُور السنين أدْرَكَت حكُومةُ

---

٢١) Bowring, 1840, *op. cit.*, p. 136

٢٢) يذكر Yacoub Artin Pasha, 1890, *op. cit.*, p. 73 أنَّ محمد علي استقبل شخصياً كلَّ مبعوثٍ بعد عودة المبعوثين من دراستهم في فرنسا إلى مصر حوالي ١٨٣٤ م، وأعْطَى كلَّ واحدٍ منهم كتاباً فرنسياً في «العلم» الذي تَخَصَّص به في فرنسا، وطلب من كلٍ منهم ترجمة هذا الكتاب إلى التركية. وبعد هذا اللقاء، وُضِعَ المبعوثون لثلاثة أشهر في القلعة لإتمام ترجمة هذه الكتب، ولم يكُن يُطلَق سَراحَ كلٍ منهم حتّى إنجاز الواجب المُلْقَى على عاتِقه. انظر جاك تاجر، د. ت، المصدر السابق، ص ٢٥-٢٧.

محمد علي أنَّ إنجازَ الترجمات يَحتاج إلى جهُودٍ مُنظّمةٍ تختلف عمّا كان يقوم به هؤلاءُ الأفراد. فاستدعَى ذلك تأسيسَ مدرسةٍ خاصةٍ لتعليم اللغات الأوروبية، وبالتالي تهيئة متُخرّجين قادرين على القيام بأعمال الترجمة ٢٣. وسنَعْرِض لمدرسة «دار الألسن» ودَوْرِها في حركة الترجمة، وبخاصةٍ الحركة اللغوية، فيما بعد.

حاولَ مُحرِّرو الترجمات ومُصحِّحوها البحثَ عن ألفاظٍ في الكتب العربية القديمة من كتُب طبٍّ، وكيمياءٍ، ونباتٍ، ومصطلحات تُعبِّر عن المُصطلَحات الأوروبية التي كانت ترجمتُها مَنوطَةً بهم. وهذه المحاولاتُ استطاعت أنْ تُحْيِيَ ألفاظاً علميةً عربيةً كثيرةً. ويجب ألاّ يَعْزُبَ عن البال أنَّ الاختراعاتِ والعلومَ في البلاد الأوروبيّة المُتطوِّرة في القرن التاسعَ عشرَ كانت مختلفةً عن العلوم العربية في عصرْ الازدهار في زمن الخلفاء العبّاسيّين. وهذا ممّا زاد في صعُوبة إيجادِ المُصْطلحات المُناسبة للعلوم الحديثة التي وُكِلَت ترجمتُها إلى المترجمين. ويذكر كلوت بك (1833, 1840) وينقل عنه عزت عبدالكريم (١٩٣٨)، أنَّ مواداًّ في مبادئ التشريح العام والوَصْفي، وعلم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا)، والجِراحة، وعلم الأمراض وطبائعها (الباثولوجيا)، والصحّة، والطبّ الباطنيّ، والطبّ الشرعيّ، والكيمياء، والفيزياء، وعلم الأحياء، والعقاقير الطبيّة تُرْجِمَت إلى العربية. وبمساعدة العلماء، والمترجمين المُلْحَقين بمدرسة الطبّ بحثَ هؤلاء في الكتب التُراثيّة القديمة عن المُصطلَحات التي كانت تُوضَع تحْت تَصَرُّف مدرسة الطب، وخِدمْتها. واستَنْبَط هؤلاء المترجمون باقي المفردات في مُحاولاتٍ جديدةٍ من جانبهم للتغلُّب على مشكلة المصطلح اللغوي. ويُمْكِن القولُ إنَّ المُترجمين، والمُصحِّحين الذين عملوا في تصحيح ترجمات المترجمين الفنيين بكليّة الطبّ لتَكفُلَ أمانةَ الترجمة وصحتّها شكّلوا «اكاديمية ترجمة». كما أنَّهم وضعوا في غُضُون خمس سنواتٍ «قاموساً» لمُفرداتِ الطبِّ تزيد كلماتُه على ستِّ آلاف كلمةٍ ٢٤.

---

٢٣) جاك تاجر، د. ت، المصدر نفسه، ص ٢٨.

٢٤) استعمل كلُوت بك كلمة *vocabulaire* التي ربّما قاربَت ما سمَّيْناه في المتْن «قاموسا»، أيْ قائمة بالمُفردات المُستَحدَثَة. انظر Clot Bey, 1833, *op. cit.*, 214; 1840, *op. cit.*, vol. II, p. 384ff
نَقَلَ عزت عبد الكريم (١٩٣٨، المصدر السابق، ص ٢٥٨) هذه المعلومة؛ كما نَقَلَها الشيّال، ١٩٥١، المصدر السابق، ص ٢٠.

ويُمْكِنُ عَرْضُ الطُرُقُ التي اتَّبَعوها لاستنباط مُصْطَلَحات عِلميَّة حديثة مُرادِفَة للمُصْطلَحات الأوروبيَّة كالتالي :

١) استعمالُ ألفاظٍ ومُصْطَلَحات عربيّةٍ ما أمكن ؛

٢) تعريبُ الألفاظ الأوروبيّة لمُخْتَرَعاتٍ أو مُسمّياتٍ حديثة كانت غيرَ معروفة سابقاً في اللغة العربية. والمقصود بالتعريب هنا إيراد اللفظة الأجنبيَّة على حالها من اللغة الأوروبية المنقول منها مع مُراعاة النظام الصوتي للُغة العربية، اللغة المنقول إليها. فمثلاً، ورَدَت الألفاظ المعرَّبة التالية : «انْسْتُوت» *institut* بمعنى «معهد»، «الكِتْرِسيتيه» *électricité* «كهرباء»، «الجُرْنال» *journal* «الجريدة» و«الجُرْنُو» *journaux* «الجرائد». وزَوَّدنا المُعَرِّبون، كالطهطاوي مثلاً، بالأسماء التي تبَنّاها الأوروبيّون في هذا العَصْر، وبطريقة لفظ هذه الكلمات باللغات الأوروبيَّة [٢٥]؛

٣) ترجمةُ الاصطلاحات الأوروبيَّة ترجمةً حرفيَّةً ومَثَلٌ على ذلك : «ديوان رُسل العمالات» *Chambre des députés*؛

٢٥) نُورِدُ نَصَّ الطهطاوي في مُقَدِّمة كتاب «التعريبات الشافية لمريد الجغرافية»، ص ٦ للتسهيل على القارىء، ولإيضاح الفِكرة المقصودة: «. . . واعلم أنه قد تمر عليك اسماء بلدان أبقيناها على اسمائها الفرنساوية إما لاشتهارها في هذا العهد بتلك الأسماء كجزيرة سرنديب فانها عندهم تسمى جزيرة سيلان واشتهرت عند عامة الناس بهذا الاسم وجزيرة صقلية فانها اشتهرت الآن باسم جزيرة سيسليا وكجزيرة اقريطش فانها يقال لها الآن جزيرة كريد وإما لعدم الوقوف على الاسم العربي . . . .»
ولا يعزُبُ عن البال أنَّ الطهطاوي وغيرَه التزم بهذا التقليد القديم المتَّبَع في المُؤلَّفات العربية التُراثيَّة، وهو تِبْيان لفظ الكلمات غير المألوفة للقارئ. يقول الطهطاوي مثلاً في مقدمة «التعريبات الشافية لمريد الجغرافية»، ص ٤، لَدَى تعريفه مُصْطَلَح «جغرافية» «. . . بضم الجيم وفتحها وبالغين المعجمة والمهملة كلمة يونانية معربة . . .»
كذلك ورَدَ بعضُ هذه المادَّة في الشيال، ١٩٥١، المصدر السابق، ص ٢١٣. وأَوْرَدَ بعضَ هذه المفردات وطريقة نُطقها في المصدرَ نفسه، ص ٢١٤.

٤) استعمالُ الأسماءِ الأوروبيةِ الحديثة للأماكن المختلفة التي كانت قد سُمِّيَت في الماضي بأسماء مُغايِرةَ ٢٦ .

ممّا تَجْدُرُ الإشارةُ إليه في مجال الحديث عن البحث في مَظانّ الكتب العربية التُراثيّة لاستخراج المُصْطَلَحات العلميّة التي كانت قد استُعملت في العصور السابقة أنْ نذكرَ جُهودَ مُسْتَشرقٍ فرنسيٍّ اسمه [نيكولاس] پيرون Dr. [Nicolas] Perron علّم الطبيعةَ (الفيزياء)، والكيمياءَ بمدرسة الطبّ في القاهرة، وأصبحَ فيما بعد مُديراً لها. ويبدو أنّ پيرون كان قد دَرَسَ العربية قبْلَ وُصوله إلى مصر، وكان يُعنَى بالبحْث في كتب العربية. واستطاع بمُثابرَتِه على ذلك انتقاءَ ألفاظ الطبِّ، والكيمياء من مؤلَّفات ثقات الأطبّاء العرب المسلمين. كما أنّه جَمَعَ أسماءَ الآلاتِ المُستَخْدَمة في الدراسات الكيميائية، وترجَمَها إلى العربية. وبعضُ هذه المصطلحات ما زالَ ساريَ الاستعمال في كتُب الكيمياء الحديثة من مثل «الأنبوبة»، و«الإنبيق»، و«البودقة»، و«الجفنة»، وغيرها ٢٧ .

---

٢٦) انظر الشيال، ١٩٥١، المصدر نفسه، ص ٢١٣.

مثلا، بَدَلاً مِنْ «سرنديب»، الاسم الذي كان يُستَعمَل للدلالة على «جزيرة سيلان» في الماضي سُمِّيت هذه الجزيرةُ في القرن التاسع عشر باسم «سيلان». وأصبح اسم جزيرة «سيلان» «شْرِي لانكا» أو «سري لانكا» بعد الاستقلال. ولعلّ هذا نابعٌ من الهيْمَنَة الأوروبيَّة - والبريطانية في حال «شْرِي لانكا» - التي أطلقَت أسماءً مُبتَكَرَةً على بعض بقاع العالم. وبعد استقلال هذه البلاد في القرن العشرين، استعادَت الاسمَ الأصيلَ الذي شعَرَ أبناءُ البلاد بتفضيله على الاسم المفروض من المُستَعْمِر.

٢٧) كان [نيكولاس] پيرون Dr. [Nicolas] Perron (١٧٩٨ - ١٨٧٦ م) أحَدَ أعضاء الحركة السان- سيمونية. عملَ مُساعداً لكِلُوت بك عندما التَحقَ بمدرسة الطبّ عامَ ١٨٣٣ م أُستاذاً للكيمياء، والطبيعة (الفيزياء)؛ وأصبحَ فيما بعد مديرَ مدرسة الطبّ عام ١٨٣٩ م. وهو مُسْتَشرقٌ متميِّز، وطبيبٌ ماهِر. أدخَلَ مُصطلحاتٍ كيماويةً، وطبيعيةً (فيزيائيةً) لَدَى طَبْع كتُبِه التعليميّة في الكيمياء، والطبيعة في اللغة العربية. كان من اهتماماته شِعْرُ العرب الجاهلي، وتاريخُ العلوم عند العرب. ونَشَرَ ترجماتٍ عديدةً منها: ترجمة «رحلة [محمد بن عمر التونسي] إلى دارفُور» التي نُشِرَت في باريس عام ١٨٤٥ م بعنوان *Voyage au Darfour* مع مُقدِّمة بقلم المُستَشرِق جومار Jomard؛ وكذلك «رحلة [محمد بن عمر التونسي] إلى واداي»، التي نُشِرَت في باريس عام ١٨٥١ م بعنوان *Voyage au Ouaday ou Dar* =

ولا بُدَّ من ذكرِ جهُود محمد بن عمر التونسي (١٢٠٤-١٢٧٤ هـ) (١٧٨٩- ١٨٥٧ م)، ومعرفته بالمؤلّفات العلميّة العربية التُراثيّة، ومُصطلَحاتها. كما أنّه حرَّرَ ترجمات مؤلّفات كلوت بك، وبيرون، وغيرهما، وصَحَّحها. وساهَمَ مُساهمةً فعّالةً في جَمْع المترجمين على شكل «مَجْمَع» للترجمة، حيثُ تعاوَنَ هؤلاء المترجمون في إيجاد المُصْطَلَح العربيّ التُّراثيّ المرادِف

= Seleih مع مُقدِّمة بقلم المُستشرق جومار أيضاً؛ و«نساءالعرب قبل الإسلام وبعده» (١٨٥٨) Femmes arabes avant et depuis L'Islamisme؛ وترجمة لكتاب «كامل الصناعتين» المعروف بـ«الناصري في البيطرة والزرطقة» لأبي بكر بن البدر، [بيطارُ لَدَى الملك [السُّلطان] الناصر محمد بن قلاوون]، الذي وَرَدَ اسمهُ على أشكالٍ أُخرَى مغايرةٍ نُشِرَت في ثلاثة مُجلَّدات عام (١٨٥٢-١٨٦٠) تحت عنوان *Abu Bekr Ibn Bedr, le Naceri: La Perfection des deux arts, ou Traité Complet d'hippologie et d'hiippiatrie arabes*

و«طب النبي» لجلال الدين بن داود. حول «كامل الصناعتين»، انظر عبدالرحمن ابريق (مُحقِّق)، ١٩٩٣، «كامل الصناعتَيْن في البيطرة»، ج ١، ص ١٨-١٩.

ومن الطريف أنْ نوردَ هنا النقدَ اللاذعَ الذي وَجَّهه (أحمد) فارس الشدياق للدكتور بيرون في الجزء المُسَمَّى «ذنب الكتاب» في كتابه «الساق على الساق»، ص ٦٩٢-٦٩٣، وذلك لما أسْماهُ الشدياق «بالتحريف والغلط» الذي «ارتكبه» الدكتور بيرون لَدَى طبْع كتاب رحلة محمد بن عمر التونسي. وبالإضافة إلى هذا النَّقد، أَوْرَدَ الشدياق الأخطاءَ التي وَقَعَ بها كُوسا دي بِرسْفال لَدَى محاولة تصحيح أبيات الشعر التي أَوْرَدَها بيرون غير صحيحة في هذا الكتاب. ولَدَى التَّحقُّق في الأغلاط التي أشار إليْها الشدياق نَجِد أنَّه كان يُشير إلى كتاب «تشحيذ الأذهان».

للمزيد عن حياة الدكتور بيرون وأهمّيته في هذا المضمار انظر

Journal Asiatique, 1843, 4e series, tome 2, p. 5-23; Yacoub Artin Pacha, 1910, *op. cit.*, p. 137-152; Johann Fück, 1955, *Die arabischen Studien in Europa*, p. 203-204; Heyworth-Dunne, 1968, *op. cit.*, p. 220 and 235; Victor Schoelcher, 1846, *L'Égypte en 1845*, p. 46-50

وجرجي زيدان، ١٩٧٨، المصدر السابق، ج ٤، ص ٥١٤ و٥٣٣؛ الشيال، ١٩٤٤، المصدر السابق؛ الشيال، ١٩٥١، المصدر السابق، ص ٦٠-٦٨ و١٧٧-١٨١ و١٩٢-١٩٤؛ وجاك تاجر، د.ت، المصدر السابق، ص ٤٦-٤٧؛ ونجيب العقيقي، «المستشرقون»، ج ١، ص ١٨٢-١٨٣.

للمُصْطَلَحات الأوروبيّة الفَنيّة، والعِلميّة، أو لاستنباط المُصطلحات الجديدة المُحتاج إليها، وبخاصةً في مَجالات الطبّ، والعَقاقير، والحَيَوان، والنَبات ٢٨.

ولازدياد الحاجة إلى مُتخرّجين واسعي المعرفة في اللغات الأجنبية، ولا سيَّما في اللغة الفرنسية، قادرين على نَقْل العلوم المختلفة إلى اللغة العربية، أصْدَرَ محمد علي أمراً بتأسيس مدرسة سُمِّيت بـ«مدرسة الترجمة» في أوائل عام ١٢٥١ هـ/ ١٨٣٥ م. ومن الجدير بالذكْر هنا أنَّ نُظُمَ التعليم في هذه المدرسة تَغَيَّرت خلال السنوات التي تلَت تأسيسهَا. وسُمِّيَت لاحقاً (١٨٣٦/ ١٨٣٧ م) باسم «مدرسة الألسن»؛ وتَوَلّى رفاعة رافع الطهطاوي رئاستها عام ١٨٣٧ م ثُمَّ أُلحِقَ بها «قلمُ الترجمة» عام ١٨٤١ م.

في بداية تأسيس المدرسة اشتملَت الموادُّ الدراسيةُ على تعليم اللغات العربية، والتركية، والفرنسية، والرياضيات، والتاريخ، والجغرافية. وأُضيفَ إلى هذه الموادِّ فيما بَعْدُ اللغةُ الانجليزية

---

٢٨) محمد بن عمر التونسي (١٢٠٤-١٢٧٤ هـ/ ١٧٨٩-١٨٥٧ م)، من عائلة معروفة بالعلم، وخاصةً الدراسات الفِقْهيّة. دَرَسَ في الأزهر، وسافَرَ إلى دارفور في بلاد السودان عام ١٢١٨ هـ/ ١٨٠٣ م حيْث أقام هناك حوالي سبع سنوات ونصف، وتَعَرَّفَ خلال هذه الفترة الأرضَ وسُكّانَها. وأيضاً ارتحلَ إلى واداي، وأقام فيها نَحْوَ ثمانية عشر شهراً. عَمِلَ في حكومة محمد علي واعظاً للجيش تحت إمْرَة ابراهيم باشا في حرب المورة. وعندما أصبحَ الدكتور پيرون (انظر هامش ٢٧ السابق) مديرَ مدرسة الطبِّ في القصر العَيْني عام ١٨٣٩ م عُيِّنَ التونسي في كلية الطبّ لتصحيح الكتُب الطبيّة، والعلميّة المُتَرْجَمَة إلى اللغة العربية، خاصةً كُتُب كلُوت بك وكُتُب الدكتور پيرون التي كانت مُستعملَةً بمدرسة الطبّ في القاهرة، وعلوم الصيدلة، والبَيْطرة. وشجَّعه الدكتور پيرون على نَشْر مُذكّراته عن إقامته في السودان. ونشَرَ الدكتور پيرون نَصَّ التونسي عن رحلة دارفور بالعربية في كتابٍ عنوانه «تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان» عام ١٨٥٠ م في پاريس. (انظر الهامش ٢٧ حول نَقْد الشدياق للأخطاء اللغوية التي لم يتَدارَكها الدكتور پيرون لَدَى نَشْرِه هذا الكتاب).

للمزيد انظر جرجي زيدان، ١٩٧٨، المصدر السابق، ج ٤، ص٥٤٩-٥٥١؛ الشيال، ١٩٤٤، المصدر السابق؛ الشيال، ١٩٥١، المصدر السابق، ص ٦٦ و١٧٩-١٨١ و١٩١-١٩٤.

وانظر أيضاً Victor Schoelcher, 1846, *op. cit.*, p. 48-49; *EI*[1], VIII, p. 844-847; *GAL* II, 643, *GAL* S II, p. 748,

والايطالية [٢٩]. وفي نحو عام ١٨٤٤ م حصَلَت تغييرات كثيرةٌ في النُّظم التعليمية والمدرسية. وبَعْدَ تجاربَ عديدةٍ في فتح مدارسَ أو أقسامٍ متُخصصةٍ، مثل «قسم الإدارة الملكية العمومية»، و«الضابطخانة»، وقسم لدراسة العلوم الفقهية، و«الإدارة الزراعية الخصوصية» ضُمَّت جميعُ هذه المدارس تحت اسمٍ واحدٍ وهو «مدرسة الألسن والمحاسبة» تحت إدارة رفاعة رافع الطهطاوي. وبلغ عددُ طلابها ٣٢٠ طالباً عند اعتلاء عبّاس الأول سدةَ الحُكْم في ١٨٤٩ م [٣٠].

كما ذكرْنا سابقاً، فإنَّ عدَمَ وجُود هذه المُصْطلحات العلميَّة الحديثة، أو الجَهْلَ بها كان العقبةَ الكؤودَ في تعلُّم المصريين الطبَّ الحديث. واستنباطُ هذه المُصْطَلَحات الفنَيّة الطبيّة كان أهمَّ الانجازات العلمية خلالَ عَصرْ محمد علي، إنْ لم يكنْ أهمّها في القرْن التاسع عشر. والتغلُّبُ على هذه المشكلة مثيرٌ للإعجاب حقاً.

وفي بدايةِ حركة الترجمة كان من المُعتاد جمعُ المصطلحات الفنيّة الخاصّة في كتابٍ معُيَّنٍ، وفي مَيْدانٍ فنّيٍّ، أوْ علميٍّ مُحَدّدٍ على شكل قوائم تُلْحَق في بداية الكتاب، أوْ نهايته. وتدريجياً، ولازدياد اقتناع المترجمين بتوْحيد هذه المصطلحات، ولأهميّة جَمْعها، وبسبب اكتساب نوعٍ من الثقة في وَضْع مُصطلحاتٍ جديدةٍ، تطوَّرَ هذا الأمرُ إلى وَضْع مُصطلحاتٍ علميّةٍ عربيّةٍ نظيرةٍ لتلك التي في قواميسَ مُتخصّصةٍ مثل «قاموس نايْستِن» الطبيّ، (Nysten)، و«قاموس فابرْ» (Fabre) المُسَمَّى *Dictionnaire des Dictionnaires de Médecine*. وساهَمَ بعضُ أساتذة مدرسة الطبّ في القاهرة، كلٌّ في مجال اختصاصه، في وَضْع هذا القاموس. وعندما رأسَ الدكتور پيرون إدارةَ المدرسة شجَّعَ على جَمْع المُصْطَلَحات الفَنيّة من المعاجم العربية القديمة، والمؤَلّفات اللغوية، والعلميّة العربية الأخرَى. ورَتّبَت هذه المصطلحاتُ على شكل مُعجَمٍ طبْقاً

---

٢٩) عزت عبد الكريم، ١٩٣٨، المصدر السابق، ص ٣٣٢-٣٣٣؛ الشيال، ١٩٥١، المصدر نفسه، ص ٣٨-٤٢؛ Heyworth-Dunne, 1968, *op. cit.*, p. 266-267

٣٠) للمزيد عن «مدرسة الالسن»، وتطوُّرها، وبعض الاساتذة، والطلاب الملتحقين بها انظر عزت عبدالكريم، ١٩٣٨، المصدر نفسه، ص ٣٢٩-٣٣٩؛ الشيال، ١٩٥١، المصدر نفسه، ص ٣٨-٤٤؛ جاك تاجر، د.ت، المصدر السابق، ص ٢٩-٣٦؛ Heyworth-Dunne, 1968, *Ibid.*, p. 264-271

لنظام المعاجم الأوروبيّة. وساهَمَ محمد بن عمر التونسي في انتقاء مُصطلحات الأمراض، وأعراضها، وأسماء النباتات، والمعادن من مصادر التراث العربية، ككتاب داوود بن عمر الأنطاكي (ت ١٠٠٨ هـ) «تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العُجاب»، والكتب اللغوية، والمعاجم. وأضافَ إليه أسماءَ العقاقير، ووضَعَه على شكل مُعجَم. وسُمِّيَ بالعربية «كتاب الشُّذور الذَّهبيَّة في الألفاظ الطِّبيَّة» [٣١]، فأصبحَت هذه التَّرجماتُ مَراجعَ فنيّةً هامّةً في مدرسة الطبّ تحت إشراف كلُوت بك. وقد أهدَى كلُوت بك مخطوطَ قاموسِ المصطلحات الطبية العربية والفنية هذا إلى «المكتبة الوطنية» بباريس Bibliothèque Nationale يوم التاسع من أيلول (سبتمبر) سنة ١٨٥١ م. وحتّى كتابة هذه السُّطور لا تتوفَّر لديْنا معلوماتٌ عمّا إذا كان قد تمَّ نشرُ بقيّة هذا القاموس. ولربّما أصبحَت ثمرَةُ جهود هذه الصفْوَة من العلماء المصريين وغيرهم أسيرةَ خزائن كتُبٍ قد يُغلّفها النِّسيانُ إلى الأبَد [٣٢].

٣١) يذكر الشيال، ١٩٥١، المصدر نفسه ص ١٩٢ أسماءَ الذين ساهموا في وَضْع مُصطلَحات «الشذور الذهبية في الألفاظ الطبيّة»، وكذلك ورَدَت الأسماء قبل ذلك في Heyworth-Dunne, 1940, *Ibid.*, p. 343

ورَدَ اسمُ هذا الكتاب على «الشذور الذهبية في المُصطلحات الطبية» في الشيال، ١٩٤٤، المصدر السابق. ونلاحظ أنّه على الرَّغم من الجهْد الجماعي الذي انصَبَّ في هذا المؤلَّف، فإنّه نُسبَ إلى التونسي. ولعلَّ ذلك راجعٌ إلى نصيبِ التونسي الكبير في هذا الجهْد، ومركزه كبيراً للمُصَحّحين، وللدَوْر الذي قامَ به في تنسيق جهود المُترجمين جميعاً، والإضافات الكثيرة التي أورْدَها من الكتُب التُّراثية.

انظر جرجي زيدان، ١٩٧٨، المصدر السابق، ج ٤، ص ٥٥٠-٥٥١؛ Heyworth-Dunne, 1940, *Ibid.*, p. 343

٣٢) يذكر جرجي زيدان (١٩٧٨) أنّ نُسخةً مُصوَّرةً (فوتوغرافية) من نسخة باريس من هذا المُعْجَم تُوجَد في «دار الكتب المصرية» في القاهرة، وأنّ «نظارة المعارف» قد أقرّت طبعها في مُحاولةٍ منها لإحياء الآداب العربية. ويقول الشيال (١٩٤٤ و١٩٥١) أنّ أربعَ نُسَخٍ من هذا المُعجم توجَد في «دار الكتب المصرية»، وأرقامُها هي: (٧٥٧١، ١٧٤٠، ١٦٤٤، ١٦٥٣ طب). ويذكرُ أنّ «دارَ الكتب الخديوية» [دار الكتب المصرية، لاحقاً] بدَأت فعلاً بطبع هذا المُعجم، وأنّ الجزءَ الأولَ منه طُبعَ في مئة صفحةٍ في مطبعة مجلّة «المُقتطف» عام ١٩١٤ م تحتَ إشراف د. أحمد عيسى. ويُناقِض الشيّال نفسَه إذ يَذكُر أنّ مصر =

ولمّا كانت اللغةُ التركيةُ لغةَ الدولةِ العثمانيّة الرسميّة في الولايات كافّةً، ومنها مصر، فَمنَ الطبيعي أنْ يكون لهذه اللغة اليدُ العليا في المراسلات والأعمال الرسميّة كافّةً، على الرّغم من عدَم معرفة الشُّعوب الخاضعة لتركيا للّغة التركية. ونَعرف أنّ محمد علي أدار شؤونَ حكومته وإداراتها المختلفة مُستعملاً اللغة التركية العثمانية، لا سيّما ومعظم المُتنفّذين كانوا عثمانيّي التعليم والثقافة. وهذا يُفسّر أحياناً كثيرةً السَّبْق للّغة التركية عند الإشارة إلى لغة الموادّ المُدرّسَة في المدارس والمعاهد، وإلى لغة المؤلّفات المُتَرْجَمَة من اللغات الأجنبية. فغالباً ما كانت تُتَرجَم المؤلّفاتُ الفرنسيةُ، أو الإيطاليةُ إلى اللغة التركية لمصلحة الحاكم، والطبقة العليا المُتَنَفّذَة في مصر التي كانت في صميم ثقافتها تركيّةً عثمانيّةً، أو إلى اللغة العربية، وبخاصّة في السنوات المتأخّرَة من حُكْم محمد علي، والسنوات التالية لوفاته، إثْرَ تَمَصُّر الجيلِ الأول من أسْرته بخاصّة، وتمصُّر الطبقة الحاكمة بعامّة، على الرّغم من اختلاف أصُولها العرقيّة، تُركيةً كانت، أم جركسيةً، أم أرمنيةً، أم ألبانيةً.

= أحضرَت من فرنسا نُسختَين شَمْسيّتَيْن في مطلع القرن العشرين بَدَلاً من أربع (كما سَبَق وذُكِر)، وأنّ هاتَيْن النُّسختَيْن أودعتا في «دار الكتب الملكية» في القاهرة. ولكنّه يؤكّد قوله الخاصّ بطبع المئة صفحة الأولى كما وَرَدَ في مَقالته. وفي مُقدِّمة تحقيق كتاب «تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان» [لمحمد بن عمر التونسي] (١٩٦٥)، ينْسُبُ خليل محمود عساكر، ومصطفى محمد مسعد كتابَ «الشذُور الذّهبية في الألفاظ الطّبية» إلى تصنيفات محمد بن عمر التونسي. ويذكر هذان المُحقّقان رقْمَ المخطوطة بـ «المكتبة الوطنية» بباريس، وهو ٤٦٤١. كما يَذْكُران أنّ «دار الكتب المصرية» تحوي أربع نُسَخٍ مُصَوَّرَةٍ عن نسخة باريس، وأنّ الجزءَ الأوّلَ فقط طُبِعَ. وتؤكّد عايدة ابراهيم نصير (١٩٨٣) طَبْعَ بعض هذا الكتاب (١٠٠ صفحة) عام ١٩١٤ م في «دار الكتب» [المصرية] في القاهرة تحت عنوان «الشذُور الذّهبية في المُصْطَلَحات الطّبية».

انظر جرجي زيدان، ١٩٧٨، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٥٥١؛ الشيال، ١٩٤٤، المصدر نفسه، ص ٢١٨، هامش ١؛ الشيال، ١٩٥١، المصدر السابق، ص ١٩٢-١٩٣؛ ومحمد بن عمر التونسي، ١٩٦٥، «تشحيذ الأذهان»، ص ١٤؛ وعايدة ابراهيم نصير، ١٩٨٣، «الكتب العربية التي نشرت في مصر بين عامي ١٩٠٠ - ١٩٢٥، ص ٢٠٨؛ Heyworth-Dunne, 1940, *Ibid.*, p. 344.

وبعد عام ١٨٤٥ م بَدأت اللغةُ العربية تَحِلُّ تدريجياً مَحلَّ اللغة التركية العثمانية في إدارة شؤون البلاد. وبدأ أبناءُ مصر الأصليّون الناطقون بالعربية يَحلّون مَحلَّ الموظفين الأتراك، وغيرهِم في كثيرٍ من المناصب الإدارية، ونُشير في هذا المقام إلى عاملَيْن: الأولُ، يَتَعلّق بالتّمَصُّر الذي أصابَ هؤلاء الموظفين ذَوِي الأصول التركيّة، أو غَيْر التركيّة، نتيجةَ إقامتِهم الطويلة في مصر؛ والعاملُ الثاني والأهمُّ هو السياسةُ التعليميّة التي اتّبَعَها محمد علي، وخلفاؤهُ فيما بعد، والتي كان أَحَدَ نتائجِها نَشْرُ التعليم بيْن قِطاعاتٍ مِصريّةٍ مُختلفةٍ في مناطقِ مصر المختلفة [٣٣].

ومن مظاهر التطوُّر الحديثة في مصر في عهد محمد علي تأسيسُ مطبعة بولاق عام ١٨٢١ م، فقد كان بمقدور هذا الاختراعِ «الغريب» أنْ يطْبَعَ بِلُغاتٍ أُوروبيّةٍ (الفرنساوية [كذا]، واللاتينية، واليونانية)، وشرقيةٍ (السريانية، والعربية) عديدة [٣٤]. واستُخدِمَت هذه المطبعةُ لطبْع الكُتُب الكثيرة التي تُرجِمَت إلى اللغة العربية من اللغات الأوروبية، ولا سيَّما الفرنسية، والإيطالية في ميادين العلوم الرياضيّة، والطبيَّة، والجغرافية، والتاريخية، والأنظمَة العسكرية من بَحْريّةٍ، وحَربيّةٍ. وبالإضافة إلى طباعة الكُتُب المُترجَمَة، استُخدِمَت مطبعة بولاق أيضاً لطباعة «الوقائع المصرية»، الجريدة الرسمية الأولى في مصر، والتي بدأت في الصُّدور عام ١٨٢٩ م [٣٥].

وأصبحت هذه المطبعةُ مركزَ طباعةِ أُمَّهات الكتب العربية فيما بَعْد. وطُبِعت فيها، في وقتٍ لاحقٍ، مَجلّة «روضة المدارس» الأدبية والعلمية التي صَدَرَت عامَ ١٨٧٠ م ورَأَسَ تحريرَها

---

٣٣) Vatikiotis, 1969, *op. cit.*, p. 67-68

٣٤) انظر أمين سامي باشا، ١٩١٧، المصدر السابق، ص ١٢؛ ومحمود الشرقاوي، المصدر السابق ج ١، ١٩٥٧، ص ١٩١، هامش ١، حيْث يُورِد هذه المعلومة نقلاً عن نقولا [بن يوسف] التُّرك (١١٧٦-١٢٤٤ هـ) (١٧٦٣-١٨٢٨ م).

ورَدَت هذه المعلومة في كتاب التُّرك «ذكر تَملُّك جُمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشاميّة»، ١٩٩٠، ص ٢٩. كذلك انظر هذه المعلومة في «حملة بونابرت إلى الشرق» «مخطوطة نقولا الترك»، ص ٧٧.

٣٥) أمين سامي باشا، ١٩١٧، المصدر نفسه، ص ١٢.

رفاعة رافع الطهطاوي، واستمرَّت ثماني سنوات. وحَسبما أَوْرَدَه أمين سامي باشا فَقَد بلَغَ عَدَدُ الجرائد في عَهْد الخديوي إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩ م) سبعاً وعشرين، منها تِسْعٌ نُشِرَت باللغة العربية، وواحدةٌ بالعربية والتركية، وواحدةٌ بالعربية والفرنسية والإيطالية، والباقي باللغات الأجنبية كالإيطالية، والفرنسية، واليونانية [٣٦]. وكانت هذه الجرائد تُنشر مُباحِثَ علميةً، وأدبيةً، وبخاصةٍ في «روضة المدارس»، وأثَّرَت تأثيراً ملموساً في طَرْح الجديد من المواضيع. فبَدَلاً من التَّهاني، والتأسّي، والهجاء، والعِتاب، والغَزَل أصبح الكتّاب يُطرقون مواضيعَ مختلفةً ذاتَ أغراضٍ عامةٍ لها علاقةٌ بحُبِّ الوطن، وعلاقة الحاكم بالمحكوم. وحَدَثَ أيضاً تغيُّرٌ في الأساليب الكتابية والحركة الفكرية [٣٧].

وبالإضافة إلى التعليم وأوْجُهِه المختلفة التي عرَضْنا لها سابقاً، والطباعةِ وأثرِها في النهضة الحديثة في مصر، لا بُدَّ أنْ نذكرَ أنَّ حركةَ التصنيع التي بَدَأَها الحاكمُ لتزويد المؤسَّسة العسكرية بما تحتاجه من أسْلحةٍ، ومَوادَّ عسكريّة هو من المظاهر العديدة التي شَجَّعَت التطوّرَ والتجديدَ في مصر تحْتَ حكْم محمد علي وخلفائِه. وهذه الحركة أحْدثَت تغييراتٍ عديدةً في المُجتمع. وشَمِلَت هذه السياسةُ التصنيعيّةُ إنشاءَ مصانعِ السّلاح في القلعة بالقاهرة، وبناءَ مصانع السُفُن في الإسكندرية، ومصانعِ القُطْن، والنَّسيج، والسكَّر، والمواد الكيماوية المُخْتلفة [٣٨].

وتعزيزاً للصناعات التي أنشأها محمد علي، تمَّ تطويرُ وَسائل الاتّصال كالقطارات والسكَك الحديدية، ووسائل الملاحة الداخلية والخارجية، والبريد والتلغراف، والتليفونات، سواء تلك التي أُسِّسَت في عهد محمد علي، أوْ خلفائِه التالين [٣٩].

وأثناءَ فترةِ تَولّي الخديوي إسماعيل الحُكْم (١٨٦٣ - ١٨٧٩ م) كان الشَّغفُ بالتطورُّ الأوروبيّ في أوْجِهِ في جميع الميادين - علِميةً كانت أم اجتماعيةً - فقد كان الخديوي إسماعيل

---

٣٦) أمين سامي باشا، ١٩١٧، المصدر نفسه، ص ٢٣.

٣٧) أمين سامي باشا، ١٩١٧، المصدر نفسه، ص ٣٥.

٣٨) للمزيد عن هذا الجانب انظر أحمد الحتّة، ١٩٦٧، ص ١٥٨، وما يليها.

٣٩) للمزيد انظر الحتّة، ١٩٦٧، المصدر نفسه، ص ٢١٥، وما يليها.

نفسهُ شغوفاً بطريقة العيش الأوروبية. ويجب ألاّ ننسى أنّ هذه الفترة كانت زمن تطوّر طرق المواصلات من سكك الحديد، والسفن البخارية، ووسائل الاتّصال كالتلغراف والتلفون، وما إلى ذلك. وتغنّت المقالات العديدة في الصحف، والمجلاّت بهذه الاختراعات الحديثة. وقاد الوعي بوضع مصر المتخلّف إلى الرغبة في اللحاق بالتقدّم الأوروبي في الميادين كافةً، فشجّع الخديوي إسماعيل اكتساب نمط الحياة الأوروبية إلى حدٍّ كبير. واستقدم هذا الحاكم أعداداً كبيرةً من الأوروبيين لاستخدامهم في إدارة البلاد. وازدهر المسرح والغناء. وتُرجمت القوانين الأوروبيةُ ولا سيّما الفرنسية. كما تُرجمت بعض القوانين التركية.

وشجّعت حركةُ الترجمة، واكتساب العلوم والفنون من أوروبا استعمال كلمات عربية جديدة للتعبير عن هذه الحركة العلميّة، والفنيّة، والتطوّر الإداري. كما استُعملت كلماتٌ أجنبيةٌ كثيرةٌ، وبخاصةٍ من الفرنسية، لصعوبة ما يوازيها في اللغة العربية آنذاك.

كذلك، أثارت حركةُ أوربة مصر على يد الخديوي إسماعيل عداء الكثيرين من أبناء البلاد الذين كان انتماؤهم عربياً إسلامياً، أو مصرياً. فعلى الرغم من قبولهم استقدام العلوم الأوروبيّة، والتقنيّات لنقل الحياة المصرية إلى المرحلة المتطوّرة التي كانت أوروبا تتمتّع بها، ظهرت معارضتهم في أوجهٍ عديدة. والجانب الذي يهمّنا في هذا البحث هو الجانب اللغويّ، وكيف كان ردُّ فعل المثقّفين المصريين والعرب نحو استخدام المفردات، والمصطلحات العلميّة الكثيرة من اللغات الأوروبية.

ويشير هيورث-دن إلى أنّ أحد الأسباب التي ساعدت في تطوّر اللغة العربية ونموّها في عصر النهضة في القرن التاسع عشر، لا سيّما في مصر، ركود حياة السلطة التركية الحاكمة آنذاك. فبينما انحدرت الجيوش المصريةُ وانطوت صفحةُ الانتصارات العسكرية بعد وفاة محمد علي فإنّ الإنجازات اللغوية التي تمّت في تلك الفترة لم تصبح في طيّ النسيان [٤٠].

ومن الإنصاف أن نضيف هنا أنّ محاولات استنباط المصطلحات الفنيّة، والتقنيّة للمستحدثات الجديدة المستوردة من الغرب كانت قد ظهرت بداياتها في الدولة العثمانيّة منذ

---

٤٠) Heyworth-Dunne, 1940, *op. cit.*, p. 325

أوائل القرن الثامن عشر [٤١]. ويَجب أنْ نُضيفَ أيضاً أنَّ اللغةَ العربيةَ كانت مَصْدَراً رئيسياً للمفُردات الفنيّة، والمُصطلَحات العلميّة في اللغة التركية العثمانية [٤٢]. ولعلَّ اللغةَ العربية وَجَدَت حافزاً قويّاً للتطوُّر على يَدِ محمد علي وحكومته بسبب الضرورات الجديدة التي وَجَدَ محمد

---

٤١) شجَّع الصَّدْر الأعظم ابراهيم باشا الترجمة، وعيَّن عام ١٧١٧ م مجموعةً من خمسةٍ وعشرين شخصاً ليُترجموا المؤلَّفات الشرقية والغربية إلى اللغة التركية العثمانية. ومن هؤلاء المترجمين أسعد أفندي الذي ترجمَ كتابَ «الفيزياء» لأرسطوطاليس من اليونانية إلى العربية. كما أنشأَ السلطان محمود الأول «هندسه خانه» (مدرسة الهندسة) عام ١٧٣٤ م في حَيِّ اسكودار Üsküdar في استنبول لتعليم «علم الهندسة» الهام في المدفعية. وبإنشاء مدرسة الهندسة ظَهَرت مخطوطاتٌ في الرياضيات، والعلوم الطبيعية؛ واستمرَّ الاهتمامُ بترجمة المؤلَّفات الأوروبية إلى التركية وبخاصّة الكتب الجغرافية، والطبيّة. للمزيد انظر Niyazi Berkes, 1964, *The Development of Secularism in Turkey*, p. 48-50

٤٢) نتيجة إدخال العلوم الحديثة في المدارس التركية الحديثة آنذاك ظهرت بمرور الزمن كتبٌ تعليميةٌ، ورسائل علميةٌ عن هذه المواضيع بالتركية العثمانية. ومن أجود الكتب المبكِّرة في هذا المضمار الكتابُ التعليميُّ الذي أعدَّه إسحاق (١٧٧٤ – ١٨٣٤ م)، المُترجم الشهير، الذي عَمِلَ مدرِّساً بـ«المهندس خانه». وتكْمُن أهمِّيَّةُ كتابه «مجموع العلوم الرياضية» (أربعة مُجلَّدات، ١٨٣١ م)، لا في كونِه أوَّلَ كتابٍ يَعرِض العلوم الرياضية، والفيزيائية بالتركية العثمانية فقط، بل لأنَّه يُورِد المُصْطلحات العلميَّة الجديدة بالتركية العثمانية. واستنْبَطَ إسحاق هذه المُصْطلَحات العلميَّة من اللغة العربية، لغة المدرسة الإسلامية التقليدية، إذ اعتمَدَ اللغةَ العربية أساساً لهذه الاستنْباطات الجديدة. ومُعظمُ المُصْطلَحات التي استَنْبَطها إسحاق من الجُذور العربية أصبحت ثوابتَ في تعليم العلوم، والكتابة حولها. وجَعَلَت هذه الحالُ دراسةَ العربية ضروريةً لأغراضٍ علميّة، وفي الدراسات الحديثة غير الدينية، على عكْسِ ما كان مألوفاً قبل هذا الوقت. ولإكمال الصورة، يجب أنْ نذكرَ أنَّ إسحاق أدخل أيضاً بعضَ المُصطلحات الأوروبية إلى التركية كاستعماله كلمة «الكتريك» بمعنى «الكهرباء» من الأصل الأوروبي electricity/electricité.
ويزْعُم برْنارْد لويس أنَّ كثيراً من المُصطلحات التي استنبطها إسحاق ما زالت مُستعملَةً حتَّى اليوم في البلاد العربية. ولم يُورِد أمثلةً على ذلك.
للمزيد انظر Bernard Lewis, 1961, *The Emergence of Modern Turkey*, p. 85, fn 20; Heyworth-Dunne, 1940, *op. cit.*, p. 336-337; Berkes, 1964, *Ibid.*, p. 118-119.

علي نفسَه بحاجةٍ لها. ولـم تكُن جهُودُ محمد علي في مصر إلا استمراراً لما كان قد بَدَأَ في تركيا. ويتَّضِحُ لنا هذا من معلوماتٍ تُفيد أنَّ محمد علي حَصَلَ على بعض الكتب المطبوعة في استنبول تتضمَّن بعضَ ترجمات الكتب الفرنسية في العلوم التي كانت قد تُرْجِمَت ونُشِرت في استنبول في القرن الثامن عشر [٤٣]. وربَّما كان محمد علي يَحْذُو حَذْوَ السلطان العثماني سليم الثالث الذي استمرَّ حكمُهُ من عام ١٧٨٩ إلى ١٨٠٧ م، سواء بالاهتمام بإنشاء المكتبات، واقتناء الكتب، أوْ إرسال وفود الطلاب إلى أوروبا لدراسة العلوم الأوروبية الحديثة. ورُبَّما كان لالتحاق بعض رجالات السُّلطان سليم الثالث بحكومة محمد علي بعد سقوط السلطان سليم الثالث من الحكم تأثيرٌ في هذا المجال [٤٤]. ويتأكَّد ذلك من منشورات مطبعة بولاق المُبَكِّرَة إذْ طُبِعَ فيها عشرون كتاباً، أربعةٌ منها كانت قواميس. وكانت هذه الكتبُ إعادةً لطبعاتٍ صدَرَت في استنبول [٤٥]. ومن الوُجْهَةِ المقابِلَة، يجِبُ أنْ نذكرَ أنَّ جهُودَ محمد علي كانت مثالاً احتَذاه السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩ م)، الذي خلَفَ السلطان سليم الثالث فقَد أوْفَدَ عام ١٨٢٧ م مجموعةً من الطلاب الأتراك إلى بعض البلاد الأوروبية لدراسة العلوم الغربية، وبخاصةً العلوم البَحريَّة، والعسكريَّة. كما افْتَتَحَ في استنبول مدرسةَ الطبِّ عام ١٨٢٧ م، بعد حوالي شهريْن من افتتاح مدرسة الطبِّ في «أبي زعبل» في القاهرة على يد محمد علي [٤٦].

ممّا لا شكَّ فيه أنَّ المؤسَّساتِ التي عرَضْنا لها في الفقْرات السابقة، والتي أنشأها محمد علي، وخلفاؤُه حتَّى زمن حُكم الخديوي إسماعيل، أحْدَثَت تغييراتٍ كثيرةً في طبيعة المجتمع

---

٤٣) انظر أمين سامي باشا، ١٩١٧، المصدر نفسه، ص ١٧؛ Heyworth-Dunne, 1940, *Ibid.*, p. 110

٤٤) نذكرمن هؤلاء يوسف كامل مترجم كتاب «تلماك» Télémaque لفنِلُون Abbé Fénelon الذي خدَمَ محمد علي عدَّة سنوات قبل عودته لاستنبول حيْث قامَ بِدَوْرٍ بارزٍ في محاولات الإصلاح العثماني الموسوم بـ«التنظيمات»، وفي تبنّي أعضاء «الجمعيّة العثمانية الفتاة» Young Ottomans ورعايتهم؛ وكذلك سامي باشا، وصبحي باشا، ومنيف باشا، ومصطفى فاضل، حفيد محمد علي. للمزيد انظر Şerif Mardin, 1962, *The Genesis of Young Ottoman Thought*, p. 191-193

٤٥) Heyworth-Dunne, 1940, *Ibid.*, p. 333-336

٤٦) Bernard Lewis, 1961, *op. cit.*, p. 82

المصري وبُنْيَته. وكان لهذه المؤسَّسات التحديثيّة الواردة أُسُسُها من الغرب أكبرُ الأثَر في الحياة الثقافيّة، والاجتماعية، والسياسية في مصر لعقُودٍ تالية. وما يَهمُّنا في هذا الخُصوص هو التفاعُل اللُغَويّ الذي حدَثَ نتيجةً لهذه المُؤثِّرات، ونتيجةً للتغيُّر الثقافيِّ، والاجتماعيِّ، والصِّناعيِّ الذي تعرَّضَت له مصر، ثُمَّ البلادُ العربيةُ الأخرى.

كُلُّ هذه الإحداثات الجديدةِ من صناعاتٍ، ووسائلِ اتّصالٍ قامت بدورٍ هامٍّ ليس في الجوانب الاقتصادية، والمُجتمَعيَّة المختلفة فحَسْب، بل في إغناء الحياة اللغوية في مصر في غُضون العقود المختلفة التي استقْدِمت خلالها هذه الصناعاتُ، والمُسْتحدَثاتُ الأوروبيةُ الطارئةُ في حياة المجتمع المصري بخاصةٍ، وفي المجتمع العربي بعامةٍ. فلا بُدَّ أنَّ بناءَ المصانعِ المختلفة بآلاتها المُستَوْرَدَةِ، وإنشاء وسائل الاتصال المُستَحْدثَة قَدْ أحدثَا تغييراً في لغة أولئك النَّفَر الذين كانوا يُديرون هذه المصانع، ووسائل الاتّصال المُتنوّعة، أو يُشْرِفون على عملها. كما أنَّ الحاجةَ إلى المواد، والآلات المختلفة لعَمَلِ هذه المُستَحْدثَات استَدْعَت تسميَةَ هذه الأدوات والآلات بأسمائها. والسؤال الذي نحن بصَدَدِ تقَصّيه ومحاولَةَ الإجابةِ عنه هو: أيُّ مُفردات استُعملت لتَسمية هذه المُستَحدثَات؟ هل استُعْملت الكلماتُ الأجنبيّةُ، فرنسيةً، كانت أم ايطاليةً، أم انجليزيةً: لأجهزة البَرْق (التلغراف)، والهاتف (التلفون)، وأدواتهما المُختلفة؟ ولِسِكَكِ الحديد، والقطارات، والأجزاء المُختلفة الداخلة في هذه الصناعات؟ ومصانع المدفعية، والبارود؟ وصناعة السُكَّر، وحلْج القُطْن؟ وأدوات المطبعة المختلفة؟ والأوبرا والفَنّ الجديد من الغناء؟ وما إلى ذلك من مُسْتَحدَثاتٍ حضاريةٍ أدْخلَها محمد علي ومَن ولِيَهُ من الخديويّين للمرَّة الأولى إلى مصر، والمنطقه العربية. هذه الأسئلةُ وغيرُها هي ما تُحاوِل هذه الدراسةُ الإجابةَ عنها في الصفحات التالية.

يَنْفَرِدُ القرنُ التاسعَ عشرَ عن القُرُون السالفة - باستثناء فترة الازدهار في عُصور الدولة العباسيّة - بحركَة الترجمة التي شجَّعها محمد علي نفسهُ، وبعضُ مَنْ تَلاهُ من الخديويين، والتي اكتسبت تحسُّناً نتيجة إنشاء المؤسَّسات التعليميّة، والمحاولات التصنيعيّة، والتقدُّم الذي أُحْرِزَ في مجال الاتّصالات، والمواصلات. ويُمكن القولُ إنَّ حركةَ الترجمة في القرن التاسع عشر تُماثِل - في بعض أوْجُهِها - حركةَ الترجمة في العصور العبّاسية من حيْث نَقْل العلوم الجديدة،

على الرَّغم من إدراكنا أنّ هذه المُقارنةَ صعبةٌ لاختلاف العهدَيْن على مختلَف الصُّعُد، وبالتالي اختلاف المواضيع المُتَرْجمَة، ولُغاتها. وفي الفصل الثاني تبيَّنت لنا - ولو باختصار - الصُّعوباتُ التي واجهَها المترجمون في عهدِ الازدهار العِلميِّ العبّاسيِّ. ولعلَّ أزمةَ استنباط المُصطلحات العِلميَّة في تلك الفترة تُشبِه الأزمة التي نشأت في القرْن التاسعَ عشرَ، مِن حيثُ استنباط المُفردات، والمُصْطَلَحات اللغوية للتعبير عن العلوم الواردة إلى المجتمع العربي.

وسَنولي دراسةَ الطرُقِ التي اتُّبِعَت في استنباط المفردات والمُصْطَلَحات خاصةً اهتمامًا، إذْ سنُركِّز في هذا الكتاب على جهود مُتَرْجمَيْن علَمَيْن برَزَا في فترة القرن التاسع عشر في ميدان الفكر العربي، وأبْدَيا اهتماماً كبيراً بوَضْع المفردات والمُصطلحات العربية. ففي الفصل الخامس نَدْرُسُ جُهودَ (أحمد) فارس الشدياق في ميدان المُعجميَّة العربية وسيلةً للرُّقيِّ بالعربية إلى مَصافِّ اللغات الأوروبيّة؛ وفي الفصل السادس نَدْرُسُ جُهودَ رفاعة رافع الطهطاوي في مجال استنباط المُصطلَح العربي المُعبِّر عن العلوم والمُسمَّيات الحضارية الوارِدَة من الغرب.

الفصل الخامس

(أحمد) فارس الشّدياق وتطوير المعاجم العربيّة*

أدرك كثيرٌ من المُفكّرين والكتّاب العرب في القرن التاسع عشر أنّ الحاجة ماسّةٌ لتطوير المعاجم العربية القديمة، واستحداث معاجم حديثة تفي بحاجات العصر، وتُعبّر عن التّغيُّرات التي طرأت على المجتمعات العربية، وبالتالي اللغة العربية. ويُعْتَبَر (أحمد) فارس الشّدياق (١٨٠١/ ١٨٠٤؟ -١٨٨٧ م) من أهمّ الداعين إلى تطوير المُعجَم العربي في فترة القرن التاسع عشر. ويبْدو لنا هذا واضحاً من خلال التدقيق في مُعجَمه الشهير «الجاسوس على القاموس»، الذي نُشِر عام ١٨٨١ م. وسنُشير من الآن فصاعداً إلى هذا المُؤلّف باسم «الجاسوس»، على سبيل الاختصار. وسنُحاول في هذا الفصل دراسة مَدَى أثَر هذا المُعجَم في جامعي المعاجم العربية الذين جاؤوا بعد الشّدياق، وفي جُهودهم لتحسين مُحتوَى المعاجم العربية، وتطويرها من ناحية الإعداد، والإخراج. ويجدرُ أنْ نذكر هنا أنّ الشدياق أغنَى اللغةَ العربيةَ من ناحية المفردات وذلك عن طريق الترجمة، وعن طريق وَصْف ارتحاله في الكتابيْن اللذيْن ألّفَهُما في هذا المجال، لا سيّما «الواسِطَة في مَعرِفَة أحوال مالطة» (١٨٣٤ م)، و«كَشْف المُخبّا عن فُنون أوروبا» (١٨٥٤ م)، اللذيْن أدخلَ الشدياق من خلالهما عَدَداً وفيراً من المُفردات المُستَحْدَثَة إلى اللغة العربية، سواء عن طريق الاستنباط، أو التعريب، أو إحياء المُفردات من اللغة العربية

* اعتمَدتُ في كتابة هذا الفصل على الأفكار الوارِدَة - مع بعض التعديل - في مقالتي عن الشدياق باللغة الإنكليزيّة الصادرة عام ١٩٩٠ بعنوان: « An Aspect of 19th Century Arabic Lexicography: the modernizing role and contribution of Faris al-Shidyaq (1804?-1887) »
انظر هذه المادّة تحت قائمة المراجع باللغات الأوروبيّة.

الفُصْحَى لتُعَبِّر هذه المُفردات عن دَلالات جديدةٍ. وأمَلْنا أنْ نَتَعَمَّقَ في دراسةٍ مُفَصَّلةٍ مُسْتَقِلّةٍ لهذا الجانب من عطاء الشدياق.

وحتّى يكونَ فَهْمُنا وافياً لما قَدَّمَه الشدياق للمُعجَم العربي يَجِبُ علينا أنْ نَتعرَّفَ خَلَفيّتَه، والعواملِ التي ساعَدَت على تطوُّرِه العِلمِيّ، والشَّخصي. كما يجبُ علينا أنْ نتعرَّفَ الظُروفَ الأدبيةَ واللغويةَ الخاصةَ باللغة العربية في القرن التاسعَ عشرَ في العالَم العَرَبي، وبخاصّةٍ في لبنان[١]. إنَّ مَعرِفَتَنا للمُحيط اللُغَوِيّ في فترة الشدياق، ومُستَوَيات اللغة العربية الأدبية التي كانت استمراراً للظُروف اللغوية، والأدبية في القُرون التي سَبَقَت عَصْرِه، قد تُلقي بعضَ الضَّوء على الأسباب التي دَفَعَت الشّدياق للخَوْض في المَصاعِب المُعجميّةِ الجَمّة في مُعجَم «الجاسوس».

وسنُزَوِّد القارئَ – في هذا الفصل – بنُبْذَةٍ مُختَصَرةٍ عن حياة الشدياق، وتطوُّرِه العِلمي. كما سنُلْقي نَظْرةً قصيرةً على المُحيط الفِكْرِيّ، والأدَبي، واللُغَوِي في لبنان في القرن التاسعَ عشرَ. ولا نُغالي إنْ قُلْنا هنا إنَّ هذا المُحيطَ قد يُمثِّل – إلى حَدٍّ ما – ظُروفَ البلاد العربية الأخرى في تلك الحِقْبَة.

هناك اختلافٌ حَولَ تاريخ وِلادَة الشدياق. ولكن يبدو من المُرجَّح أنَّ ذلك كان سنة ١٨٠٤ م في بلدة الحَدَث بالقُرْب من بيروت[٢] لعائلةٍ عَمِلَ كثير من أفرادِها في نَسْخ الكُتُب،

---

١) ليس المقصود هنا بِـ«لبنان» الدولة السياسية التي تَشَكَّلَت مُنْذُ فصلِه عن سورية عامَ ١٩٢٠ م، بل منطقة جبل لبنان وبيروت كما كان مفهوماً آنَئِذٍ.

٢) يُصِرُّ بولس مسعد (١٩٣٤، ص ١٦) على أنَّ فارس الشدياق وُلِدَ سنة ١٨٠٥ م في عشقوت. ولكنَّه يقع في التناقُض حيْث يُشير في الحديث عن مأتَم الشدياق إلى «بلدة الحدث [قرْب بيروت] مسقط رأس الفقيد . . .». ويذكر نسيب وهبة الخازن في مُقدِّمة «الساق على الساق» (١٩٦٦، ص ٥٩) أنَّ فارس الشدياق وُلِدَ عامَ ١٨٠٥ م في «عشقوت». ويُشير Alwan, 1970, p. 27, fn 80 إلى الاختلاف بين الدارسين فيما يختص بتاريخ ميلاد الشدياق، ومكانه. ويُستَدَلُّ من القَرائن أنَّ الشدياق وُلِدَ سنة ١٨٠٤ م في بلدة عشقوت في لبنان، حيث يتَّفِق في هذا مع زيدان (١٩٦٠، «بناة النهضة العربية»، ص ١٩٠؛ A. G. Karam, 1965, *EI*², vol. II, p. 800 ؛ وفؤاد أفرام البستاني، ١٩٧٠، في تمهيد «أخبار الأعيان»، ج ١، صفحة ب. أمَّا عماد الصُّلح (١٩٨٠، ص ٢٣-٢٤) فيُقدِّم أدلّةً جديدةً على أنَّ ميلاد الشدياق كان سنة ١٨٠١ م.

وعَمِلَ بعضُهُم في التعليم، أَوْ كُتَّاباً لحُكّامٍ لُبنانيّين، أَوْ مِصرِيّين [٣]. وكَشأن الأطفال في تلك الفترة، دَخَلَ الشدياق في كتّاب القرية وتراه يَسْخَرُ سُخْرِيةً لاذعةً من هذه التجربة [٤]. وأُرْسِلَ فيما بعد إلى مدرسة «عَيْن ورَقَة» الشهيرة [٥]. وبالإضافة إلى هذه المدارس «الرَّسْمِيَّة»، تَلَقَّى الشدياق تعليمَه في بيْت العائلة على يَد إخوانه الذين كانوا مُتَميِّزين بعلُومِهِم، ومَعارِفِهِم [٦].

ولكنَّ انتماءَ يوسف الشدياق، والِد فارس، السِّياسيَّ في لبنان في تلك الفترة قَطَعَ عليه سَيْرَ حَياته الطبيعي، إذْ أُرْغِمَ والِدُهُ على الهُروب إلى دمشق عندما هَزَمَ الأميرُ الحاكِمُ في ذلك الزمن، حَيْدَر شِهاب، خُصومَهُ الذين كان والدُ فارس الشدياق في حِلْفٍ معهم. وخلّفَ يوسف الشدياق وراءَهُ زَوْجتَه، وأبناءَه، ومنهم فارس [٧]. وعندما تُوُفّيَ الوالِدُ في دمشق سنة ١٨٢٠ م تاركاً الأسرةَ في ضائقةٍ ماليّةٍ، أثّرَت هذه الحالُ في صِياغةِ مُستقبَلِ الأولاد الصِّغار، وبخاصّةً فارس. ونتيجةً لهذا الحال المادّي، اضْطُرَّ فارس للعَمَل في مَيادين عَديدةٍ حتّى يَدْعَمَ نفسَه مادّياً، وحتّى يُساعِدَ أُسرتَه، حيْث عَمِل في نَسْخ الكتب، عَمَلِ الأسرة التقليدي، في قَصْر الأمير

---

٣) عَمِلَ أخَوا فارس الشدياق، طنُّوس (١٧٩١–١٨٦١ م) وأسعد (١٧٨٩–١٨٣٠ م)، في الكتابة لَدَى الأمراء [اللبنانيين]، وفي تعليم العربية للإرسالية البروتستانتيّة الأمريكية. وعَمِلَ طنّوس في نَسْخ الكتُب، وكتَبَ كتاباً تاريخياً على أسلوب الحَوْليّات بعنوان «أخبار الأعيان في جبل لبنان» (انظر قائمة المراجع العربية). أمّا الأخُ الثالثُ، غالب الشدياق، فنَزَحَ إلى مصر عام ١٨٢٧ م وعَمِلَ كاتباً لمحمد علي باشا، والي مصر لعام ١٨٢٧–١٨٢٨ م. انظر طنُّوس الشدياق، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢٠؛ وبولس مسعد، ١٩٣٤، المصدر نفسه، ص ١١–١٥؛ وكذلك نسيب وهبة الخازن في مقدمة «الساق على الساق»، ص ٥٦؛ Alwan, 1970, *op. cit.*, p. 26-27.

٤) انظر الشدياق، ١٨٥٥، «الساق على الساق، ص ٨٣، والمَصدر نفسه، ص ٨٤.

٥) بولس مسعد، ١٩٣٤، المصدر السابق، ص ١٧؛ وميخائيل صوايا، ١٩٦٢، ص ١٧.

٦) للمزيد انظر الشدياق، ١٨٥٥، المصدر السابق، ص ٩١.

٧) يوردِ طنوس الشدياق (المصدر السابق، ج ١، ص ١١٩؛ وبولس مسعد، ١٩٣٤، المصدر السابق، ص ١١) أنّ يوسف الشدياق، والد فارس، توفي في دمشق سنة ١٨٢١ م وعمره ٥٨ عاماً. انظر كذلك عماد الصلح، ١٩٨٠، المصدر السابق، ص ٢٤–٢٥.

حيدر شهاب، العَدوّ التقليدي لأسْرَة الشدياق. وعَمِلَ أيْضاً مُعلّماً خاصّاً لأوْلاد الأمير. كما عَمِل تاجراً متَجوّلاً، وفي خانٍ. ولسُوء الحَظّ، لم تُوَفّرْ له هذه الوظائفُ الدَّخلَ الماديَّ الكافي، كما أنّها لم تُوَفّرْ الرِّضَى النَّفْسي الذي كان يَنْشدهُ.

وكان لحادثةٍ أُخرَى في تاريخ العائلة أثَرٌ كبيرٌ في تغيير مَجْرَى حياة فارس الشدياق، هي اتّصال أسعد الشدياق (١٧٩٨-١٨٣٠ م)، شقيق فارس الثالث، عام ١٨٢٥ م بإرساليّات التبشير البروتَسْتانتيّة الأمريكية بِصفَته مُعلّماً للُغة السريانيّة والعربية لبعض المُبَشّرين. ونَتَج عن هذا الاتّصال اعتناقُ أسعد المَذْهَب البروتَسْتانتي؛ ونتيجةً لهذا التَّحوّلُ المَذْهَبي حُكِمَ على أسعد بالسِّجن، وأفْضَى ذلك إلى فَقْد حياته في النِّهاية عام ١٨٣٠ م[٨]. وأثّرَت هذه الحادثةُ تأثيراً كبيراً على فارس الشدياق، واضْطرتّه لطَلَب المَعونة من جَمعيات التبشير البروتستانتية الأمريكية لمُغادَرة لبنان. وفعلاً تَمَّ إخراجُ فارس الشدياق من لبنان في الثاني من كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٢٦ م إلى الإسكندرية في مصر[٩]. وأُرْسِل بعد ذلك إلى مالطة، حيْثُ بَدأَ دراسةَ اللغة الإنجليزية لتَهْيئَته لتعليم اللغة العربية للأجانب. ثم مارَسَ الترجمةَ مع الطائفة التبشرية الأمريكية الصغيرة في مالطة عام ١٨٢٨ م، وبعد ذلك مع هيئات التبشير الإنجليزية. وقام أيضاً بأعمال الترجمة مع الطائفة التبشيرية المحليّة في القاهرة إثْرَ عودته لمصر إمّا في نهاية عام ١٨٢٨ م أو أوائل عام ١٨٢٩ م[١٠].

يَصْعُب علينا أنْ نُوفِّرَ مَعلومات مفُصّلةً عن عَمَل الشدياق في القاهرة بعد أنْ استقال من وظيفته مع الهيئات التبشيرية في مالطة، وإثْرَ عَوْدته لمصر. ولكن مِنَ المُؤكّد أنَّ الشدياق كان

٨) للمزيد من التفاصيل انظر بولس مسعد، ١٩٣٤، المصدر نفسه، ص ١٢-١٤؛ وانظر أيضاً Tracy, 1840, *History of American Missions*, p. 157; Bird, 1864, *The Martyr of Lebanon*, p. 101-118; Tibawi, 1966, *American Interests*, p. 36; The Missionary Herald عام ١٩٢٧ م أعداد ٢٣ (٧٠-٧٦) صفحات ١٢٩-١٣٦ و ١٦٩-١٧٧.

٩) يذكر طنوس الشدياق (المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٠؛ وبولس مسعد، ١٩٣٤، المصدر السابق، ص ١٧) أنَّ فارس الشدياق أُرْسِل إلى مصر عام ١٨٢٥ م لتعليم المُرْسَلين الأمريكيين اللغة العربية. للمزيد Alwan, 1970, *op. cit.*, p. 34

١٠) للمزيد انظر Alwan, 1970, *Ibid.*,.p. 40, fn 127

على صلةٍ بأقطاب العُلماء آنَذاك كرفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١/ ١٨٠٢ - ١٨٧٣ م). وهذه الصِّلات أمَّنَت للشدياق منَصباً في هيئة تحرير «الوقائع المصرية»، التي ظَهَر أولُ عَدَدٍ منها في الثالث من كانون الأول (ديسمبر) ١٨٢٨ م [١١]. ونتيجةَ مُزامَلَته جماعةً من المُفكِّرين في القاهرة، شَجَّعَه ذلك على التعمُّق في دراسة اللغة العربية، ورَفْع مُستواه اللغوي عن طريق مُتابعة دروس اللغة العربية في الجامع الأزهر [١٢]. كما علَّم أيضاً اللغةَ العربيةَ للأجانب في القاهرة [١٣]. ولهذا، كان للخِبْرات التي اكتسبَها الشدياق في الدراسة والتدريس، ولِمُلازمته مُفكِّري العصر آنذاك، وانخراطه في العمل الصُّحُفي من خِلال «الوقائع المصرية» أثناءَ إقامته في القاهرة، أهميةٌ كبيرةٌ في مَراحِل حياته التالية من الناحية الفكرية، والمِهنيّة.

وفي عام ١٨٣٤ م غادرَ الشدياق القاهرة في طريقه إلى مالطة ليبْدأ مَرَّةً ثانيةً عَمَلَه مع جَمعيّة التبشير الكَنَسيَّة (Church Missionary Society) مترجماً، ومُحَرِّراً، ومُشْرِفاً على المطبوعات العربية. وفي أثناء إقامتِه في مالطة هذه المَرَّة بَدَأَ تأليفَ الكتُب في تعليم اللغة العربية للأجانب [١٤]. كما نَستَدِلُّ أنَّ حاكِمَ جزيرة مالطة طَلَبَ من الشدياق تعليمَ اللغة العربية في مدرسةٍ

١١) للمزيد انظر بولس مسعد، ١٩٣٤، المصدر السابق، ص ١٨؛ والشيّال، ١٩٥١، المصدر السابق، ص ١٤٠؛ Alwan, 1970, *Ibid.*, p. 132, fn 127

١٢) للمزيد انظر الشدياق، ١٨٥٥، المصدر السابق، ص ٣٥٩-٣٦٠ و٣٦٥؛ وطنوس الشدياق، المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٠؛ وجرجي زيدان، ١٩٢٢، «ترجمة مشاهير الشرق»، ص ٧٥؛ وشيخو، ١٩٢٦، المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٤- ٨٦؛ Alwan, 1970, *Ibid.*, p. 42-43

١٣) للمزيد انظر الشدياق، ١٨٥٥، المصدر نفسه، ص ٣٦١-٣٦٥. من الشيوخ الذين درَسَ عليهم الشدياق يذكر بولس مسعد (١٩٣٤، المصدر السابق، ص ٢٣) شهابَ الدين الخفاجي، والسيِّدَ نصر الله الطرابلسي الحلبي.

١٤) كتَبَ الشدياق وَحْدَهُ، أوْ بالتَّعاوُن مع آخرين، كتُباً تعليميةً لتعليم اللغة العربية للأجانب، وكتُباً تَحوي مُختارات في القراءة العربية، وكتابَ مُقارنةٍ بيْن نَحْوَيْ اللغة العربية واللغة الإنجليزية، وكتُباً تعليميةً للُغتيْن الإنجليزية، والفرنسية، إذ يذكر بولس مسعد (١٩٣٤، المصدر نفسه، ص ٤٥) الاسمَيْن التاليَيْن في هذا المجال: «الباكورة الشهيّة في نحو اللغة الإنكليزية»، و«سَنَد الراوي في الصَّرْف الفرنساوي». صدَرَت الطبعة الثانية من كتاب «الباكورة الشهيّة في نَحْو اللغة الإنكليزية» بمطبعة الجوائب باستنبول عام =

مالطية في أثناء إقامة الأخير هناك. وفي عام ١٨٤٨ م وُجِّهَت دعوةٌ للشدياق لزيارة انجلترا ليقومَ بمُراجعة الترجمة العربية «للكتاب المُقَدَّس» التي أَنجزَها المُستَشرِق الإنجليزي صَمُوئيل لي Samuel Lee (١٧٨٣-١٨٥٢ م)[١٥]. وبعد هذه الإقامة القصيرة في كِمبْردِج، وأماكن أُخرى في انجلترا، واصَلَ الشدياق ارتحالَه في اسكتلندة، وفرنسا، ومالطة، وتونس. ومن دون شكٍّ، عرَّفه هذا الارتحالُ بالمجتمعات الانجليزية، والفرنسية، وكذلك بلُغات هذه البلاد، والحَرَكات الأَدبيَّة، والفكريَّة هناك. كما أنَّها شَحَذَت طاقاته اللُغويةَ، والفكْريَّةَ. ونتيجةً لهذه الإنجازات، دُعِيَ من قِبَل السلطان العثماني ليعملَ مُتَرجماً في الدولة العثمانية. وأَسَّسَ عام ١٢٧٧ هـ/

= ١٢٩٩ هـ. ولم أعثُر على كتاب «سند الراوي». ولكن يُوجَد هناك إشارةٌ إلى هذا الكتاب في قائمة «مطبوعات الجوائب» التي ظهرَت في نهاية «اللفيف في كل معنى طريف» حيث يذكر أنَّ الكتابَ طُبِع في باريس. ومن الكتُب التعليمية في اللغة العربية نَذْكُر «اللفيف في كل معنى طريف» الذي طُبِع في مالطة ١٨٣٩ م، حسبَما نعرف من مُقدِّمة الطبعة الثانية؛ ولا نعرفُ ناشرَ هذا الكتاب؛ ولكن أصدرت مطبعةُ الجوائب الطبعةَ الثانيةَ عام ١٢٩٩/ ١٣٠٠ هـ في استنبول؛ وكذلك كتابَ «المُحاورَة الأُنْسيَّة في اللغتَيْن العربية والانكليزية»، مالطة ١٨٤٠ م (دون معرفة الناشر) والذي أَلَّفَه مع جورج پرسي بادْجَر George Percy Badger. هكذا ورَدَ الاسم، ولكن في الحقيقة ظهرَ العنوان «المُحاورَة الأُنْسيَّة في اللغتَيْن الانكليزية والعربية»؛ وكتاب *A Practical Grammar of the Arabic Language* المطبوع في لندن عام ١٨٥٦ م من قِبَل الناشر Bernard Quaritch. وأصدرَ [القَس] هنري ج. وليامز Henry G. Williams، أستاذُ اللغة العربية بجامعة كامبردج، الطبعةَ الثانيةَ من هذا الكتاب في لندن عامَ ١٨٦٦ م.

يذكُرُ الشدياق في نهاية «المحاورة الأنسية» (ص ٣٢٥) تعريفاً بالدكتور جورج بادْجَر حيث يقول عنه: «... من علماء الانكليز ومشاهيرهم الذي بَرَعَ في اللغة العربية حتّى ترجم إليها اللغةَ الانكليزية في كتابه الذي سمّاه «الذخيرة العلمية»». ونفهم من هذا التعريف أنَّ بادجر Badger حَرَّر المادّة الإنكليزية في «المحاورة الأنسية» منذ مُدّة تزيد على أربعين سنة [من طبع الكتاب أي عام ١٢٥٩ هـ].

طُبِعَ كتابا «الباكورة الشهيّة» و«المحاورة الأُنْسيَّة» في مُجَلّدٍ واحدٍ عام ١٢٩٩ هـ، ونَجِدُ في آخرهما تمارين على جوانب مختلفة من النَّحْو الإنجليزي، و«جُمَل قصيرة مانوسة الاستعمال» و«١٦ حواراً»، و«مجموع الألفاظ في الأمثلة والمحاورات المتقدمة».

١٥) للمزيد انظر Arberry, 1948, *The Cambridge School*, p. 22-23

١٨٦١ م جريدةَ «الجوائب» في استنبول. وحازَت هذه النَّشرةُ الأُسبوعيَّةُ شُهْرَةً عاليةً في البلاد العربية إذْ كانت الناطقَ الرسميَّ باسم الخلافة العثمانية، ودافعَت عن السُّلطان العثماني ضدَّ حركات الانفصال الناشطة آنذاك.

ومن هذا الوصفِ المُختَصَرِ لحياة فارس الشدياق الغنيَّة بالارتحال، ومتُابعة النشاطات الفكرية، نستطيعُ أنْ نُحدِّدَ العواملَ الرئيسةَ التي ساهمَت في صوْغ شخصيّته. ما يَهمُّنا هنا هو الثروةُ اللغويةُ التي حقّقَها نتيجةَ ارتحاله في البلاد العربية والإسلامية (مثل القاهرة، ومالطة، وتونس، واستنبول)، وفي الغرب (بريطانيا، وفرنسا)، وإقامته في هذه البلاد فتراتٍ متُفاوتةً. والتعمّقُ الذي حازَه في اللغة العربية نتيجةَ اتّصاله بالجامع الأزهر وعلمائه، وتضلّعه من اللُّغتَيْن الإنجليزية، والفرنسية، كلّها عواملُ يجب أنْ تَبقَى في بالنا عندما نُحاول بَحْثَ ما قدّمَه الشدياق لتطوير المُعجَم العربي نفسه بشكلٍ خاصٍّ، وللدراسات المُعْجَميَّة بِشكلٍ عامٍّ.

على الرَّغم من تأسيس المدارسِ والمعاهدِ العلمية ذاتِ الطابع الغربي في لبنان في القرنَيْن الثامنَ عشرَ، والتاسعَ عشرَ فإنَّ تأثيرَ هذه المؤسَّسات العلمية في الحياة الأدبية والفكرية في المجتمع العام كان محدوداً إلى حدٍّ كبيرٍ، ومنْحَصِراً في مناطقَ صغيرةٍ، وأفرادٍ قلائل[١٦]. فالأُميَّةُ كانت واسعةَ الانتشار، ومُستوياتُ المدارس العلميَّة كانت منْخَفضةً، والمَوادُّ المُدرَّسَةُ مَحدودةَ العددِ. ولم يكن المُعلّمون أصحابَ مُستوياتٍ مِهنِيَّةٍ عاليةٍ. أضِفْ إلى ذلك أنَّ المكتباتِ كانت قليلةً، والكتُبَ مَحدودةُ العَدد، وفي مدَى توافُرِها. وباختصارٍ، كانت حالُ اللغة العربية في القرن التاسعَ عشرَ شبيهةً بحالها بين القرن الثالثَ عشرَ والثامنَ عشرَ، تلك الفترة التي يُمكِن وَصفُها بالتقَهقُر، عندما توقَّفَت اللغةُ العربيةُ عن كونْها الناقلَ والمُعبِّر عن حضارةٍ مزْدهرة. فأساليبُ الكتابة كانت مملوءةً بالزَّخارفِ اللَفظيَّة، والمُفردات الغَريبة، والتراكيب المُصطَنَعَة. وازداد استعمالُ الألفاظ، والتعابير العاميَّة في الأساليب الكتابية التي ركَّزت على استعمال السَّجْع على حساب المُحتوَى. وبشكلٍ عامٍّ، فالعربيةُ الفصيحةُ في البلاد العربية كانت تَتَقَهقَر إلى حَدٍّ طَغَى فيه استعمالُ مُستوىً لُغَويٍّ ركيكٍ في الكتابات الرَّسميَّة، واقتَصَرَ النَّشاطُ الأدبي في هذه

---

١٦) انظر عماد الصلح، ١٩٨٠، المصدر السابق، ص ٢٢.

الفترة على اختصار الكُتُب الدينية، وإعادة شَرْحِها، وعلى شِعْر الإخوانيّات، والرَّسائل التاريخية [١٧].

في هذا المُناخ الفقير، انصَبَّ اللومْ على اللغة العربية لعدم تمكُّنها من النُّهوض بالدَّوْر النشيط للتعبير عن حاجات المجتمع كما هي حال اللغات الأُخرى، لا سيَّما اللغات الأوروبية كالإنجليزية، والفرنسية. وبدافع دَرْءِ اللومْ عن اللغة العربية نَهَضَ بعضُ قادة مُفكّري القَرْن التاسعَ عشرَ، وعلى رأسِهم (أحمد) فارس الشدياق الذي سنَقْصِر البحثَ على جهوده في هذا الفصل، ليُدافِعوا عن اللغة العربية مُستعملين بذلك وسائلَ عديدةً، وليُطالبوا بالنُّهوض بها إلى المُسْتَوَى الرَّفيع الذي احتلَّته في الماضي. وكان من جُملة ما دعوا إليه العودةُ إلى أُصول اللغة العربية، والتركيزُ على المواضيع اللغوية، والأدبية، وتَرجَمَةُ العلوم الحديثة إلى العربية، وتأسيسُ جرائد، والاهتمامُ بالنَّشْر بشكلٍ عامٍّ. تَمَّت كُلُّ هذه المُحاولات لإنقاذ اللغة العربية من القيُود التي كانت تَرْزَحُ تحتها.

اهتمَّ الكُتّابُ والمُفكّرون في تلك الفترة في «بَعْث» العربية من جديدٍ، وفي «تصحيح» مَسارِها، وذلك بالعودة إلى المؤلَّفات اللغوية القديمة مثل «دُرَّة الغواص» للحريري (١٠٥٤-١١٢٢ م). وبالإضافة إلى ذلك، ألَّفَ بعضُ العُلماء كتُباً لتعليم اللغة العربية مثل «فَصْلُ الخطاب في أُصول لُغَة الأعراب» لناصيف اليازجي (١٨٠٠-١٨٧١ م)، و«غُنْيَة الطالب ومُنْيَة الرَّاغب في النَّحْو والصَّرْف وحُروف المعاني» لفارس الشدياق، الذي نُشِر عام ١٨٧١ م. وأكَّدَت العودة للأُصُول ضَرورةَ استِحداث مُعْجَمٍ جَديدٍ لمُحاولة إحياء اللغة العربية، وجَعْلها قادرةً على التعبير عن الأفكار المُستحدثَة، والمُستَحدثَات الحَضارية الغربية المُستَوْرَدة، وقادرةً على التعبير عن حاجات المجتمع الجديد.

وقادَ بُطرس البُستاني (١٨١٩-١٨٨٣ م) حملةَ إصلاحِ الوَضْع غير المُرْضِي عن حال المُعجَمات العربية، وتطوير المُعجَم العربي، حيثُ جَمَعَ البستاني مُعْجَمَه الشهيرَ «محيط المحيط» في ١٨٦٩-١٨٧٠ م، المكوَّن من جزُأَيْن. واعتمدَ في وَضْعِه على مُعجَم «القاموس المحيط»

---

١٧) انظر عماد الصلح، ١٩٨٠، المصدر نفسه، ص ٢٢ ؛ وميخائيل صوايا، ١٩٦٢، المصدر السابق، ص ١٠-١١.

للفيروزآبادي (١٣٢٩-١٤١٥ م)، الذي سنُشير إليه من الآن فصاعداً باسم «القاموس»، على سبيل الاختصار. ويجدُرُ أنْ نَذكرَ أنَّ «القاموس» كان الأشهَرَ مُطلقاً[١٨]. وأدْخَلَ بطرس البستاني كثيراً من الألفاظ، والعِبارات المُستَحدَثَة، والمُعبِّرَة عن الفنُون، والعلُوم الوارِدَة إلى المُجتمعات العربية آنذاك، وبعضَ التعابير العاميَّة والمُولَّدة[١٩].

ولكنَّ الشدياق لم يُشاطِر بُطرس البُستاني رأيَه حوْلَ «القاموس»، إذْ شَنَّ، في الواقع، حَمْلةً عنيفةً في نقْد قاموس الفيروزآبادي. وسنُفَصِّل هذا فيما بعد. ولعلَّ اهتمامَ الشدياق بالعربية، وألفاظِها، ومعاجِمها - كما يُؤكِّد لنا - يعودُ إلى أيّام طفُولته[٢٠]. ويذكُرُ حسين نَصّار أنَّ هُجومَ الشدياق العنيفَ على «القاموس» كان المَقْصودَ منه إظهارُ أنَّ المشاكلَ، والصعُوبات اللغوية ما كانت وليدةَ العربية، ومن ذاتِ طبيعتِها الأساسيَّة، بل نِتاجَ «القاموس» نفْسِه. ويُمثِّل هذا «القاموس» المعاجمَ العربيةَ التي ما كانت قادرةً على التعبير عن حاجات العَصْر «الحديث». وكما يذكُرُ حسين نصّار، فإنَّ هُجومَ الشدياق هذا على «القاموس» كان مُتَعَمَّداً لإثارة الاهتمام بوَضْع مُعجم حديثٍ مُتَبَنٍّ أسلوباً عَصْرياً لمُعالجَة اللغة، ولتَسهيل طريقة استعمالِه على أبناءِ اللغة العربية[٢١].

من ناحيةٍ أُخرى، يَذكُرُ مارون عبّود أنَّ نَقْدَ الشدياق لقاموس الفيروزآبادي كان مُحاولَةً من جانِب الشدياق للغَضِّ من أهميّة مُعجَم البستاني «محيط المحيط»[٢٢]. ولأنَّ عبّود لا يُقدِّم

---

١٨) انظر حسين نَصّار، ١٩٦٨، «المعجم العربي»، ص٦١٥-٦١٧؛ والبستاني، ١٨٧٠، «محيط المحيط»، ص ١.

١٩) المقصود بـ«المُولَّد» التعابير التي نشأت في العربية بعد استقرار العرَب في البلاد المَفتوحة بعد الإسلام، وانتشار الفُصْحَى في هذه البلاد نتيجةَ الاختلاط بيْن أبناء العربية ومتكلّمي اللغات الأخرى في البلاد المفتوحة.

٢٠) انظر الشدياق، ١٨٥٥، المصدر السابق، ص ٩١ حول اهتمام «الفارياق» باللغة الفُصْحى، وجمْع ألفاظها الغريبة التي كان يعتمد عليها في قراءاته.

٢١) انظر حسين نَصّار، ١٩٦٨، المصدر السابق، ص ٦١٥-٦١٧.

٢٢) انظر مارون عبّود، ١٩٧٥، «صقر لبنان»، ص ١٦٢.

أدلّةً لدَعْم هذا الرأي فمِثلُ هذه «الاتّهامات» لا يُمكِن التّحقُّق منها. وربّما يُمكِنُنا القولُ إنّ رَغْبَةَ الشدياق الخالِصةَ في إبراز أهميَّة الحاجة إلى وَضْع مُعجم حديث تتخطّى أيّ قَوْلٍ حوْلَ العداوة الشخصيَّة التي ذكَرَها مارون عبّود. ويذكر الشدياق في مُقدِّمته للمُعجَم الذي وَضَعَه، «الجاسوس»، أنّ دافعَه لوَضْع هذا المُعْجَم يَكمُن في الأربعة والعشرين نقْداً المذكورة في «الجاسوس»، والتي ينتقِدُ بها المعاجِمَ العربيةَ القديمةَ. وسنُحاوِل إبرازَ بعض هذه النُّقود في الصفحات التالية مُعتَمدين بذلك على المُقدِّمة الطويلة، المُضْطَرِبَة التي عبّر الشدياق فيها عن آرائه حَوْلَ المعاجِم العربية عامّةً[٢٣].

فمِن هذه النُّقود – في رأي الشدياق – اعتباطيَّةُ ترتيب المُفردات في كلِّ المعاجِم العربية السابقة، إذْ أنّ هذه المعاجمَ تخلِطُ بشكْلٍ مُضْطَرِب، الأفعالَ الثُّلاثيةَ، والرُّباعيةَ والخُماسيةَ، والسُّداسيةَ. أضِفْ إلى ذلك أنّ المعاجِمَ العربيةَ القديمةَ تخلطُ بين مُشْتَقّات هذه الأفعال المُختلفة، وتُدْرِجُ هذه المُشْتَقّات تحْت المادَّة نفسها. ومثالٌ على ذلك، يُزَوِّدنا الشدياق بالفعل الثلاثي «عرَضَ» الذي هو – حسَبَ رأي الشدياق – «. . . أكثر الموادّ اشتقاقاً وتَشعُّباً . . .»[٢٤]. ولمَعْرِفَة «أعْرَضَ عن» في «القاموس» مثلاً، لا بُدَّ من المُرور بـ«عَرَّضَ»، و«اعترَضَ»، و«عارَضَ»، و«استَعْرَضَ»، أوْ العكْس. وفي غُضون ذلك، يُدْخِلُ واضِعُ «القاموس» «. . . أسماء فقهاء ومُحَدِّثين وحيوانات وجبال وأنهار وحصون. . .» قبلَ الوصول إلى «أعْرَضَ». وأدْخَلَ الجوهري (ت ١٠٠٣ م)، واضِعُ «الصِّحاح»، كلمةَ «المُعارَضَة» بمعْنى «المُقابَلَة» بعد كلمة «المُعارَضَة» بمعنى «المُجانبة» بثلاثةٍ وثلاثين سَطْراً». ويُورِدُ الشدياق مثالاً آخرَ من «القاموس» حيْثُ ذَكَرَ واضِعُ هذا المُعْجَم كلمةَ «احتمل» بمعنى «تقَلَّد» في بداية المادَّة. ثمّ أوْرَدَ «احتمل» بمعنى «اشترى الحميل للشيء المحمول من بلد إلى بلد» في آخرِ المادَّة. وبيْن «احتمل» الأولى والثانية «أكثر من ثلاثين سطراً». وليْسَ الزبيدي في «تاج العروس» بمَعْزِلٍ عن مثل هذا النقد، حيْث أوْرَدَ «اختلَجَ» «بمعنى تحرَّك بعد «اختلج» بمعنى «نَكَحَ» بنَحْوِ ستّةٍ وخمسين سَطْراً . . .».

---

٢٣) انظر الشدياق، ١٨٨١، «الجاسوس»، ص ٣-٨.

٢٤) انظر الشدياق، ١٨٨١، المصدر نفسه، ص ١٠.

ونَقْدٌ آخَر للمعاجم العربية من وُجْهَة نَظَر فارس الشدياق هو تقديمُ معنى أَحَد الأفعال إلى بداية مَدْخَل المادَّة، ووَضْعُ المعاني الإضافية الأُخرى في نهاية المَدْخل. ومثل هذا النظام يَضْطَرُّ القارئَ إلى قراءة كل معاني المادَّة الواحدة من البداية إلى النهاية. وهذا الترتيبُ، في رأي الشدياق، يخلُقُ تَشويشاً ويُرهِقُ القارئَ[٢٥]. وتَزْدادُ حدَّةُ هذا التشويش بإدخال أسماء الفُقَهاء، والمُحدِّثين، وأسماء الحيوانات، والجبال، والأنهار، والغابات، إلخ قبلَ أَنْ يتِمَّ إدراجُ معاني المُفْرَدَة.

ونتيجةً لهذا النقْد يُقدِّم الشدياق نَصيحةً لمُستَعملي هذه القواميس، فيطلُبُ من القارئَ قِراءةَ كُلِّ المادَّة من أوَّلها إلى آخرها حتَّى يفْهَمَ اللفظةَ. ويَشْعُرُ الشدياق أنَّ مثْلَ هذا الوَضْع المُشَوَّش، والمُخْتَلِط في «ذكر الألفاظ» مَدْعاةٌ للضَجَر، وحِرمان القارئَ من تحقيق الهَدَف المَطلوب، ألا وهو العثُور على معنى المُفْرَدَة المقصودة.

وَحلاً لإشكاليّة خلْط الأفعال الثُّلاثيَّة، والرُّباعيَّة، والخُماسيَّة، والسُّداسيَّة، ومُشْتَقَّاتها، وضَياع وَقْت القارئَ الناتج من استعمال القواميس، يقْتَرِح الشدياق جَمْعَ المادَّة الواحدة ومُشْتَقّاتها في مكانٍ واحدٍ حتّى يُسَهِّل على القارئَ استعمال القاموس. كما اقترَحَ إضافةَ علامةٍ مُمَيِّزةٍ للفِعل الثُّلاثي وذلك بإضافة «الرَّقم الهندي» ٣ قُبالَةَ هذا الفعل، ومِن ثَمَّ إيراد مُشْتَقّات هذا الفعل تحْت المادَّة، ورَقَم ٤ مُقابِلَ الفعْل الرُّباعي، وهكذا[٢٦].

وفي رأي الشدياق، أنَّ الخلْطَ بين الأفعال هذه، ومُشتقّاتِها ناتِجٌ عن الطريقة التقليدية المُفَضَّلَة في وَضْع المعاجم العربية، والتي تَقيَّدَ بها واضعو المعاجِم، وفَضَّلوها على مُحاولات الإبداع في مَنْهَجيَّة وَضْع المعاجِم. ويذكُرُ الشدياق أنَّ اهتمامَ واضعي المَعاجِم الأوائل انْصَبَّ على تسجيل المُفردات العربية، وجَمْع الألفاظ فقط على حِساب وَضْع نِظامٍ لترتيب هذه المفردات.

وبالإضافة إلى النُّقود السابقة، يَذْكُر الشدياق أنَّ واضِعي المَعاجِم العربية القديمة يختلفون في وَضْع الأفعال الثُّلاثية والرُّباعيَّة في بداية المادَّة، وأنَّهم يُورِدونَ الفِعل الرُّباعي قبل الفعل

٢٥) انظر الشدياق، ١٨٨١، المصدر نفسه، ص ١٠-١١.

٢٦) انظر الشدياق، ١٨٨١، المصدر نفسه، ص ١١.

الثُّلاثي، وأنَّهم يُدْخِلون المعاني المُجَرَّدة («المجاز» على حدِّ قَوْل الشدياق) قبل المعْنَى المحسوس («الحقيقة» في نَصِّ الشدياق)، وأنَّهم يفقِدون الوضوح إذْ يُورِدون المَصْدَر دونَ ذكْر الفعل الذي أُشْتُقَّ منه، وفي أحيانٍ أُخرى يُورِدون الفعلَ دون ذكْر المصْدَر، ويَخلطونَ تعريفَ المُفْرَدَة المُعجميَّة دون تدقيقٍ في ذكْر الفروق في دقائق المعاني. ويُضيف الشدياق نقوداً أُخرى للمعاجم العربية متُعلِّقةً بوقوع الهمزة والنُّون في بداية المُفرَدَة، أو وَسَطها، أو آخرِها، وكذلك بسبب عدد حروف الهجاء وترتيبها، والاختلاف حول الاشتقاق في العربية[٢٧].

إنَّ الانتقادات السابقةَ التي وَجَّهَها الشدياق ضِدَّ «القاموس» تَدلُّ على اتّجاه آرائه في المعاجِم، ودَوْرِها في تخليص اللغة من القُيود التقليدية، والمُفردات العاميّة التي كانت شائعةً في كتابات تلك الفترة. وآراءُ الشدياق هذه حول اللغة بشكلٍ عامٍّ، والمعاجم بشكلٍ خاصٍّ، وعداؤُهُ للرَّكاكة دفَعَتْه للبَحْث عن طرائق لغوية أدقّ من خلال معاجم جيِّدة الوَضْع. وفي رأي الشدياق يَجب أنْ يَحْويَ المعجَمُ الخصائصَ التاليةَ: أنْ «يكونَ سهلَ الترتيب، واضحَ التعاريف . . .». كما اشترَطَ أَنْ يكونَ القاموس «شاملاً للألفاظ التي استعملها الأدباءُ والكتّابُ وكلُّ من اشتَهَرَ بالتأليف . . .»[٢٨]، وأنْ يخدُمَ القاموسُ حاجاتِ الكتّاب، والعلَماء؛ وأنْ يُلاحِقَ التطوّرَ الفِكريَّ في المجتمع. ونتيجةَ علاقة الشدياق بالغرب ومعرفته لـلُغَتَيْن الإنجليزية والفرنسية، أَصبحَ الشدياق يَعي وُجودَ معاجم اللغات الأَجنبية الرفيعة الشأن، والمُتطوِّرة بالشكل، وتقديم المادَّة، وسُهولة تعريف المفردات، والمَدَى الذي تشمله. وهذه الحالُ خلَقَت نوعاً من الحساسيَّة لَدَى الشدياق حَوْل فَقْر اللغة العربية في هذا المجال في تلك الحقبة. وحاولَ في كتاباته الدفاعَ عن اللغة العربية، وإظهارَ مَقْدرتِها في تأدية حاجاتِ المجتمع. وكان رَدُّهُ على السِّياسيِّين، ورجال التِّجارة الذين حاولوا تَبَنّي اللغاتِ الأَجنبية في مجالَيِ السياسة والتجارة، أنَّ مُشكلةَ اللغة العربية ليْسَت في طبيعتها الذاتيّة، ولكنَّ المشكلةَ تَكْمُنُ في عَدَم قُدرةِ هؤلاء الناس (السِّياسيِّين، ورجال

---

٢٧) انظر الشدياق، ١٨٨١، المصدر نفسه، ص ١١.

انظر هذه النُّقود في مُقدِّمة «الجاسوس». وحول الشدياق وظاهرة النَّحت في اللغات، انظر سواعي ١٩٩٨، «(أحمد) فارس الشدياق: رأيه في النَّحت والمصطلح اللغوي».

٢٨) انظر الشدياق، ١٨٨١، المصدر نفسه، ص ٣-٥.

التِّجارة) على التمكُّن من اللغة العربية. ويُصَوِّرُ لنا الشدياق الوَضْعَ اللغويَّ في زَمَنه فيقول إنَّ اللغةَ العربية كانت تواجهُ مُنافَسَةً من اللغات الأجنبية حتَّى كادَت تَدْفع أَبناءَ العربية للتَّخلي عنها. وتكْمُنُ أسبابُ ذلك في سهُولَة ترتيب قواميس اللغات الأجنبية ممَّا يُسَهِّل الوصولَ إلَيْها، لا سيَّما أنَّ اللغات الأجنبيةَ «قليلة المُشْتقّات»، على حَدِّ قول الشدياق، وليس هناك اختلافاتٌ كبيرةٌ في تعريف الألفاظ الأجنبية. ويُوَجِّه الشدياق نقدَه بشكْلٍ خاصٍّ لرجال الأعمال، والإداريين، أو السِّياسيّين «ممَّن يتعاطَوْن منّا التجارة ويحملون عبءَ الإمارة»، الذين يعتقدون، كما يقول الشدياق، أنَّ اللغةَ العربيةَ غيرُ صالحَةٍ للأعمال التجاريّة، والمعاملات السياسيّة، وأنّه يلزَمُ «الاستعانة بكلام الأجانب...»[٢٩]. ونُشيرُ في هذا المجال إلى اهتمام الخديوي إسماعيل بتدريس اللغات الأجنبية، وانتشار مدارس الإرساليات الأوروبيّة الدينية التي شَجَّعَت تعليمَ اللغات الأجنبيَّة. كما يجب أنْ نذكرَ اهتمامَ رجال التجارة، والبنوك خاصةً بعد فتح قناة السويس عام ١٨٦٩ م بمعرفة اللغات الأجنبية وسيلةً للتوظيف في ميادين الاقتصاد والتجارة، والفُرَص الوظيفيَّة الأخْرَى المُتاحَة لعارفي هذه اللغات. وزادَ تَوَسُّع نفوذ الجاليات الأجنبية العاملة في مصر من انتشار اللغات الأجنبية في أوساط المُتنفِّذين ممّا حَمَلَ على الشعور بأنَّ هذه اللغات الأجنبية أَقدرُ من العربية للتعبير عن حاجات المجتمع الحديث.

وهذه الحالُ دَفَعَت الشدياق إلى البَحْث عن الصُّعوبات التي تُواجِه اللغةَ العربيةَ كما تَظْهَرُ من عَجْز «القاموس»، وقُصوره، والغُموض المُستحكِم، واعتباطيّة ترتيب الأفعال الثُّلاثية، والرُّباعية، وغيرها. وهذا الوَضْع المُتَرَدّي في رأي الشدياق جعَل من واجب علُماء العربية وَضْعَ مُعْجَمٍ يَفِي بحاجات الناس العامّة، كما يفي بحاجات المُفكّرين. ومَثَلُ الشدياق في حملَته الإصلاحيّة هذه هم العُلماء الأوائل الذين «... ألّفوا وبرعوا وأجادوا وصنَّفوا ونفعوا وأفادوا...»[٣٠]. ومع هذا الإعجاب الواضح بهذا النَّفَر من العلماء، فإنَّ الشدياق يُدْرِكُ في

---

٢٩) انظر الشدياق، ١٨٨١، المصدر نفسه، ص ٣؛ وميخائيل صوايا، ١٩٦٢، المصدر السابق، ٤٧؛ وسواعي، ١٩٩٨، المصدر السابق.

٣٠) انظر الشدياق، ١٨٨١، المصدر نفسه، ص ٣.

الوقت نفسه أنَّ مؤلَّفاتهم كان لها أيضاً حدودٌ و«معائبُ». فكانت هذه المؤلَّفات اللغوية مُعبِّرة عن أفكار المؤلِّفين، وأفهامهم في الفترات الزمنيّة التي ولَّدت هذه المؤلَّفات. فبعضهُم اختصرَ، وبعضهُم رمَزَ، ولم يُوَضِّح، وبعضهُم لم يضبُط الكلامَ، أو ينَقُط كتابتَه ممّا سبَّبَ التصحيفَ والتحريفَ في اللغة، ممّا ولَّدَ الاختلافات واحتمالات التأويلات المُختلفة ٣١.

وكانَ للنَّقْد اللاذع ضدَّ «القاموس» كما ظهَرَ على صفَحات «الجاسوس» أثرٌ كبيرٌ في المُفكّرين بشكلٍ عامٍّ، وفي المُتَخصّصين باللغة بشكلٍ خاصٍّ. ولأنَّه من الصَّعْب تقييمُ مَدَى تأثير أفكار الشدياق المُباشر في القضايا اللغوية، فإنّنا، على الأقلّ، نستطيع مُلاحظةَ بعض التطوُّرات إثرَ طَبْع «الجاسوس» في استنبول عام ١٨٨١ م. ومثالٌ على ذلك، كَتَبَ إبراهيم اليازجي (١٨٤٧-١٩٠٦ م) عدةَّ مقالات بعنوان «آمال لُغَويَّة» قلَّد فيها العلماءَ المسلمين السابقين له، وطريقتَهم في نَقْل المادّة اللغوية، واستعمالاتِها الصحيحةَ. وبالإضافة إلى «آمال لُغَوية»، نَشرَ إبراهيم اليازجي مقَالات أُخرى ينتقد فيها «لسان العرب» ٣٢. أضِفْ إلى ذلك، أنَّ إبراهيم اليازجي كرَّس بعضَ جهُوده، ووقْته لكتابة عدةَّ مقالات ينتقد فيها مُستوى اللغة العربية المُستَعمَل في الجرائد. كما أنَّه وَضَعَ مُعجماً مُتَخصِّصاً باسم «نُجْعَة الرائد وشِرعَة الوارد في المُترادف والمتَوارد»، المطبوع سنة ١٩٠٤ م ورَتَّبَ في هذا المعجم المفردات المتخصصةَ في نفس الدلالات، حيْث وَضَعَ في فصلٍ واحدٍ - على سبيل المثال - الكلمات ذاتَ العلاقة بالمَدْح والذَّم، والاجتماع والفِراق، والإحسان والإساءة، وحُسْن الصِّيت وقُبْحه، إلخ.

ولعلَّ تأثيرَ الشدياق غيرَ المُباشرِ في إبراهيم اليازجي يكْمُنُ في النقد اللاذع لمعجم بطرس البستاني «محيط المحيط»، الذي نُشرَ عام ١٩٣٣ م بعد وفاة اليازجي. كما أنَّ إبراهيم اليازجي كان قد كتَبَ نقداً مُماثلاً في عام ١٩٠٣ م لمعاجم أُخرى، بما فيها مُعجَم سعيد بن عبدالله الشَّرْتُوني

---

٣١) يوردُ الشدياق، ١٨٨١، المصدر نفسه، ص ٤-٥ تفصيلاً عن احتمالات التصحيف في «القرآن»، وتصحيف المُحَدّثين، وكتّاب الخلفاء، والملوك، والأمراء، والأعلام، والأئمة.

٣٢) انظر كِشْلي، ١٩٨٢، «المعجم العربي»، ص ٨٣، هامش ١ و٨٣-٨٥؛ و«تاج العروس»، ومعاجمَ أُخرى. انظر ميخائيل صوايا، ١٩٦٢، المصدر السابق، ص ٤٩-٥٠.

(١٨٤٩-١٩١٢ م) «أقرب المَوارِد في فُصَح العربية والشَّوارِد»، ونُشِرَ هذا المقالُ في مجلة «الضياء» [٣٣]. وانتقدَ اليازجي «لسان العرب» لترتيبه المُشَوَّش، ولأنَّ بعضَ مَوادِّه مُبْتَسَرَةٌ مِمّا يجعلها عديمةَ الفائدة.

يُمكِن القول إنَّ إبراهيم اليازجي واصلَ ما بَدأه الشدياق في حَملته لتطوير الفُصْحَى، ولجعلها قادرةً على التعبير عن حاجات العصر الحديث. كما أنَّه انْتَقَد بِشدَّةٍ استعمالَ العاميَّة، واستعمالَ التعابير اللَهْجيَّة. وقَدَّم حُجَجاً أظهرَ بها أنَّ اللهجاتِ غيرُ قادرةٍ على التعبير عن العلوم، والأدَب الرفيع، والفِكر. ويستطيعُ المرءُ أنْ يَستَشِفَّ من هذه الانتقادات أنَّ آراءَ اليازجي، وكتاباته ما هي إلاّ استمرارٌ لحملة الشدياق لوَضْع مُعجمٍ عربيٍ «حديث» يَفي بحاجات العصر، ولكتاباته عن المُستويات اللغوية الضَّحْلَة في الكتابة من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ أُخرى لهُجُومه على الأساليب التقليديّة، والأنماط اللغوية المُتَحَجِّرَة.

---

٣٣) في شهر آذار (مارس) ١٩٠٣ م، المجلد الخامس، العدد ١١، ص ٣٤٣.

الفصل السادس

جُهود رِفاعة رافع الطَّهطاوي المُعْجَميَّة

لعلَّ رِفاعَة رافع الطَّهْطاوي (١٨٠١/ ١٨٠٢-١٨٧٣ م) من أهمِّ عُلماء القَرْن التاسعَ عشرَ مُساهمةً في البَحْث عن المُصْطَلَح العرَبي المُناسب للتعبير عن الموادِّ التقنيَّة الواردة من الغرب، ولنَقْل الأفكار التي ألِفَها خلال إقامته في باريس في السنوات ١٨٢٦-١٨٣١ م. واستَمَرَّ اهتمام الطهطاوي بقضية المُصطلَح واستحداثه بعد عودته إلى مصر، إثْرَ انتهاء فترة إقامته في فرنسا، ومِنْ خلال مُمارسته ترجمة الكتُب، والعمل في «مدرسة الألْسُن»، التي أسَّسَها محمد علي عام ١٨٣٥ م، وكان مَنوطاً بأساتذتها وطلابها في «قلم الترجمة»، ترجمةُ الكتب العلمية، والفِكرية، والأدَبية، والقانونية إلى اللغة العربية [1]. ومن قراءة كتاب الطهطاوي «تَخليص الإبريز في تَلخيص باريز» [2] - الذي سنُشير إليه من الآن فَصاعِداً بالعنُوان المُختَصَر «تخليص» -، يستطيع

١) كان اسم «مدرسة الألسن» التي رأسَها رفاعة رافع الطهطاوي في بداية تأسيسها «مدرسة الترجمة»، أو «مدرسة المُتَرجمين»؛ وهي المدرسة التي أنشأها محمد علي في أوائل ١٢٥١ هـ/ ١٨٣٥ م لـ«تخريج مُترجمين لمصالح الحكومة ...». وأُعيدَ تنظيم المدرسة عام ١٨٣٦ م.
للمزيد انظر عزت عبدالكريم، ١٩٣٨، «تاريخ التعليم»، ص ٣٣٠-٣٤٤؛ وجاك تاجر، د. ت، «حركة الترجمة بمصر»، ص ٢٩-٣٩.

٢) الاسم الشائع لهذا الكتاب هو «تخليص الإبريز في تلخيص باريز»، الذي طُبع في بولاق أولَ مرَّة سنة ١٢٥٠ هـ، وصَدَرَ في طبعة ثانية عام ١٢٦٥ هـ. وبدَلاً من حرْف الجرّ «في» في عنوان هذا الكتاب يُوردُ بعضُ الدارسين حرْفَ الجرّ «إلى». ومثالٌ على ذلك نذكر أحمد أحمد بدوي (١٩٥٠) في كتابه المُسَمّى «رفاعة الطهطاوي بك»، ط ١، ص ١٢٣، وفي الكتاب نفسه، (١٩٥٩) الذي حمَل اسم «رفاعة رافع =

القارئُ أنْ يلْمسَ مَدَى المُعاناة التي خَبَرَها الطهطاوي للعثُور على الكلمات المُناسبة للتعبير عن «المُؤَسَّسات» التي أراد وَصفَها للقارئ العربي. والأمثلةُ على هذه المؤَسَّسات كثيرةٌ منها المؤَسَّساتُ الأكاديمِيةُ، والمَسْرَحُ، ونظامُ الحكومة الفرنسية، والنظامُ الصِّحي في پاريس، والقانونُ، والمكتباتُ، والمتاحِفُ، وأمورٌ كثيرةٌ أُخرى كدَوْر المرأة في المجتمع الفرنسي، وثورة عام ١٨٣٠ م، إلخ. وسنَقتَصِر في بحْث مادَّة هذا الفصل على كتاب «تخليص»، مع أنَّ إسهام الطهطاوي في استحداث المُفردات العربيَّة يمتدُّ إلى مؤلَّفاته العديدة التي تَستَدعي دراسةً مُفصَّلَةً خارجةً عن نطاق هذا الفصل.

ولا بُدَّ أنْ نَذكرَ هنا أنَّ اهتمامَ الطهطاوي بالقضايا اللغوية، والأمورِ المُعْجَميَّة كان بالتأكيد متأثِّراً بترجمات الكتب الفرنسية، أو المُقْتَطفات القصيرة الاثنتَيْ عشرة، التي كانت تدور حَولَ مواضيعَ مُختلفةٍ كالجغرافية، والعلوم العسكرية، والتاريخ، والأساطير، والقانون. وكانت ترجمةُ هذه المواضيع جزءاً من مُتَطلّبات شهادة الترجمة التي كان الطهطاوي يُعدُّ نَفسَه لها [٣]. ومن خلال ترجمة هذه المُؤلَّفات يُمكِن القَوْل إنَّ الطهطاوي واجَهَ صُعُوباتٍ كثيرةً في إيجاد المُصْطلَح العربي المُناسب للتعبير عن نَظيره الفرنسي [٤]، فالطهطاوي يُعبِّر عن هذه الصعوبة نَصّاً، ويُشيرُ إلى الحاجة لمعرفة الاصطلاحات في العلوم في اللُغتَيْن: المنقول منها وإليها. ونَلمسُ هذه الصُّعوباتِ على صفحات كتاب «تخليص» العديدة، وبخاصةٍ لَدَى وَصفِه الحياة الپاريسية

= الطهطاوي»، ط ٢، ص ١٣١، وصفحاتٍ أُخرَى. كما يُشارُ إلى كتاب الطهطاوي أحياناً باسم «الديوان النفيس بإيوان باريس». وأوْرَدَ صالح مجدي في «حِلية الزَّمَن بمناقِب خادِم الوطن» الاسمَ على «خلاصة الإبريز أو الديوان النفيس». وكذلك، يُستَعْمَل أحياناً الاسم الوَصْفي «رحلة (الشيخ) رفاعة» لهذا المؤلَّف. انظر أحمد أحمد بدوي، ١٩٥٠، «رفاعة الطهطاوي بك»، ط ١، ص ١٣١.

ويحسُنُ أنْ نذكرَ أنَّ كتاب «تخليص» تُرْجِمَ إلى التركية العثمانية على يَدِ رُسْتُم (أفندي) بَسيم، ونُشِرَ عامَ ١٢٥٥ هـ/ ١٨٣٩ م في مطبعة بولاق، ولاقَى رَواجاً كَبيراً في تركيا.

والإشاراتُ هنا في كتاب «تخليص» تعتمِد على النَّص الوارِد في «الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي»، الجزء الثاني، دراسة وتحقيق محمد عمارة، ١٩٧٣.

٣) انظر الطهطاوي، ١٩٧٣، «تخليص»، المقالة الرابعة، الفصل السادس، ص ١٩٥-١٩٧.

٤) انظر الطهطاوي، ١٩٧٣، المصدر نفسه، المقدمة، الباب الثاني، ص ٢٢.

اليومية المُفصَّلة، ومناحيَ عديدة من الحضارة الفرنسيَّة، والمؤسَّسات الإدارية، والاجتماعية، والسياسية، والعلوم العديدة التي ما كان يَعرِف الطهطاوي عنها شيئاً قبل سفَرِه إلى فرنسا.

إنَّ نَقْصَ المُصْطلَحات العربية المُلائمة لوَصْف المؤسَّسات الفرنسية هذه كان من أثرِه استعمالُ الطهطاوي المُصْطلَحات الفرنسية حلاًّ لأزمة عدَم توَفُّر المُصطلَح العربي، وبالتالي بَحْثُ الأمور اللغوية على شكلٍ متَكرِّرٍ خِلال كتاب «تخليص». ولربَّما ازدادت حدَّةُ هذه الصعوبات نتيجةَ الاتِّصال المُستَمرِّ بين الطهطاوي من جهةٍ، والمُستَعْربين الفرنسيين البارزين آنَئذٍ من مثل سلڤستَر دي ساسي Sylvestre de Sacy وكوسا دي پرْسِڤال A. Caussin de Perceval من جهة أُخرى، ذلك أنَّ مؤلَّفات هؤلاء حول جوانبَ مختلفةٍ من اللغة العربية، وآراءَهم اللغوية، وتمكُّنَهم من اللغة العربية على درجاتٍ مختلفةٍ كانت دائماً تُذَكِّر الطهطاوي في بَحْث القضايا اللغوية باستمرار [٥]. وعلى الخُصوص، فإنَّ اتصالَ الطهطاوي بهذا النَّفَر من العلماء كان يُشير دائماً إلى (١) القيُود التي تَفرِضُها تقاليدُ اللغة العربية، لا سيَّما من ناحية المعاجم؛ و(٢) الحاجة إلى أدواتٍ حديثة تُماثِل الأدواتِ اللغويةَ الغربية؛ و(٣) مَشاكِل الترجمة من لُغَة إلى أُخرَى.

يَبْحَث الطهطاوي الإنجازات الخاصةَ بجَمْع المعاجم الفرنسية، ويَذْكُرُ أنَّ اللغةَ الفرنسيةَ وَصلَت الذِّرْوَةَ في هذا المجال، لا سيَّما أنَّ كلَّ عِلْمٍ له مُعْجَمُهُ الخاصُّ به، ومُفردات هذا العِلْم الاصطلاحيَّة مُرتَّبةٌ على حروف المُعْجَم [٦]. وهذه الحالُ، كما يذكرُ لنا الطهطاوي، تنْطَبِقُ على العلوم الدنْيا، التي لها مدارسُها الخاصَّةُ بها. وكمثالٍ على هذا، يَذْكُرُ لَنا الطهطاوي مدارسَ الطَّبْخ وفُنون الأكل. وهذا مثارُ دَهْشَةِ الطهطاوي. وعلى الرَّغْم من إعجابِه بالتقدُّم لهذا السَّبْق، والاهتمام الذي يُبْديه البلدُ [فرنسا] بـ«تحقيق سائر الاشياء ولو الدنيئة»، وتطوير وَضْع المعاجم، فإنَّه لا يَغيبُ عن بالِنا روحُ السُّخْرِية، التي نَلْمِسُها من عبارات الطهطاوي فيما يَخُصُّ هذا الجانب

---

٥) انظر الطهطاوي، ١٩٧٣، المصدر نفسه، المقالة الثالثة، الفصل الثاني المُعنْوَن «في الكلام على أهل باريز»، ص ٨٣-٩١ حوَل رأي الطهطاوي في دي ساسي، الذي أوْرَدَ الطهطاوي اسْمَه «البارون سلوستري دساسي».

٦) انظر الطهطاوي، ١٩٧٣، المصدر نفسه، المقالة الثالثة، الفصل الثاني، ص ٨٨.

من اللغة الفرنسية [٧]. ومن خلال بَحْث هذا الجانب من اللغة الفرنسية، نَلْمِس مُدَى حسٍّ الطهطاوي بِنَقْص وُجود مُعجم عربيٍ مُماثِلٍ للمعاجم الفرنسية. وبالإضافة إلى ذلك، فإنَّ الصُّعوبات التي واجَهَها الطهطاوي في أثناء قيامه بالترجمات من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، طالباً في فرنسا أوّلاً، ومن بعد ذلك مُمارساً لمِهْنَة الترجمة في مصر، أكَّدَت ضَرورةَ وَضْعِ مُعجَمٍ فرنسيٍ-عربيٍ. وفي هذا المجال يذكر الشيّال [٨] أنَّ اليُوس بُقْطُر Alios Boktor كانَ أوّلَ مَن وَضَع مُعجماً عربياً-فرنسياً، وقد نُشِر هذا المُعجَم في پاريس عام ١٨٢٩ م بعد وفاة بُقْطُر، أيْ بعد ثلاثة أعوامٍ من وُصُول الطهطاوي إلى پاريس [٩]. ولَدَى مُراجَعَتِنا هذا القاموس عرَفْنا أنَّ

٧) انظر الطهطاوي، ١٩٧٣، المصدر نفسه، المقالة الثالثة، الفصل الثاني، ص ٨٨-٨٩، حيثُ يَعتَبِرُ الطهطاوي أنَّ «علوم السُّوقَة» كمدرسة الطَّباخَة التي لها مجلس علُماء وشعُراء نوعاً من الهَوَس، على الرَّغم من اعترافه باعتناء البلاد «بتحقيق سائر الأشياء ولو الدنيئة».

٨) انظر الشيال، ١٩٥١، «تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي»، ص ١٨٦.

٩) ورَدَ اسمُهُ كذلك على الشَّكل التالي Ellious Bocthor على نُسخة هذا القاموس المُعَنْوَن *Dictionnaire français-arabe*. ووَرَدَ كذلك «الياس بقطر القبطي» في جرجي زيدان، ١٩٧٨، «تاريخ آداب اللغة العربية»، ج ٤، ص ٥٩٥-٥٩٦. أمّا لويس شيخو فأوْرَدَ اسمَهُ على «اليوس بُختر» في «الآداب العربية»، ج ٢، ص ٥٨.

وبُقْطُر من أقباط مصر؛ غادَرَ مصر إلى فرنسا مع الفرنسيين بعد انتهاء حملة نابليون ١٨٠١ م على مصر، وأصبحَ فيما بعد مُدَرِّساً للُّغة العربية المحكيَّة أو الدارجة arabe vulgaire في «المدرسة المَلَكيَّة للُّغات الشرقية الحيَّة»، التي عيِّن فيها في كانون الثاني (يناير)، عام ١٨٢١ م، ومات في شهر أيلول (سبتمبر) في نفس السنة، مُخَلِّفاً وراءَهُ مخطوطةَ القاموس. وقام بمراجعة هذا القاموس كوسا دي پرْسِڤال الذي خَلَفَ بُقْطُر في كُرسي اللغة العربية المحكيّة، فنَظَرَ في تصحيح الأخطاء الواردة في مخطوطة بُقْطر. وأضافَ دي پرْسِڤال بعضَ العبارات التي اكتَسَبَها خلال إقامته في بلاد الشام. ثُمَّ أجرَى دي كْليرْمو-تُونيْر de Clermont-Tonnerre بعضَ التصحيحات.

للمزيد عن بُقْطُر ومُعجمه انظر جرجي زيدان، ١٩٧٨، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٥٩٥-٥٩٦؛ جاك تاجر، د. ت، المصدر السابق، ص ١٣.

نَشْرَه تَمَّ في ١٨٢٨ م لا في ١٨٢٩ م كما ذكَرَ الشيّال [١٠]. ولعلَّ الطهطاوي استعملَ هذا المُعجمَ في أثناء إقامته في پاريس. أمّا فيما يختَصُّ بالمعاجم الفرنسية–العربية فذكَرَ الطهطاوي عدَمَ تَوَفُّر مُعجمٍ فرنسيٍ–عربيٍ «شافٍ»، على حَدِّ قولِه، وذلك في مُقدِّمته لـ «المعادن النافعة»، الذي طُبِعَ في مطبعة بولاق عام ١٢٨٤ هـ/ ١٨٦٧ م [١١]. ويقودنا الاستقراءُ إلى أنَّ الطهطاوي عبَّر لإبراهيم باشا، ابن الوالي محمد علي، لَدَى مقُابلته له أوَّلَ عَوْدته من پاريس إلى الاسكندرية، عن استيائه لغِياب مُعجَمٍ فرنسيٍ–عربيٍ جيِّدٍ. ويذكُرُ الطهطاوي أنَّ إبراهيم باشا وكَلَ مَهمَّةَ «ترجمة» مثل هذا المُعْجَم له. ولِيُيَسِّرَ هذه المَهمَّةَ عيَّن إبراهيم باشا عثمان بيك [نور الدين] ليُساعدَ الطهطاوي في وَضْع هذا المُعجَم. ويُطالبُ الطهطاوي أنْ يُقيمَ المُتَرْجِمُ لمثْل هذا المشروع في «كُتُبْ خانة» [مَكتبة] [مُعَدَّة للبُحُوث]. وكذلك، لا بُدَّ له من تَوَفُّر مُساعدٍ فرنسيٍ. والأهمُّ من هذا في رأي الطهطاوي أنَّ هذا المشروعَ يحتاجُ إلى عشرة أفرادٍ حَتَّى يُصبِحَ مُرْضِياً وشاملاً «للألفاظ الاصطلاحية». ولكنَّ هذه المحاولةَ واجَهَت صُعُوباتٍ كثيرةً، وباءَ المشروعُ بالفَشَل [١٢].

إنَّ عدَمَ تَوَفُّر المعاجم الفرنسية–العربية، وغيابَ المُصطلَحات العربية المناسبة للتعبير عن الأفكار الغربية، والمُستَحدَثات الحَضارية دفَعَ الطهطاوي إلى الابتكار. ومثالٌ على ذلك، وَضَعَ الطهطاوي قائمةَ مُفرداتٍ علميةٍ «جَوْهريَّة» عندما دفَع «قَلائد المفاخرِ في غَريب عَوائد الأوائل والأواخرِ» للطَّبْع عام ١٢٤٩ هـ/ ١٨٣٤ م. وزوَّدَ هذه القائمةَ بمُلاحظاتٍ حَوْل الطُّرُق التي استعملها لابتكار المُصطلَحات الجديدة، التي تَبَنّاها في ترجمة هذا المُؤَلَّف [١٣]. ويذكر

---

١٠) يذكر جاك تاجر (د. ت، المصدر نفسه، ص ١٠، هامش ٢) أنَّ مُعجم بَقْطُر حَوَى «لغة مصر والشام والمغرب وتونس العامية». وأوْرَدَ تاجر في الهامش نفسه أنَّ هذا المُعْجَم نُشِر في پاريس عام ١٨٦٤ م، وفي مصر عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢ م. وظاهرٌ أنَّ إشارةَ جاك تاجر تتعلَّق بطبعاتٍ أُخرَى تاليَةٍ غير طبعة ١٨٢٨ م الپاريسيّة.

١١) يُورِد الشيال (١٩٥١، المصدر السابق، ص ١٨٨؛ و الشيال، ١٩٦٠، «رفاعة المترجم»، ص ١٦٩) نَصّاً قَصيراً من مُقدِّمة «المعادن النافعة»: ٣ التي يَستعْمِل فيها الطهطاوي عبارة «شافٍ» نفسَها. كذلك انظر محمد عمارة «الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي»، ج ٥، ص ٣٧٢.

١٢) انظر الشيال، ١٩٥١، المصدر نفسه، ص ١٨٨–١٨٩.

١٣) انظر الشيّال، ١٩٥١، المصدر نفسه، ص ١٨٨–١٨٩، نقلاً عن «المعادن النافعة»، ص ٣.

أحمد أحمد بدوي (١٩٥٩) أنَّ الطهطاوي جَمَعَ قوائِمَ مُتواضِعةً بالمُفردات، والمُصْطَلَحات المُستَنْبَطَة، أو المُعَرَّبَة، سمَّاها «معاجِمَ صغيرةً»، وأنَّه وَضَعَ هذه القوائِمَ إمَّا في بِداية الكُتُب التي تَرْجَمَها أو في نهايتها [١٤]. ويذكُرُ أسماءَ الكُتُبِ التالية التي حوَت مثل هذه القوائم: «التعريبات الشافية»، و«قلائد المفاخر»، و«مبادئ الهندسة»، و«المعادن النافعة» [١٥]. وبالإضافة إلى ذلك، شجَّع الطهطاوي المترجمين الآخَرين في «مدرسة الألْسُن» على اتِّباع النَّهْج نَفْسه. وطالبَ زُملاءَه وطُلابَه أنْ يُضيفوا قوائِمَ المُصْطَلَحات المُسْتَنْبَطَة إلى ترجمة كُلِّ كتابٍ يقومون بها. واعتقدَ الطهطاوي أنَّه بِمرُور الزَّمن سيَتَكوَّنُ في اللغة العربية «. . . قاموسٌ مُشْتَمِلٌ على سائِر غريب الألفاظ المُسْتَحْدَثَة التي ليس لها مُرادِفٌ أو مُقابِلٌ في لغة العرب أو الترك . . .» [١٦]، وستُصبح

١٤) لَدَى فَحْصِنا «قلائد المفاخر» تأكَّد لَنا أنَّ مجموعَ الكلمات الغريبة في هذا الكتاب، والمُرَتَّبة على حروف المعجم بَلَغَت مئةً وخمسَ صفحاتٍ، بينما بَلَغَت صفحات الكتاب مئة واثنتي عشرة صفحة، أي أنَّ «المادَّة المُعجميَّة» تُساوي بالتقريب مَتْن الكتاب نفسه.

وفي «كتاب التعريبات الشافية لمُريد الجغرافية» المطبوع سنة ١٢٥٠ هـ، وكذلك سنة ١٢٥٤ هـ في مطبعة بولاق ألحَقَ الطهطاوي قِسْماً خاصاً، وهو القِسْم السادِس من الجزء الثاني، به «جدول الألفاظ الاصطلاحية المستعملة في الجغرافيا بأنواعها مُرتبة على حروف المعجم . . .». ويتكوَّن هذا القسم من الصفحات ٦٢-٩٥ من الجزء الثاني من «التعريبات الشافية».

١٥) لم أعثرْ على كلِّ هذه المؤلَّفات، باستثناء «قلائد المفاخر»، و«كتاب التعريبات الشافية لمريد الجغرافية». انظر الهامش ١٤. وللأسَف، لم يُدْرِج محمد عمارة من هذه الترجمات إلاَّ «خُطَب» الكُتُب و«خاتماتها» في المُجلَّدات الخمسة التي زَعَمَ أنَّها تَشْمَلُ أعمالَ الطهطاوي الكاملة.

١٦) انظر الطهطاوي، «قلائد المفاخر»، ص ٢، وبخاصَّة القسم المُسمَّى «سابقة»، فقد أوْرَدَ الطهطاوي في هذه المُقدِّمَة تعريباتٍ مُرَتَّبةً على حُروف المُعْجَم، لأسماء أماكن، أو أشخاص، أو أشياء أعجمية بغرض تسهيل فهم هذا الكتاب على القارئ.

ونُورِدُ هنا جُزْءاً من نَصِّ «سابقة» الطهطاوي تَسْهيلاً على القارئ، ولفائدته: «. . . ولمَّا كانت هذه الألفاظ في الأغلب أعجمية فلم ترتب إلى الآن في كتب اللغة العربية وكان يتوقف فهم هذا الكتاب عليها عربناها بأسهل ما يمكن التلفظ به فيها على وجه التقريب حتّى إنه يمكن أن تصير على مدا [كذا] الأيام دخيلة في لغتنا كغيرها من الألفاظ المعربة عن الفارسية واليونانية ولو صنع المترجمون نظير ذلك في كل كتاب =

هذه المفرداتُ الأجنبيَّةُ «دخيلةً» في العربية، تماماً كما حَصَلَ في الكلمات المُعَرَّبَة عن الفارسية، واليونانية. ولعلَّ الطهطاوي قَصَدَ بذلك المُفرداتِ التي وَرَدَت إلى اللغة العربية في زَمَن الترجمة في عهْد الازدهار العلميّ في ظِلّ الدولة العبّاسية. وحافَظَ الطهطاوي على تقليد جَمْع قوائم المفردات في معظم المُؤلَّفات المُتَرْجَمَة التي نَشَرَها. كما استَمَرَّ على هذا النَّهج تلاميذُ الطهطاوي في «مدرسة الألسُن»[17].

إنَّ جُهودَ الطهطاوي لإغناء اللغة العربية عن طريق ترجمة الكتب الأجنبيَّة، والصُّعوباتِ التي واجَهَها نتيجةً لذلك دَفَعَت به إلى جَمْع قوائِم مفُرداتٍ قام هو باستِنْباطها. وفي الواقع، لم يَضَعْ الطهطاوي مُعجماً كاملاً. وما زالت قوائمُ المفردات التي وَضَعَها مَخْفيَّةً على شكل مُلْحَقاتٍ لكُتُبٍ لا تَبْلُغها يَدُ القارئ العادِيّ. وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ القيمةَ التاريخيةَ لهذه القوائم كبيرةٌ لدراسة تَطوُّر مفُردات اللغة العربية، وصناعة مَعاجمها. ولعلَّ اهتمامَ الطهطاوي بالمعاجم بشكلٍ عامّ، والقضايا اللُغَوية بشكلٍ خاصّ ينعكس على مُؤَلَّفاته في إعادة كتابة النَّحْو العربي لأغراض التعليم، إذْ ألَّفَ كتابَ «التُّحفة المَكتبيَّة لتقريب العربية»، الذي حاولَ من خِلال سُطُوره أنْ يُقدِّمَ النَّحوَ العربيَّ في شَكلٍ مُيَسَّرٍ، ومُبْتكَرٍ في ذلك الوقت.

ربَّما أسْهمَ تأسيسُ المدارس لتعليم الطبّ، والهندسة، والزراعة على يَد محمد علي، وترجماتُ العلوم الأجنبيَّة إلى اللغة العربية في تطوير العربية بشكلٍ عامّ، وتطوير وَضْع المعاجم بشكلٍ خاصّ. وفي هذه الفترة، تُرْجِمَت المعاجمُ الإيطالية، والفرنسية، والفارسية، والتُّركية إلى العربية: ومن الأمثلة على ذلك ما يُورِدهُ الشيّال مِنْ أنَّ مطبعةَ بولاق أَصْدَرَت قاموساً إيطالياً-عربياً في أواخِر سنة ١٢٣٨ هـ/ ١٨٢٢ م من وَضْع الأب روفائيل زاخور راهبة، فكان الكتابَ

= ترجم في دولة أفندينا ولي النعم الأكرم لانتهى الأمر بالتقاط سائر الألفاظ المرتبة على حروف الهجا [كذا] ونظمها في قاموس مشتمل على سائر غريب الألفاظ المستحدثة التي ليس لها مرادف أو مقابل في لغة العرب أو الترك . . .».

١٧) انظر الشيّال، ١٩٥١، المصدر السابق، ص ١٩٠-١٩١؛ وأحمد أحمد بدوي، ١٩٥٩، المصدر السابق، ط٢، ص ٢١٠-٢٣١، إذ يُزَوِّدنا هذان الكاتبان بأسْماء أوائل المُتَرْجمين، والكُتُب التي تَرْجَمَها تلاميذُ الطهطاوي، أو تحت إشرافه، فقد جَمَعَ هؤلاء قوائِمَ الكلماتِ المُستَنْبَطَةِ على شكلِ قوائِمَ «مُعْجميَّة».

الثانيَ أو الثالثَ الذي أصدرَته المطبعةُ[١٨]. وأخرجَت مَطبعةُ بولاق قاموساً فارسياً-تُركياً سنة١٢٤٢ هـ/ ١٨٢٦ م مِنْ وَضْع خيرت أفندي، سكرتير ديوان محمد علي. كما أخرَجَت المطبعةُ نفسُها عدداً من القواميس التركية، والفارسية، والعربية التي كانت قد وُضِعَت وطُبِعَت في استنبول. وتَوالَى ذلك في السنوات القليلة التالية. وفي سنة ١٨٣٥ م طُبِعَت ترجمةٌ تركيةٌ لقاموس الفيروزآبادي «القاموس المحيط» جنباً إلى جنبٍ مع النَّص العربي. وبالإضافة إلى ذلك، بدأَ التفكيرُ الجادُّ في وَضْع المعاجم العربية[١٩].

ولعلَّ جهْدَ الطهطاوي مدةَّ إقامته في فرنسا، في ترْجمةِ الكُتُب، و«الشذرات» الاثنتَيْ عشرة، التي ذُكِرَت في أوائل هذا الفصل، في الجغرافية، والعلوم العسكرية، والتاريخ، والقانون، والطبيعة جُزْءاً من مُتَطلَّبات شَهادة الترجمة، وعيْنَ الطهطاوي الحصيفةَ، ومَيْلَه للوَصْفِ المُفصَّلِ الدقيقِ الشاملِ لمناحي الحضارة الفرنسية، والمؤَسَّسات الإدارية، والاجتماعية، والسياسية، لعلَّ كُلَّ هذه الأمور أوْجَدَت صُعوباتٍ للطهطاوي في إيجاد المُفردات، والمُصْطلَحات المُناسبة للتعبير عن الأفكار الغربية، ومُستحدَثات الحضارة التي تَعَرَّفَها في فرنسا، أو مِن خِلال اتّصالاته بالغرب عن طريق الأعمال المختلفة التي مارَسَها. ومثالٌ على ذلك، زَوَّدَنا الطهطاوي بوَصْفٍ دقيقٍ لأماكن اللَهْو في باريس كَـ«التياتر» (*le théatre*)،

---

١٨) انظر الشيَّال، ١٩٥١، المصدر نفسه، ص ١٨٦-١٨٧. وحول رفائيل زاخور راهبة، واختلاف اسمه، وترجماته انظر الهامش ١٣، من الفصل الرابع.

١٩) انظر بعض التفاصيل حول المعاجم في الشيّال، ١٩٥١، المصدر نفسه، ص ١٨٦-١٩٤
من الجدير بالذِّكر هنا أنَّ المُستَشْرق الإنجليزي إدْوارْد وِلْيَم لَين Edward William Lane أعدَّ قاموسَه «مَدّ القاموس»، الذي استمرَّ طبعه من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٨٨٥ م. ومن مُقَدّمة «مَدّ القاموس» xxi-xxvi نَلْمَس أنَّ لَين اعتمَدَ في وَضْع هذا القاموس على مُعجَم «تاج العروس» للزبيدي، و«لسان العرب» لابن منظور بِشكلٍ رئيسيٍّ، كما اعتمَدَ على «الصِّحاح» للجوهري، و«القاموس المُحيط» للفيروزآبادي، و«المُزهِر» للسيوطي، و«المحكَم» لابن سيده، و«الأساس» [أساس البلاغة] للزَّمَخْشري، و«المُغرِب» للمُطرّزي، ومَعاجمَ كثيرةٍ أُخرى.

و«الاسْبِكْتاكْل» (*le spectacle*)، و«الاوبرا» (*l'opéra*) [٢٠]. ولم يُعْطِ الطهطاوي في هذا الوصف لفظَ المُصْطلَحات الفرنسية لهذه المُؤَسَّسات اللَّهْوِيَّة فحَسْب، بل كتَبَ وصفاً دقيقاً مفُصَّلاً لأنواع «السبكتاكلات» كـَ«الاوبرا»، و«اوبره كوميك» (*l'opéra comique*)، و«التياتر الطليانية» (*l'opéra italien*)، و«تياتر فرَنْكوني» (*le théatre franconi*)، و«تياتر الكُمْت» (*le théatre conte*)، إلخ [٢١]. وفي مُحاولَة الطهطاوي وَصْفَ هذه «المؤَسَّسات»، وإعطائها الأسماء المُناسبة عن طريق استعمال مُصْطلَحات مُعرَّبة، واجَهَ - من غير شكٍّ - صعُوباتٍ مُعَقَّدةً. ويذكر لنا صعوبةَ «ترجمة الكتب العلمية»، لا سيَّما أنَّ مثلَ هذا الجَهْد يتَطلَّب معرفةَ مُصطلَح العلوم الأصليَّة. وهذا يتطلَّب مَعرفةَ اللغة المنقول منها والمنقول إليها، وكذلك معرفةَ الفَنِّ الذي تجري به الترجمة [٢٢] وفيما يَتَعلَّق بـ«الاسْبِكْتاكْل»، أو «التياتْر» أقرَّ الطهطاوي أنَّ اللغةَ العربيةَ تَنقُصُها المُصْطلَحاتُ التي يُمكِن بها وَصفُ هذه «المؤَسَّسات» بِشَكلٍ لائقٍ [٢٣]. وعلى الرَّغم من كلِّ هذا، تَجَرَّأ الطهطاوي على استنباط المُرادفات العربية للمُؤَسَّسات الفرنسية التي ذكرناها في السُّطور السابقة. فاقترَحَ أنْ يُسمَّى «الاسْبِكْتاكْل» بـ«مَنْظر»، أو «مُتَنَزَه»، أو شيءٍ قريبٍ من هذا. وفي الحقيقة، أنَّ هذه المُصطلَحاتِ تُعبِّر في رأي الطهطاوي عن المعنى الأصليِّ للمسرح. فإنَّ معنى «تياتر» هو معنى «سبِكْتاكْل». ومع ذلك، اقترَح الطهطاوي مُصْطلَحاتٍ

---

٢٠) انظر الطهطاوي، ١٩٧٣، المصدر السابق، المقالة الثالثة، الفصل السابع، بعنوان «في مُتنزهات مدينة باريس»، ص ١١٩-١٢٢.

٢١) المُصْطلَح الفرنسي *le conte* يتَضَمَّن معنى سَرْد وقائع فِعليَّة تعرَضُ (لشخصٍ ما) كقصةٍ أو تقريرٍ، أو سرْدِ حكاية. انظر P. Robert (195), *Dictionnaire*, vol. 1, p. 921 . ولم أتَحقَّق ممّا قَصدَه الطهطاوي من مُصطلَح *le theatre francon*

٢٢) انظر الطهطاوي، ١٩٧٣، المصدر السابق، المقدمة، الباب الثاني، ص ٢٢. ونُوردُ هنا النَّصَّ الحَرْفيَّ لقول الطهطاوي عن «فن الترجمة»: «. . . يعني ترجمة الكتب، وهو من الفنون الصعبة، خصوصا ترجمة الكتب العلمية، فإنه يحتاج إلى معرفة اصطلاحات أصول العلوم المراد ترجمتها فهو عبارة عن معرفة اللسان المترجم عنه وإليه، والفن المترجم فيه . . . .».

٢٣) انظر الطهطاوي، ١٩٧٣، المصدر نفسه، المقالة الثالثة، الفصل السابع، ص ١٢١. ونَصُّ الطهطاوي الحَرْفي في هذا المجال كما يلي: «. . . ولا أعرف اسْماً عربياً يليق بمعنى «الاسبكتاكل» أو «التياتر . . .».

أُخرَى لـ «تياتْر» مثل «اللعب»، أو «محله». كما اقترحَ نظيراً آخرَ قد يُعَبِّر عن المعنى نفسه، ألا وهو «أهل اللعب المُسَمَّى خيالي، بل الخيالي نوع منها». وللحفاظ على الدقّة، لجأ الطهطاوي إلى المُصْطلَح التُّركي «كمدية»، والذي كان - حَسَبَ رأي الطهطاوي - غير كافٍ للتعبير عن هذه الفكرة. وحتّى يَتمكَّنَ المُصْطلَحُ التُّركيُّ «كمدية» من التعبير عن معنى «تِياتْر» أصبَحَ من اللازم تَوْسيعُ مَعْنَى «كمدية» [٢٤]. وفي رأيِ الطهطاوي، أنَّ استعمالَ مُصطلَح «خَيَالي» للتعبير عن «تِياتْر»، أو «سبِكْتاكُل» جائزٌ شريطةَ أنْ تُوَسَّعَ معاني هذا المُصْطلَح [٢٥].

لَجأَ الطهطاوي - بشكلٍ أساسيٍ - إلى طريقَيْن في استنباط المُصْطلَح العربي المُعَبِّر عن الأفكار الغربية، ومُسْتَحْدثات الحضارة. فالطريقُ الأولى شَمِلَت استعمالَ المُصطلَحات العربية الواردة في اللغة الفصحى أو اللهجة. ووَسَّع الطهطاوي معاني هذه المُصطلَحات لتَشْمَلَ أحياناً الأفكارَ الجديدةَ، والمُستحدثات الحضاريةَ. وشَمِلَت الطريقُ الثانيةُ تعريبَ المُصْطلَحات الفرنسية عندما لم تَتَوَفَّر المُفردات العربية. ويذكرُ أحمد أحمد بدوي (١٩٥٩): ٢٦٧ أنَّ الطهطاوي لَجأَ - قَدْرَ المُستطاع - إلى تفسير بعض الكلمات التي لم يُوَفَّق لإيجاد ما يُقابِلها في العربية. وينقلُ أحمد أحمد بدوي عن الطهطاوي قولَه: «... وما تَعاصَى منها حَفَظتُ لفظَه ورسمته، كما يمكن كتابته به، وربما أدخلته بعض تفسيرات لطيفة [٢٦].

---

٢٤) النَّصُّ الحَرْفي كما وَرَدَ في الطهطاوي، ١٩٧٣، المصدر نفسه، المقالة الثالثة، الفصل السابع، ص ١٢١: «... وتشتهر عند التُرْك باسم «كمدية»، وهذا الاسم قاصر إلا أنْ يتوسَّع فيه ...». واللفظة التركية التي عناها الطهطاوي هي «قومه دى»، أو «قومه ديا»، أو «قومديا»، أو «قومَديه»، المأخوذة عن الفرنسيَّة *comédie* والتي هي أصلاً من اللغة اليونانية. انظر *Türkce-Ingilizce Redhouse Sozlügü*, p. 672؛ و ش. سامي «المعجم التركي التراثي» [بالحروف العربية]، ص ١١١٤.

٢٥) النَّصُّ الحَرْفي كما وَرَدَ في الطهطاوي، ١٩٧٣، المصدر نفسه، المقالة الثالثة، الفصل السابع، ص ١٢١: «... ولا مانع أنْ تُتَرْجَم لفظةُ «تِياتْر» أو «سبِكْتاكُل» بلفظ «خيالي»، ويتوسع في معنى هذه الكلمة ...».

٢٦) انظر أحمد أحمد بدوي، ١٩٥٩، المصدر السابق، ص ٢٦٧، نقلاً عن الطهطاوي في كتاب «تخليص». لكنّي لم أُوَفَّق للعثُور على هذا النَّصّ في كتاب الطهطاوي.

أمّا فيما يتعلّق بالطريقِ الأولى، وهو إحياءُ المُصْطلَح الفَصيح، أو الأدبيّ فحاولَ الطهطاوي أنْ يَعثُرَ على المُصطلَحات العربية الفصيحة التي تنقل المعنى المقصودَ أوْ قريباً منه، ما أمكنَه ذلك. وفي بعض الأحيان، حاولَ أنْ يُوَسّعَ مَدَى مَعنَى المُصْطلَح الفصيح ليُعبِّرَ عن المَوْقف الجديدِ القريبِ من المعنى الأصلي للمُصْطلَح. وحاولَ الطهطاوي في أحيانٍ أُخرى، أنْ يُضيِّقَ مَعنَى المُصْطلَح، أوْ يُحدِّدَ مَعنىً اعتقَدَ أنَّه يُناسِبُ هذا المُصْطلَح. ومثالٌ على ذلك، عندما وَصَفَ الطهطاوي «التياتْر»، و«الاسْبِكْتاكْل»، و«الاوبرا» اقترحَ أنْ يُعبِّرَ عن «اسْبِكْتاكْل» بكلمة «مَنْظَر»، أو «مُتَنَزَه»، أو أيّ شيءٍ قريبٍ من هذا. واقترحَ كذلك مُصْطلَحاتٍ أُخرى بدائلَ لِـ«تِياتْر» مثل «اللعب»، أو «محله». كما اقترحَ أيْضاً مُصطلَحَ «خيالي» ليُعبِّر عن «التِياتْر» و«الاسْبِكْتاكْل» شريطةَ أنْ يُوَسَّعَ مَعْناهُ.

وتَشْمَلُ المُصطلَحاتُ التي اقترحَها الطهطاوي ثلاثَ فئاتٍ:

(١) مُصْطلَحٌ مُفردٌ مثل «الإرسالية»، و«الإيالات» [المُقاطعات]، و«جَهْريَّة»، و«المتولّي»، و«المِحَمّ»؛

(٢) مُصْطلَحاتٌ مُرَكَّبَةٌ مثل «كُرسي المملكة»، أو «كرسي بلاد [الانكليز]»، أو «قاعدة ملك [الفرنسيس]»، و«فنّ المياه»، و«جاذبية المُحاكَّة»، و«بيْت المال»، و«إناء القُرْعَة»، و«بيْت الصحة»، و«طِب البهائم» أو «تطبيب الحيوانات»، و«النَّظارات المُعَظَّمة»[٢٧]؛

٢٧) «كُرسي المملكة»، أو «كرسي بلاد [الإنكليز]»، بمعنى العاصمة في الخطاب المُعاصِر. ويستعمل الطهطاوي عبارة مُماثلة وهي «قاعدة ملك [الفرنسيس]»؛ «فنّ المياه» بمعنى «صناعة القناطر والجسور والأرصفة والفساقي، ونحو ذلك»؛ و«جاذبية المُحاكَّة» «المُسمّاة بالفرنساوية «الاكتريسته» بكسر الهمزة، وسكون الكاف وكسر التاء والراء وكسر السين وفتح التاء»، بمعنى «الكهرباء»؛ و«بيّت المال» بمعنى «وزارة الماليّة» في لغة العصر؛ و«إناء القُرْعَة» بمعنى «صندوق الاقتراع» في الخطاب المعاصر؛ و«بيْت الصحة» بمعنى «مَشْفَى»، أيْ بيْت «مُعَدّ لمن يدفع قدراً مُعيّناً في نظير أكله وشربه وسكناه وتطبيب بدنه وخدمته ونحو ذلك...»؛ و«طِب البهائم» أو «تطبيب البهائم»، أو «تطبيب الحيوانات»، أو «تطبيب الدواب» بمعنى «مارستانات للحيوانات المريضة». ويستعمل الطهطاوي أيضاً عبارة «فن البيطرة» لمعالجة الخيول وغيرها. و«النَّظارات المُعَظَّمة» بِمَعْنَى «المُجْهِر»، أو «المُكبِّر» في الخطاب المعاصر.

(٣) مُصْطلحاتٌ فَصيحةٌ تُراثيَّةٌ أُحْيِيَت للتعبير عن أفكارٍ مُماثلةٍ مثل «عِلْم الحِيَل» التي أَوْرَدَها الطهطاوي باسم «الميكانيقا»، أيْ آلات الهندسة وجرّ الاثقال، و«عِلم الهَيْئَة». وفي بعض الحالات استعملَ الطهطاوي المُصطلحاتِ التُّراثيةَ ولكن بتعريفاتٍ إضافيةٍ. ومثالاً على هذا نُوردُ مُصطلحَ «المُحْتَسِب» الذي كانت بعضَ مسؤوليَّته في الإدارات الإسلامية مخازنُ الأكل، والإشرافُ على الأسواق، سواء من ناحية دينيَّة كالمحافظة على المساجد وأوقات الصلاة مثلاً أو غير دينيَّة. ولكنَّ الطهطاوي استعملَ لفظَ «المُحْتَسِب» ليَدُلَّ على مَعنىً مُشابِهٍ للمَعْنَى الإسلامي القديم، وهو المسؤول الذي «يأمر الخبّازين أنْ يكونَ عندهم كل يوم من العيش [الخُبْز] ما يكفي المدينة . . .». واستعملَ الطهطاوي «فَرْسَخ»، الكلمة المُعرَّبة من الفارسيَّة، كما في «فَرْسَخ [فرنساوي]» لتَحديد مَسافةٍ مُعَيَّنةٍ بين مدينةٍ وأُخْرَى دون دقَّة، و«الشريعة» بمعنى «قانون»، و«عَمالَة» بمعنَى «مقاطعة»، أو «منطقة اقتراع»، إلخ [٢٨].

ويجدرُ أنْ نذكُرَ هنا أنَّ الطهطاوي كان لا يَستَقِرُّ على استعمال مُصْطلَحٍ واحدٍ لنفس الدّلالة، بل نَجِدهُ يستعمل مُصْطلَحاتٍ عديدةً تنقلُ المعنى نفسَه. ولعلَّ هذا راجعٌ إلى أنَّ المؤسَّساتِ التي كان يَوَدُّ وَصفَها لم يتِمَّ رُسُوخُها في المجتمع، وبالتالي في اللغة، إلى حَدٍّ يَستَحِقُّ أنْ يُقيِّدَ استعمالُ هذه المُصْطلَحات لهذه المُؤسَّسات. وتَشْمَل هذه المصطلحاتُ المفردات الإداريةَ

---

٢٨) حوْل لفظ «المُحْتَسِب»، انظر الطهطاوي، ١٩٧٣، المصدر السابق، المقالة الثالثة، الفصل الخامس، «في أغذية أهل باريس وفي عاداتهم في المآكل والمشرب».

أمّا استعمال كلمة «فَرْسَخ» المُعَرَّبَة فهي كلمةٌ من الأصل الفارسيّ «فَرْسَنْگ» [بالكاف الفارسية]. انظر «لسان العرب»، مادَّة «فرسخ». وساقَ الطهطاوي (١٩٧٣، المصدر نفسه) أمثلةً كثيرةً مُستعملاً بها هذه المُفردَة. نُورِد مِثالاً على ذلك من الطهطاوي «. . . ومدينة ليون على البعد من مرسيليا باثنين وتسعين فرسخا فرنساويا . . .».

وزَوَّدَنا الطهطاوي بمسافاتٍ بين مُدنٍ أُخرى مُستَعْمِلاً كلمة «فرسخ»، كالمسافة بين باريس والاسكندرية، وبين مرسيليا وباريس، وليون وباريس، وباريس ومُدُن أُخرَى كثيرة في الشرق والغرب.

حوْل استعمال الطهطاوي لِـ«فرسخ»، انظر الطهطاوي، ١٩٧٣، المصدر نفسه، المقالة الثانية، الفصل الثاني، ص ٥٩؛ وكذلك المقالة الثالثة، الفصل الأول، ص ٦٦، وفصل «خاتمة»، ص ٢٥٦ في حديثه عن مواقع أُخرى، وفي مواضع أُخرى في «تخليص».

مثل «كرسي [بلاد الفرنسيس] أو [كرسي الملك] أو [كرسي بلاد الانكليز]»، و«عاصمة»، و«قاعدة حاكم [مصر]، أو قاعدة حاكم [بلاد الصين]» مثلاً، و«تَخْت [الدولة العَلِيَّة] أو تَخْت [بلاد الانكليز]»، و«قَصَبَة». وتُعبِّر كلٌّ واحدةٍ من هذه المُفْرَدات عن معنى «العاصمة» في الخطاب المُعاصر. وكذلك تَشْمَلُ هذه المُصْطَلَحاتُ عباراتٍ تَدلُّ على عاداتٍ «اجتماعية» مثل «مدة التعطيل»، و«مدة الفراغ»، و«البطالة» والتي تعني جميعها في لغة اليوم «الإجازة»، أو «الاستراحة من العمل»؛ ومثل «مَحالّ الأكل» المُسمّاة «الرسطراطور» أي «اللوكنجة»، بمعنى «المطعم» في الخطاب المُعاصر[٢٩].

وعندما لم يُوَفَّق الطهطاوي في العثور على المُصْطَلَح المُناسب في اللغة الفصيحة، والتُّراث الأدبي فإنَّه كانَ يَلْجأُ إلى استعمال المُصْطلَحات التي كانت شائعةً على أَلْسِنَة العامَّة. ولْنَنْظُرْ إلى الأمثلة التالية الواردَة في «تخليص»: «جرايحي»، و«المكَحَّلاتي»، و«القهوة»، و«العَوالِم»، و«الفُرْجَة» أو «التَّفَرُّج»، و«العيلة» و«ورْشة». وبالإضافة إلى هذه المُفْرَدات الدَّارِجَة على أَلْسِنَة العامَّة والتي أوْرَدَها الطهطاوي في «تخليص» للتعبير عن مؤسَّساتٍ بدأت تَتَرَسَّخُ في المُجتَمع الجديد، فإنَّنا نَجِدُ في كتابات الطهطاوي الوَصْفيَّة الكثيرَ من العبارات الدَّارِجَة في اللهْجَة المِصْريَّة، أو في غيرها من اللهجات العربية. ومن هذه الأمثلة: «يأكلون على كيسهم»، و«تَطرِيَة الزمان»، و«قَطْع العِرْق». ويَحْسُنُ أنْ نَذكُرَ هنا أنَّ كثيراً من هذه العبارات، والمُصْطلَحات العاميَّة كانت إمّا من:

(١) أَصْلٍ تُركيٍ عثْمانيٍ مثل «الأُوضَة»، أو «الأُوَض»، أو «الأُوَد»؛ أوْ من

(٢) مَزيجٍ من عِباراتٍ ذاتِ أَصْلٍ عربيٍ مُضافٌ إليها لواحِقُ تُرْكيَّةٌ مثل اللاحقة «-جي» بمَعْنَى «عامِل»، أو «صانِع»، أو «بائِع الشيء»، كما نَرَى في «قَهْوَجي»، و«حَرْبَجي»،

٢٩) «اللوكنجة» كلمة تُركيّة وهي «لوقانده» أو «لوقنطه» (الواو المبسوطة الثقيلة، على ما ذكَرَ ش. سامي في «المعجم التركي التراثي». ولا أعرف ما المقصود بذلك) وَرَدَت إلى التركية من الكلمة الإيطالية ***locanda*** بمعنى «مطعم» أو «صاحب المطعم».

انظر ش. سامي «المعجم التركي التراثي»، ص ١٢٤٧-١٢٤٨.

و«نُوبَتْشي» [٣٠]، إلخ. وعلى الرَّغم من التَّرَدُّد الذي أبداه الطهطاوي في القرار على المُصْطلحات، فقد تبَنَّى كلمات أو عبارات ذاتَ مدلول إداري، أو مُعبِّرَةً عن الأُمور الرَّسمية التي كانت شائعةَ الاستعمال في زَمَنِه. وهذه العبارات كانت إمّا:

(١) تُركيةً عثْمانيةً من أُصول فارسيّةٍ دَخَلَت اللغةَ التُركيَّةَ العثْمانيَّة، وأصبحت شائعةَ الاستعمال في الإدارة العثْمانيَّة في المجتمع المصري مثل «الكَتَخُدا»، و«الفرْمان»، و«بَرْمَق»، إلخ؛ أو (٢) مزيجاً من عناصرَ عربيةٍ أو مُعَرَّبة، أو من أُصولٍ فارسيَّة دَخَلَت التركيَّة العثْمانية مثل «الخازِنْدار»، و«قانون نامَهْ» [٣١].

---

٣٠) لاحظ أنَّ كلمةَ «نوبَتْشي» بمعنى «حارِس» مُكَوَّنة من العربية «نَوْبَة»، التي من معانيها «مَرَّة»، و«دَوْر»، و«زَمَن»، و«الفُرْصَة»، وهي الاسم من «المُناوبَة»، زائداً اللاحقة التركية «-جي»، بمعنى «عامل»، أو «صانع»، أو «صاحب». ويُحدِثُ التقاءُ التاء والجيم في هذا الوَسَط اللُغَوي التغييرَ الصَّوْتي من «تْجي» إلى «تْشي».

أمّا بالنِّسبة لـ«ورْشة» فيصعُب تحديد أصل هذه المفردة. فقد وَرَدَ «ورْشَة» «. . . عند البنّائين جماعة المعلمين والفعلة يشتغلون». انظر «محيط المحيط»، مادّة «ورش». ووَرَدَ في أحمد رضا، ص ١٩٨١، «قاموس ردّ العامي إلى الفصيح»، ص ٥٨١، تحت مادّة «الوَرْشة» «يقولون عمل لنا فلان وَرْشَةَ أي فتنة واختلاط . . . ثُمَّ أطلقته العامّة على اجتماع العمال على عمل واحد لاختلاطهم وجَلَبَتِهم. . . »

٣١) استُعمِلَت بعض هذه الألفاظ في الإدارة العثمانيَّة. فكلمة «كَتْخُدا» كانت تعني «حَرَس الباب وحامي الباب السُّلطاني والباب الرئيسي لقصر السلطان». وعُرِّبَت هذه اللفظة على «الكَتْخَدا» بمعنى «مُعتَمَد الوزير ومدير أشغاله». انظر *Türkce-Ingilizce Redhouse Sozlügü*, p. 646؛ و«مُحيط المحيط»، ص ٧٧١.

أمّا لفظة «الفرِمان» فكانت تعني «الأمر السُّلطاني». وعُرِّبَت على «الفَرَمان» وهو «كتاب السلطان يُعْطَى الولاة ووُكَلاء الدُّول يُعْلِن تنصيبهم». انظر *Türkce-Ingilizce Redhouse Sozlügü*, p. 367؛ و«مُحيط المحيط»، ص ٦٨٨.

ولفظة «بَرْمَق» من «پَرْمَق» أو «پارمق» أو «پرماق» بمعنى «إصبع»، أو «قياس طول». انظر *Türkce-Ingilizce Redhouse Sozlügü*, p. 919

و«الخازِن دار» هو «المسؤول عن الخزانة، ولَقَب الخصيّ الأسود الثاني للقصر السلطاني». انظر *Türkce-Ingilizce Redhouse Sozlügü*, p. 470

=

لَجأ الطهطاوي إلى تعريب كثيرٍ من المُصْطلَحات الفرنسية. واستعملَ هذه المُصْطَلَحات المُعَرَّبةَ في وَصْفِ الأفكار الغربية، والمُسْتَحْدَثات الحضاريَّة، لا سيَّما عندما لم يَتمكَّنْ من العثُور على المُصْطلَح المُناسِب في العربية الفصيحة، أو اللهجات الدارجة التي شَملت المُفردات التركية العثمانية. وكانت هذه المُصطلَحاتُ عبارةً عن:

(أ) كلمةٍ مفُردةٍ مثل «كرنتينا» *(quarantaine)*، و«أكدمية» أو «أكدمة» أو «أقدمة» *(académie)*، و«جرنال» *(journal)*، و«اوبرا» *(opéra)*، و«بانوراما» *(panorama)*، و«بيانو» *(piano)*، إلخ. وعندما تَمَّ تَبَنِّي هذه المُفرَدات في وَصْفِه للمؤسَّسات الفرنسية، أخضَعَ الطهطاوي هذه الكلمات الجديدةَ لقَواعد الصَّرْف العربي. فمثلاً، أَصْبَحَت كلمةُ «كرنتينا» *(quarantaine)* الإيطاليةُ الأصلِ «الكَرَنْتينا» بإضافة لام التعريف. واشْتَقَّ من هذا المُصْطلَح الفعلَ الرُّباعي «كَرْتَن/ يُكَرْتِنُ» على وزْن «فَعْلَل/ يُفَعْلِلُ»، كما اشتقَّ المَصْدَر «الكَرْتَنَة» على وزْن «فَعْلَلَة»[٣٢]. ويَنطبقُ الشيء نفسُهُ من حيثْ إخضاع المُفردَة لقواعد الصَّرْف العربي على «جرْنال»، و«بلْفار» أو «بلْوار» *(boulevard)*، و«كوليج» *(college)*، التي جُمعَت على صيغة الجمع المؤنَّث السالم فأصبحَت «جرْنالات»، و«بلْفارات» أو «بلْوارات»، و«كُوليجات»؛

(ب) وربَّما كانت هذه المُصطلحاتُ مُفرداتٍ مُركَّبةً من كلمةٍ عربيةٍ وأُخرى أجنبيَّة. والأمثلةُ على هذا مثل «جوريات الجنايات» *(les juries)*، و«أهل الجرنال» بمَعنى «المحرّرون» *(les éditeurs)*، و«أرباب الجرنو» بمَعنى «الصُّحفيّون» *(les journalistes)*، و«أكدمة الحكمة» *(l'academie medical)* بمَعنى «مدرسة الطب»، و«البال العام» [المرقص العام] *(le ballet*

= أما «قانون نامه» أو «قانوننامه» فهو «كتاب القوانين والتشريعات». انظر *Türkce-Ingilizce Redhouse Sozlügü*, p. 596

٣٢) زَوَّدنا الطهطاوي بوَصْفٍ شاملٍ لهذه المؤسَّسة. انظر الطهطاوي، ١٩٧٣، المصدر السابق، المقالة الأولى، الفصل الرابع، ص ٤٩. ويذكر الطهطاوي (١٩٧٣، المصدر نفسه، المقالة الثانية، الفصل الأول: ص ٥٣–٥٤) رأيَ علماء المغرب في «الكرنتينة». كما أنَّه وَصَفَ البيتَ الذي استُعْمِل في مارسيليا مكاناً للحَجْر الصحِّي على القادمين إلى المدينة.

(publique)، و«البال الخاص»، أي «المرقص الخاص» *(le ballet privé)*، و«أيام الكرنوال» *(le carnaval)* بمعنى «أيّام الاحتفال»؛

(ج) ربّما كانت هذه المُصطلحات تعابيرَ إدارية مُعَرّبَةً من أصول فارسيّة دَخَلَت التُركيَّة العثمانية وأصبحَت دارجةَ الاستعمال في العربية. واستعمل الطهطاوي هذه المُصطلحات لوَصف مؤسَّسات عرَفَها أثناء إقامته في فرنسا. وعلى سبيل المِثال، تشمَل هذه المفردات المعبِّرةُ عن مؤسَّسات: «مارستان»، بمعنى «مستشفى» في الخطاب المُعاصر، و«ديوان» بمعنى «مكتب». وهكذا، استعمَلَ الطهطاوي كلمةَ «مارستان» في «مارستان الشيخوخة»، أو «مارستان العميان»، أو «مارستان المجانين»[٣٣]. كما أنّه استعمل كلمةَ «ديوان» في مُصْطَلَح «ديوان رسل العمالات»، ترجمةً لـ «*chambre des députés*» بمعنَى «نوّاب المقاطعَات في البرلمان»، أو «مجلس الشعب» في الخِطاب المُعاصِر؛ و«ديوان سر الملك»؛ و«ديوان الإحسان»[٣٤].

---

٣٣) حول استعمال المفردة «مارستان»، انظر هامش ٣٦ من الفصل الثاني في هذا الكتاب.

٣٤) لتحديد معنى وظيفة هؤلاء انظر الطهطاوي، ١٩٧٣، المصدر السابق، المقالة الثالثة، الفصل الرابع، ص ٩٤ و٩٩.

أمّا تحديد معنى «ديوان»، انظر الطهطاوي، ١٩٧٣، المصدر نفسه، المقالة الثالثة، الفصل الثالث، بعنوان «في تدبير الدولة الفرنساوية»، ص ٩٩.

أوْرَدَ الطهطاوي تعريبات لبعض المُصطلحات الفرنسية كـ«شمبر دو بير» [*chambre des pairs*]. وأوْرَدَ كذلك اللفظَ التقريبيَّ لهذه الكلمة، فقال عن لفظ كلمة «شَمْبر» *chambre* «بفتح الشين وسكون الميم». واستعمَلَ الطهطاوي كلمةَ «ديوان» لوَصفِ مكاتب حكومية كثيرة مثل «ديوان رسل العمالات»، و«ديوان سر الملك»، و«ديوان الدولة»، و«ديوان الوزراء والوكلاء»، و«الديوان الخصوصي»، و«ديوان الإحسان».

ومن باب الطَّرافةَ اللغوية، أوْرَدَ الشيال (١٩٥١، المصدر السابق، ص ٢١٤) بعضَ المُصطَلَحات المُرادفَة لاصطلاح «ديوان رسل العمالات» التي استُعْمِلَت في مصر منذ عهد محمد علي حتّى السنة التي ألّفَ بها الشيال كتابَه. ومن هذه العبارات، بالإضافة إلى «ديوان رسل العمالات»، «مجلس شورى القوانين»، و«الجمعية العمومية»، و«الجمعية التشريعية»، و«مجلس النواب». وما تزالُ هذه المؤسَّسةُ الحديثةُ الوُرود تَحْمِلُ أسماءً مُختلفةً في المناطق العربية المُختلفة.

ولعلّنا لا نكون بعيدين عن الصحّة إنْ زَعَمْنا أنّ فترةَ الطهطاوي تُمكن مُقارنتُها بالمرحلتَيْن الحاسمتَيْن السابقتَيْن في تاريخ اللغة العربية، وهي «الثورة» الإسلامية في القرن السابع للميلاد، التي أدْخَلَت مفُردات كثيرةً إلى اللغة العربية، أوْ حَوَّرَت معاني مُفردات كانت تُستَعمَل بِمَعانٍ خاصّةٍ ومُعيَّنةٍ في فترة ما قَبْل الإسلام ليُصبِحَ استعمالُها لدلالاتٍ مُعيَّنةٍ جديدةٍ في الفترة الإسلامية. وعلى سَبيل المثال، نذكُرُ كلمتَيْ «حَجّ» و«صَوْم»، اللتَيْن ذكرناهما في الفصل الثاني[٣٥]. والفترةُ الثانيةُ هي فتْرةُ عَصرِ الترجمة الذي استَمَرَّ نشيطاً من القرْن التاسع إلى القرن الحادي عشر للميلاد. وهذه الفترةُ أدْخلَت أيضاً مُفردات عديدةً إلى اللغة العربية ولا سيَّما في مَجالات الطبّ، والمَنطِق، والفلسفة، والعلُوم، كما رأينا في الفَصْل الثاني.

وتَشمَل الآليّاتُ التي استعملَها الطهطاوي لاستِنباط مُفردات تُعبِّرُ عن موادَّ أو أفكارٍ طارئة على المُجتمع العربي في فتْرَتِه ثلاثَ طُرُق:

(١) إحياءُ المُفردات العربية القديمة للدلالة على مَعانٍ جديدة؛

(٢) استعمالُ المُفردات الدارجة على ألْسِنَة العامّة؛

(٣) تعريبُ المُفْرَدات الأجنبيَّة.

وأضافَت هذه الطُرُقُ مُفردات عديدةً إلى اللغة العربية في عَصرْ النَّهضة في القرن التاسع عشر، كما لَمَسنا من الأمثلة القليلة الواردة في السُّطور السابقة.

وفي العالم المعاصِر، لا يزال العربُ على اتّصالٍ بالغرب، وبحاجةٍ دائمةٍ إلى مُفرداتٍ عديدةٍ للتعبير عن أفكارٍ مُستوردة من الغَرْب، ومُستَحْدثاتٍ حَضاريةٍ كثيرة. وجُهودُ الطهطاوي في القرن التاسعَ عشرَ ما زالت حيَّةً في علاقتها بالسؤال عن المُفردات العربية المُناسبة للدلالة على المُستَحْدثات التقنية الغربية التي تَصِلُ إلى العالم العربي تِباعاً، وبمقادير كبيرة. ومَسألةُ التعريب ما زالت تُناقَشُ كثيراً في المجامع اللغوية في العالم العربي، وفي أوْساط المُثقَّفين العرب،

---

٣٥) انظر الهامش ٥٦ من الفصل الثاني، والإشارة هناك إلى الرّاغب [الحسين بن محمد] الإصفهاني «مفردات ألفاظ القرآن» [كذلك ورَد اسم الكتاب «المفردات في غريب القرآن»]، مادّة «حج»، و«صوم»؛ وكذلك إلى الشريف الجرجاني، «كتاب التعريفات»؛ وابن فارس «الصاحبي في فقه اللغة»، «باب الأسباب الإسلامية»، ص ٧٨-٨٦.

والجامعات العربية، والهيئات الحكومية، إلخ. وليسَت جُهودُ الطهطاوي في استنباط المُفردات العربية هامّةً لدراسة المُفردات العربية من وُجْهَة نَظرٍ تاريخية فَحَسْب، بل هي هامّةٌ لدراسة المسألة المُعْجمية بشكلٍ عامٍّ. ودورُ الطهطاوي في إغناء اللغة العربية من ناحية المُفردات دورٌ رائدٌ حقّاً، إذ تُلقي مُحاولاتُه بعضَ الضوء على تطوُّر اللغة في المُستَقبَل، وتُزوِّدُنا بنَماذجَ لما يُمكِن فعلُه. ثُمَّ إنَّ جُهودَ الطهطاوي تُوضِّح كيفيَّة تَطوُّر اللغات من خلال تماسِّها واتّصالِ بعضِها ببَعضٍ.

المراجع بالحروف العربية

أحمد، محمد خلف الله

١٩٦١ معالم التطور الحديث في اللغة العربيه وآدابها. القاهرة، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

ارسطاطاليس

د. ت في أعضاء الحيوان. تحقيق رِمكَه كرُوك Remke Kruk. انظر المراجع باللغات الأجنبية.

١٩٧٨ أجزاء الحيوان. ترجمة يوحنا بن البطريق. تحقيق وشرح عبدالرحمن بدوي. الكويت. وكالة المطبوعات.

الاصفهاني، الراغب [الحسين بن محمد]

١٩٦١ المفردات في غريب القرآن. تحقيق محمد سيد كيلاني. القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

١٩٩٢ مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق صفوان عدنان داوودي. دمشق، دار القلم؛ وبيروت، الدار الشامية.

ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم

د. ت عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تحقيق نزار رضا. بيروت، دار مكتبة الحياة.

الأيوبي، الياس

١٩٢٣ تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا (١٨٦٣-١٨٧٩). القاهرة، د. ن.

ابن البدر، أبو بكر

١٩٩٣ كامل الصناعتين في البيطرة والزردقة، المعروف بـ«الناصري»، (جزآن). تحقيق عبدالرحمن ابريق. حلب، معهد التراث العلمي العربي.

بدوي، أحمد أحمد

١٩٥٠ رفاعة الطهطاوي بك (ط ١).

١٩٥٩ رفاعة رافع الطهطاوي. القاهرة، لجنة البيان العربي (ط ٢).

بدوي، عبدالرحمن

١٩٧١ «شروح على ارسطو مفقودة في اليونانية ورسائل أخرى». تحقيق وتقديم. بيروت، دار المشرق.

البستاني، بطرس

١٨٧٠ محيط المحيط. بيروت، مكتبة لبنان.

البستاني، عبدالله

١٩٢٧ البستان، ج ١. بيروت، المطبعة الأميركانية.

البلاذري، أحمد بن يحيى

١٩٣٨ أنساب الأشراف، ج٤، قسم ٢. Max Schloessinger (ed.) Jerusalem Hebrew University Press

١٩٨٧ فتوح البلدان. تحقيق عبدالله أنيس الطباع، وعمر أنيس الطباع. بيروت، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر.

البيروني، محمد بن أحمد

١٩٢٥ في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة. تحقيق Edward C. Sachau, Leipzig, Otto Harrassowitz

تاجر، جاك

د.ت حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر. القاهرة، دار المعارف.

الترك، نقولا

١٩٩٠ ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية. تحقيق ياسين سويد. بيروت، دار الفارابي.

١٩٩٣ حملة بونابرت إلى الشرق، «مخطوطة نقولا الترك». تحقيق أمل بشور. طرابلس (لبنان)، جرّوس برس.

التوحيدي، أبو حيّان

د. ت كتاب الإمتاع والمؤانسة. تحقيق أحمد أمين، وأحمد الزين. بيروت/ صيدا، المكتبة العصرية.

التونسي، محمد بن عمر

١٩٥١ ابن تيمية. نقض المنطق. تحقيق محمد بن عبدالرزاق حمزة، وسليمان بن عبدالرحمن الصنيع. تصحيح محمد حامد الفقي. القاهرة، مطبعة السنة المحمدية.

١٩٦٥ تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان. تحقيق خليل محمود عساكر، ومصطفى محمد مسعد. القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر. سلسلة «تراثنا».

ثامسيطوس

١٩٧١ جوامع كتاب ارسطوطاليس. في مقدمة طبائع الحيوان. ترجمة إسحاق بن حنين. في «شروح على ارسطو مفقودة في اليونانية ورسائل أخرى». تحقيق وتقديم عبدالرحمن بدوي. بيروت، دار المشرق.

ثعلب، أبو العباس أحمد

د. ت مجالس ثعلب (جزآن). تحقيق عبدالسلام محمد هارون. القاهرة، دار المعارف (ط ٣).

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر

د. ت البيان والتبيين. تحقيق عبدالسلام محمد هارون. بيروت، دار الفكر (ط ٤).

١٩٦٦ الحيوان. تحقيق عبدالسلام هارون. القاهرة، مصطفى البابي الحلبي (ط ٢).

الجبرتي، عبد الرحمن

١٩٦٠ تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ٧ أجزاء. تحقيق حسن محمد جوهر، وآخرين. القاهرة، لجنة البيان العربي (ط ١).

الجرجاني، علي بن محمد الشريف

١٩٨٥ كتاب التعريفات. بيروت، مكتبة لبنان.

الجهشياري، محمد بن عبدوس

١٩٨٠ كتاب الوزراء والكتاب. تحقيق مصطفى السقا وآخرين. القاهرة، مصطفى البابي الحلبي (ط ٢).

الجوهري، إسماعيل بن حمّاد

١٩٨٤ تاج اللغة وصحاح العربية [الصحاح]. تحقيق أحمد عبدالغفور عطار. بيروت، دار العلم للملايين (ط ٣).

الحِتَّة، أحمد أحمد

١٩٦٧ تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر. الاسكندرية، مطبعة المصري (د. ن).

حجازي، محمود فهمي

١٩٧٤ أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

حسن، محمد عبدالغني

د. ت أحمد فارس الشدياق. القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

الحموي، ياقوت

د. ت معجم البلدان، ٥ أجزاء. بيروت، دار صادر.

ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد

د. ت وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس. بيروت، دار صادر.

خليل، حلمي

١٩٨٥ المولّد في العربية. بيروت، دار النهضة العربية (ط ٢).

الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف

١٣٤٢ هـ مفاتيح العلوم. القاهرة، المطبعة المنيرية.

الدبيان، أحمد

١٩٩٣ حنين بن إسحاق: دراسة تاريخية ولغوية. الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية.

دهخدا، علي أكبر

١٩٦١، ١٩٦٨ لغة نامه (مُجلّدات حُروف ج، وك، وهـ). تهران [طهران]، دانشكاه تهران.

الرافعي، عبدالرحمن

١٩٥١ عصر محمد علي. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية (ط ٣).

١٩٨٢ عصر إسماعيل، ج ١. القاهرة، دار المعارف (ط ٣).

ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر

١٨٩١ كتاب الأعلاق النفيسة. لايدن (هولندة)، برل.

رضا، أحمد

١٩٨١ قاموس ردّ العامي إلى الفصيح. بيروت، دار الرائد العربي.

رفاعي، أحمد فريد

١٩٢٨ عصر المأمون، ج ١. القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية (ط ٤).

رمضان، صالح

١٩٧٧ الحياة الاجتماعية في مصر في عصر إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩). الاسكندرية، منشأة المعارف.

الزركلي، خير الدين

١٩٨٦ الأعلام. بيروت، دار العلم للملايين.

زيدان، جرجي

١٩٢٢ مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر. القاهرة، دار الهلال (ط ٢).

١٩٦٠ بناة النهضة العربية. القاهرة، دار الهلال (إعادة نشر).

١٩٧٨ تاريخ آداب اللغة العربية. بيروت، دار مكتبة الحياة (ط ٢).

سامي باشا، أمين

١٩١٧ التعليم في مصر في سنتَيْ ١٩١٤ و١٩١٥. القاهرة، مطبعة المعارف.

١٩٢٨ تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، ج٢. القاهرة، دار الكتب المصرية.

سامي، ش

١٩٨٩ المعجم التركي التراثي [«بالحروف العربية»]. بيروت، مكتبة لبنان. (طبعة جديدة).

سانتلانا، دافيد

١٩٨١ المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم الإسلامي. تحقيق محمد جلال شرف. بيروت، دار النهضة العربية.

سواعي، محمد

١٩٩٨ (أحمد) فارس الشدياق: رأيه في النحت والمصطلح اللغوي. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (٧٣) (١)، ص ٨٩-١٠٠.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن

د. ت بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (جزآن). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: عيسى البابي الحلبي (ط ١).

١٩٦٧ حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج ١. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. القاهرة، دار إحياء الكتب العربية/ عيسى البابي الحلبي (ط ١).

الشدياق، (أحمد) فارس

١٨٥٥ الساق على الساق. تقديم وتعليق نسيب وهبة الخازن. بيروت، دار مكتبة الحياة (إعادة نشر ١٩٦٦).

١٢٩٩ هـ الباكورة الشهيّة في نحو اللغة الانكليزية. استنبول، مطبعة الجوائب (ط ٢).

١٢٩٩/ ١٣٠٠هـ اللفيف في كل معنى طريف. استنبول، مطبعة الجوائب (ط ٢).

١٨٨١ الجاسوس على القاموس. استنبول، مطبعة الجوائب. بيروت، دار صادر (إعادة نشر ١٩٧٣).

الشدياق، طنّوس

١٨٥٩ كتاب أخبار الأعيان في جبل لبنان (جزآن). تحقيق وتقديم فؤاد أفرام البستاني. بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية (١٩)، ١٩٧٠.

الشرقاوي، محمود

١٩٥٧ مصر في القرن الثامن عشر، ج ٢. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية (ط ٢).

الشيال، جمال الدين

١٩٤٤ «دكتور برُّون Perron والشيخان محمد عياد الطنطاوي ومحمد عمر التونسي»، «مجلة كلية الآداب»، جامعة فاروق الأول، المجلد الثاني، ص ١٧٩-٢٢١.

١٩٥٠ تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية. القاهرة، دار الفكر العربي.

١٩٥١ تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي. القاهرة، دار الفكر العربي.

١٩٦٠ «رفاعة المترجم». في «مهرجان رفاعة رافع الطهطاوي»، ص ١٦١-١٧١. القاهرة، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

١٩٨٠ رفاعة رافع الطهطاوي». القاهرة، دار المعارف (ط٣).

شيخو، لويس

١٩٢٤-١٩٢٦ الآداب العربية في القرن التاسع عشر (جزآن). بيروت، المطبعة الكاثوليكية.

١٩٨٣ علماء النصرانية في الإسلام. تحقيق كميل حشيمه اليسوعي. جونيه (لبنان)، المكتبة البولسية؛ وروما، المعهد البابوي الشرقي.

١٩٨٩ النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (ط ٢). بيروت، دار المشرق.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك

١٩٧٥ الغيث المسجم في شرح لامية العجم، (جزآن). بيروت، دار الكتب العلمية.

الصلح، عماد

١٩٨٠ أحمد فارس الشدياق: آثاره وعصره. بيروت، دار النهار.

صوايا، ميخائيل

١٩٦٢ أحمد فارس الشدياق: حياته وآثاره. بيروت، دار الشرق الجديد.

ضاهر، مسعود

١٩٨٦ الهجرة اللبنانية إلى مصر. بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية.

الطهطاوي، رفاعة رافع

د. ت تخليص الإبريز إلى (في) تاريخ باريز. بيروت، دار ابن زيدون؛ والقاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية.

١٢٤٩هـ قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر. القاهرة، مطبعة بولاق.

١٢٥٠ و١٢٥٤هـ كتاب التعريبات الشافية لمريد الجغرافية. القاهرة، مطبعة بولاق (ط ٢).
١٩٧٣ الأعمال الكاملة. تحقيق محمد عمارة. بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

طوسون، الأمير عمر
١٩٣٤ البعثات العلمية في عهد محمد علي وعهدَيْ عباس الأول وسعيد. القاهرة، د. ن.

ابن عبدالحكم، عبدالرحمن بن عبدالله
د. ت فتوح مصر وأخبارها. تحقيق Charles C. Torrey. بغداد، مكتبة المثنى (بالاوفست).

عبدالكريم، أحمد عزت
١٩٣٨ تاريخ التعليم في عصر محمد علي. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

ابن العبري، غريغوريوس الملطي
د. ت. تاريخ مختصر الدول. د. ن.

عبّود، مارون
١٩٧٥ أحمد فارس الشدياق: صقر لبنان. بيروت، دار مارون عبود.

العقيقي، نجيب
د. ت المستشرقون، ج ١. القاهرة، دار المعارف.

عوض، لويس
١٩٨٠ تاريخ الفكر المصري الحديث. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

غربال، شفيق
١٩٣٨ مقدمة لِ«الشرق الاسلامي في العصر الحديث» (انظر مؤنس أدناه).

ابن فارس، أحمد
د. ت معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبدالسلام محمد هارون. قم (إيران)، دار الكتب العلمية.
١٩٧٧ الصاحبي في فقه اللغة. تحقيق أحمد صقر. القاهرة، عيسى البابي الحلبي.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر

١٨٥٠ كتاب تقويم البلدان. باريس، دار الطباعة السلطانية. تصحيح وطبع M. Reinaud & MacGuckin de Slane

الفراهيدي، الخليل بن أحمد

١٤٠٥ هـ كتاب العين، ٨ أجزاء. تحقيق مهدي المخزومي، وابراهيم السامرائي. قم (إيران)، دار الهجرة.

ابن القِفْطي، جمال الدين علي بن يوسف

د. ت تاريخ الحكماء وهو مختصر الزَوْزَني المسمَّى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء. تحقيق يُولْيُوس لِپِرت Julius Lippert. لايپزغ، ١٩٠٣. بغداد، مكتبة المثنى؛ والقاهرة، مؤسسة الخانجي. (بالاوفست).

كُرْد علي، محمد

١٩٨٣ خطط الشام، ج ٦. دمشق، مكتبة النوري (ط ٢).

كشلي، حكمت

١٩٨٢ المعجم العربي في لبنان. بيروت، دار ابن خلدون.

الكندي، محمد بن يوسف

١٩٨٧ تاريخ ولاة مصر. بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية (ط ١).

مركز الدراسات العسكرية

١٩٩٢ المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري. المجلد الثاني. دمشق، المؤسسة العامة للمساحة (ط ١).

مؤنس، حسين

١٩٣٨ الشرق الاسلامي في العصر الحديث. القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية. (إعادة طبع)، ١٩٩٢ (ط ٢).

مبارك، علي

١٩٨٦ الخطط التوفيقية الجديدة. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (ط ٢).

مجدي، صالح

١٩٥٨ حلية الزمن بمناقب خادم الوطن: سيرة رفاعة رافع الطهطاوي. تحقيق جمال الدين الشيال. القاهرة، مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

مجمع اللغة العربية

١٩٨٥ المعجم الوسيط، ج ١. القاهرة، مجمع اللغة العربية.

مسعد، بولس

١٩٣٤ فارس الشدياق. القاهرة، مطبعة الإخاء.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي

د. ت مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد. بيروت، دار المعرفة.

١٨٩٣ كتاب التنبيه والاشراف. لايدن (هولندة)، برل.

المطوي، محمد الهادي

١٩٨٩ أحمد فارس الشدياق، قسمان. بيروت، دار الغرب الإسلامي.

المقريزي، أحمد بن علي

د. ت المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بـ«الخطط المقريزية»، ج ٢. بغداد، مكتبة المثنى (طبعة بالاوفست).

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مُكرَّم

١٩٥٦ لسان العرب. بيروت، دار صادر، ودار بيروت.

ابن النديم، محمد بن أبي يعقوب

١٨٧١ الفِهْرِست. تحقيق غوستاف فلوجل. لايبزغ. بيروت، مكتبة خياط (إعادة طبع) ١٩٦٥.

نصّار، حسين

١٩٦٨ المعجم العربي: نشأته وتطوره، جزآن. القاهرة، دار مصر للطباعة.

نصير، عايدة ابراهيم

١٩٨٣ الكتب العربية التي نشرت في مصر بين عامي ١٩٠٠-١٩٢٥. القاهرة، قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة.

النُّعيمي، عبدالقادر بن محمد

١٩٨٨ الدارس في تاريخ المدارس، ج ١. تحقيق جعفر الحسني. القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.

نلّينو، كرلو

١٩١١ علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطى. روما (د. ن)

الوليلي، ابراهيم مصطفى

١٩٣٤ مفاخر الأجيال في سير أعاظم الرجال. القاهرة، المطبعة المحمودية (ط ٢).

يعقوب، إميل

١٩٨١ المعاجم اللغوية العربية. بيروت، دار العلم للملايين.

المراجع باللغات الأوروبية

Afnan, Soheil M.

1958 *Avicenna: his life and works.* London, George Allen & Unwin Ltd.

1964 *Philosophical Terminology in Arabic and Persian.* Leiden, E.J. Brill.

Ahmed, Jamal Mohammed.

1968 *The Intellectual Originis of Egyptian Nationalism.* London, Oxford University Press. (reprint).

Alwan, Mohammed Bakir.

1970 *Ahmad Faris ash-Shidyaq and the West.* Ph.D. dissertation, Indiana University. Bloomington (Ind).

Arberry, A. J.

1948 *The Cambridge School of Arabic.* Cambridge University Press.

Artin, Yacoub (Pacha).

1890 *L'Instruction Publique en Égypte.* Paris, Ernest Leroux, éditeur.

1908 « Lettres Inédites du Dr. Perron à M.J. Mohl ». *Bulletin de L'Institut Égyptien,* 5e series, tome III.

Baumstark, Anton.

1911 Das Alter der Peregrinatio Aetheriae. *Oriens Christianus,* (1): 32-76.

Berkes, Niyazi.

1964 *The Development of Secularism in Turkey.* Montreal, McGill University Press.

Bird, Isaac.

1864 *The Martyr of Lebanon.* Boston, American Tract Society.

Bowersock, G.W.

1983 *Roman Arabia.* Cambridge (MA), Harvard University Press.

Bowring, John.

1840 *Report on Egypt and Candia.* London, W. Clowes & Sons (Printers) [Her Majesty's Stationary Office].

Brockelmann, Carl.

1937 *Geschichte der Arabischen Litteratur Erster SupplementBand.* Leiden, E.J. Brill.

1938 *Geschichte der Arabischen Litteratur, Zweiter SupplementBand.* Leiden, E.J. Brill.

1943 *Geschichte der Arabischen Litteratur, Erster Band.* Leiden, E.J. Brill.

1949 *Geschichte der Arabischen Litteratur, Zweiter Band.* Leiden, E.J. Brill.

Browne, E.G.

1983 *Arabian Medicine.* Westport (CT): Hyperion Press, Inc. (reprint).

Burkitt, F.C.

1923 « The Old Lectionary of Jerusalem ». *The Journal of Theological Studies*, vol. XXIV, p. 415-424.

Butler, Alfred J.

1978 *The Arab Conquest of Egypt and the Last Thirty Years of the Roman Dominion.* (2nd ed.). Oxford, the Clarendon Press.

Cantineau, J.

1930 *Le Nabatéen* I. Paris: Presses universitaires de France. (Repr. Osnabrück, Otto Zeller. 1978).

1932 *Le Nabatéen* II. Paris, Presses universitaires de France. (Repr. Osnabrück, Otto Zeller. 1978).

Carré, Jean-Marie.

1932 *Voyageurs et Écrivains français en Égypte.* (2 vols.). Cairo, Institut français d'Archéologie Orientale du Caire.

Clot-Bey, Antoine B.

1833 *Compte Rendu des Travaux de l'École Médecine de Abu Zabel (Égypte).* Paris, Librairie de Deville Cavallin.

1840 *Aperçu Général sur L'Égypte* (2 vols.). Bruxelles, Meline, Cans et Compagnié.

Cooke, G. A.

1903 *A Text-Book of North-Semitic Inscriptions.* Oxford, the Clarendon Press.

Crabbs, Jack A.

1984 *The Writing of History in Nineteenth-Century Egypt.* Cairo, the American University in Cairo Press, & Detroit, Wayne State University Press.

Delanoue, Gilbert.

1982 *Moralistes et Politiques Musulmans dans L'Égypte du XIX^e Siècle (1798-1882).* (2 vols). Cairo, Institut français d'Archéologie Oriental du Caire.

Description de l'Égypte.
1809-1822 Paris, C.L.F. Panckoucke (2nd ed.).

Dunlop, D. M.
1959 The Translations of Al-Bitriq and Yahya (Yuhanna) b. Al-Bitriq. *JRAS* parts 3&4, p. 140-150.

Dussaud, René.
1902 Inscription nabatéo-arabe d'En-Namara. *Revue Archeologique*, 2, p. 409-421.
1907 *Les arabes en Syrie avant l'Islam.* Paris, Ernest Leroux, editeur.

The Encyclopedia Americana. (vol. 28). 1996.

The New Encyclopaedia Britannica. (vol. 12). 1994.

The Encyclopaedia of Islam, New Edition (*EI²*). Leiden, E.J. Brill.

Eche, Youssef.
1967 *Les Bibliothêques arabes.* Damas, Institut français de Damas.

First Encyclopaedia of Islam 1913-1936, Leiden, E.J. Brill.

Fleisch, Henri.
1947 *Introduction a l'étude des langues sémitiques.* Paris, librairie d'Amérique et d'Orient.

Fück, Johann.
1955 *Die arabischen Studien in Europa.* Leipzig, Otto Harrassowitz.

Georr, Khalil.
1948 *Les Categories D'Aristote dans leurs versions Syro-Arabes.* Beyrouth, Institut français de Damas.

Gingras, George E. (tr.).
1970 *Egeria: Diary of a Pilgrimage.* New York & Paramus (NJ), Newman Press.

Goodman, L.E.
1990 The Translation of Greek Materials into Arabic. In *Religion, Learning and Science in the Abbasid Period: 477-497.* M. J. L. Young et al (eds). Cambridge University Press.

Gran, Peter.
1979 *Islamic Roots of Capitalism, Egypt , 1760-1840.* Austin, University of Texas Press.

La Grande Encyclopédie. (vol. 31). 1886.

Grohmann, Adolf.
1934-1952 *Arabic Papyri in the Egyptian Library.* Cairo, Egyptian Library Press.

Hamont, Piere Nicolas.
1845 *L'Égypte sous Méhémet-Ali.* (2 vols.). Paris, Léautey et Lecointe.

Heyworth-Dunne, J.
1939 & 1940-42 Rifa'ah Badawi Rafi' at-Tahtawi: The Egyptian Revivalist. (Two parts). *Bulletin of the School of Oriental Studies.* Vol. IX, (part 4), p. 961-967 & Vol. X, p. 399-415.
1940 Printing and Translations Under Muhammad Ali of Egypt: the foundation of Modern Arabic. *Journal of the Royal Asiatic Society,* Part III, p. 325-349.

Heyworth-Dunne, J.
1968 *An Introduction to the History of Education in Modern Egypt.* London, Frank Cass & Co. (new impr.).

Hill, Donald.
1990 The Literature of Arabic Alchemy. In *Religion, Learning and Science in the Abbasid Period: 328-341.* M. J. L. Young et al (eds). Cambridge University Press.

Hitti, Philip K.
1940 *History of the Arabs.* (2nd ed.). London, Macmillan & Co.
1973 *Capital Cities of Arab Islam.* Minneapolis, University of Minnesota Press.

Hourani, Albert.
1983 *Arabic Thought in the Liberal Age (1798-1939).* Cambridge University Press.

Isaacs, Haskell D.
1990 Arabic Medical Literature. In *Religion, Learning and Science in the Abbasid Period: 342-363.* M. J. L. Young et al (eds). Cambridge University Press.

Jalabert, Louis & René Mouterde.
1939 *Inscriptions Grecques et Latines de la Syrie.* vol. II. Paris, Librairie Orientaliste Paul Geuthner.

Karam, A. G.
1965 « Faris al-Shidyak. » *EI*[2], (Vol. II), p. 800-802. Leiden, E.J. Brill.

Kenny, Lorne M.
1965 The Khedive Ismail's Dream of Civilization and Progress (2 parts). *The Muslim World,* Vol. LV, (nos. 2 & 3), p. 142-55 & 211-221.

Kraus, P.
1933 Zu Ibn Al-Muqaffa'. *Rivista degli Studi Orientali* XIV, (fasc. I), p. 7-10.

Kruk, Remke.
1979 *The Arabic Version of Aristotle's Parts of Animals: Book XI-XIV of the Kitab Al-Hayawan.* Amsterdam, Oxford, North-Holland Publishing Co.

Lane, Edward William.
1860 *An Account of the Manners and Customs of the Modern Egyptians.* (5th ed.). London: J. Murray.
1863-85 *An Arabic-English Lexicon* (8 vols.). London, Williams & Norgate. Beirut: Libraire du Liban. (reprod. 1980).

Lewis, Bernard.
1961 *The Emergence of Modern Turkey.* Oxford University Press.

Mardin, Şerif.
1962 *The Genesis of Young Ottoman Thought.* Princeton University Press.

Marsot, Afaf L.
1984 *Egypt in the Reign of Muhammad Ali.* Cambridge University Press.

Meyerhof, Max.
1926 New Light on Hunain Ibn Ishaq and his period. *International Review Devoted to the History of Science and Civilization (ISIS),* VIII, p. 685-724

The Missionary Herald (1927), Vol. 23.

Mitteis, L. & U. Wilcken.
1912 *Grundzüge und Chrestomathie der Papyruskunde.* Vol. I. Leipzig-Berlin, B.G. Teubner.

Nau, François.
1933 *Les Arabes Chrétiens de Mésopotamie et de Syrie du VII^e au VIII^e siécle.* Paris, Imprimerie Nationale.

Palmer, L. R.
1954 *The Latin Language.* London, Faber & Faber Ltd.

Peters, E. F.
1968 *Aristotle and the Arabs.* New York, New York University Press.

Philipp, Thomas.
1985 *The Syrians in Egypt 1725-1975.* Stuttgart: Franz Steiner Verlag.

C. Prufer & Max Meyerhof.
1915 Die Augenheilkunde des Juhanna b. Masawaih. *Der Islam*, VI (3), p. 217-256.

Quatremère, M.
1835 Mémoire sur les Nabatéens. *JA*, XV, p. 5-55, 97-137, 209-271.

Robert, Paul.

1953 *Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française.* Vol. 1. Paris, Presses universitaires de france.

Rosenthal, Franz.

1946 Review of Galen's On Medical Experience. Translated and Notes by R. Walzer. *ISIS*, vol. 36 (3-4), p. 251-255.

1965 *The Classical Heritage in Islam.* Berkeley & Los Angeles, University of California Press.

1970 *Knowledge Triumphant: the concept of knowledge in Medieval Islam.* Leiden, E.J. Brill.

Ruska, Julius.

1924 *Arabische Alchemisten* (I). Heidelberg, Carl Winter.

Sa'di, Lutfi M.

1934 A Bio-Bibliographical Study of Hunayn Ibn Ishaq al-Ibadi (Johannistius) (809-877AD). *Bulletin of the Institute of the History of Medicine*, Vol. II, no. 7, p. 409-446.

Sawaie, Mohammed.

1990 An Aspect of 19th Century Arabic Lexicography: the modernizing role and contribution of Faris al-Shidyaq (1804?-1887). In *History and Historiography of Linguistics*, Vol. I, p. 157-171. Hans-Josef Niederehe & Konrad Koerner (eds). Amsterdam & Philadelphia, John Benjamins.

1998 Rifā'a Rāfi' al-Ṭahṭāwī (1801/2-1873) and His Contribution to Lexical Development in Modern Literary Arabic. ms.

Schoelcher, Victor.

1946 *L'Égypte en 1845.* Paris, Pagnerre.

Shahid, Irfan.

1984 *Byzantium and the Arabs in the Fourth Century.* Washington, D.C.: Dumbarton Oaks Research Library and Collection.

1989 *Byzantium and the Arabs in the Fifth Century.* Washington, D.C.: Dumbarton Oaks Research Library and Collection.

1995 *Byzantium and the Arabs in the Sixth Century.* (Two Parts). Washington, D.C.: Dumbarton Oaks Research Library and Collection.

1996 The Authenticity of Pre-Islamic Poetry: the Linguistic Dimension. *Al-Abhath*, Vol. XLIV, p. 3-29.

Shushtery, A.M.A.

1938 *Outlines of Islamic Culture* (vol. I). Bangalore (India), The Bangalore Press.

Simon, Max (ed. & tr).
1906 *Sieben Bücher Anatomie des Galen*. Vol. I, p. 333-362. Leipzig, J. C. Hinrichs'sche Buchhandlung.

Tibawi, A. L.
1966 *American Interests in Syria 1800-1901: a study of educational and religious works*. Oxford, The Clarendon Press.

Tignor, Robert.
1966 *Modernization and British Colonial Rule in Egypt, 1882-1914*. Princeton University Press.

Tracy, Joseph.
1840 *History of American Missions to the Heathens: from their commencement to the present time*. Worcester, Spooner and Holland.

Türkce-Ingilizce Redhouse Sozlügü. Istanbul, Redhouse Yayinevi. 1988.

Vatikiotis, P.J.
1969 *The Modern History of Egypt*. New York: Frederick A. Praeger.

Versteegh, C. H. M.
1977 *Greek Elements in Arabic Linguistic Thinking*. Leiden, E.J. Brill.

Vigntrinier, Aimé.
1932 *Soliman-Pacha-Colonel Sève*. Paris, Librairie de Firmin Didot.

Volney, M. C-F.
1788 *Travels Through Syria and Egypt, in the Years 1783, 1784, and 1785*. (2 vols). London, G. G. J & J. Robinson, Pater-Noster-Row (2nd ed.).

Wehr, Hans.
1960 *A Dictionary of Modern Written Arabic*. Beirut, Librairie du Liban. (3rd printing, 1974).

Wright, William.
1894 *A Short History of Syriac literature*. London, Adam & Charles Black. Folcroft Library Editions (reprint 1978).

Zimmerman, Fritz W.
1990 « al-Kindi » In *Religion, Learning and Science in the Abbasid Period: 364-369*. M. J. L. Young et al (eds). Cambridge University Press

فهارس الأعلام العربية

— أ —

— ب —

— ت —

— ث —

— ج —

— ح —

— خ —

— د —

— ر —

— ز —

— س —

— ش —

— ص —

— ط —

— ع —

— ف —

— ق —

— ك —

— م —

فهارس الأعلام الأجنبية

— A —

— B —

— C —

— D —

— E —

— F —

— G —

— H —

— I —

— J —

— K —

— L —

— M —

— N —

— P —

— Q —

— R —

— S —

— T —

— V —

— W —

— Z —



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان
لصاحبها : الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء . بناية الأسود
تلفون: 009611-350331 Tel: خليوي: 009613-638535 Cellulaire:
فاكس: 009611-742587 Fax: / ص.ب. 113-5787 بيروت . لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم : 346 / 1000 / 5 / 1999

التنضيد : المعهد الفرنسي للدراسات العربية - دمشق

الطباعة : مطبعة منيمنة الحديثة - بيروت

As more Western technological objects and new scientific advancements are introduced to the Arabic-speaking regions in this interdependent world, seems beyond doubt that Arabs will continue to coin terminology. Existing Arabic language academies, and new ones that may be established, universities, research centers and their scientists, translators, men of letters, etc. will always be confronted to the question of terminology. This issue is therefore worthy of study in itself. Moreover, it is important for the historical study of language and of lexicon development, as well as for the study of issues of language contact.

Mohammed Sawaie
Charlottesville, Virginia
March 1998

Chapter Four discusses the efforts of translators at Egyptian Western-style schools insofar as appropriate terminology in the schools of medicine, agriculture, engineering and military science, etc. is concerned.

Chapter Five discusses the active debate in the 19th century regarding Arabic dictionaries and their suitability to the needs of Arab society during that period. Traditional classical Arabic dictionaries were still prevalent, despite the changes in the various aspects of Arab society, including language. I discuss the views of a leading 19th century writer, namely (Aḥmad) Fāris al-Šidyāq (1801/1804 ?-1887) on proper Arabic dictionaries suitable for the needs of the age. This lexicographer, translator, journalist and autobiographer waged a campaign to defend and "modernize" Arabic, providing a vigorous critique of classical Arabic dictionaries in the introduction of his own dictionary *al-Ǧāsūs ᶜalā al-Qāmūs*.

Chapter Six treats the efforts of another important reformer, Rifā'a Rāfi' al-Ṭahṭāwī (1801/2-1873), a translator, teacher, writer and administrator. Al-Ṭahṭāwī's views on issues of terminology in Arabic are expressed in his important book, *Talḫīṣ al-Ibrīz fī tārīḫ Bārīz*, a detailed description of French institutions, and are based on his first-hand experiences in Paris from 1826 to 1831. Al-Ṭahṭāwī espoused the enrichment of Arabic lexicon by several methods. One method was through *arabicization*, i.e the adaptation of foreign lexical items to the rules of Arabic morphology. As many words from Greek, Syriac and Persian had already entered the Arabic lexicon during the Age of Translation, al-Ṭahṭāwī maintained that arabicized words from French, or other languages, introduced through the translation of foreign sciences, would further contribute to the lexical enrichment of Arabic. This, in turn, would contribute to making Arabic a more adaptable language, versatile enough to express new ideas and objects coming from the West. Al-Ṭahṭāwī compiled a glossary in each book he translated. He also encouraged his disciples at *Madrasat al-Alsun*, "The Translation School" which he headed in 1837, and his associates at other institutions to do the same. With time, al-Ṭahṭāwī maintained, these lexical items would become a part of the lexicon of Arabic, much as foreign items during the Age of Translation had.

The 19th century question of how to express Western objects and sciences is still relevant in this century and I believe will be so in the future.

works, first, into Ottoman Turkish (for his own benefit and that of his ruling class whose official language was Turkish) and, later, into Arabic, the language of a rising, new generation of government civil servants. These translations made available new disciplines previously unknown in Arabic, such as various branches of engineering, agriculture, medicine and military science. Printing presses were established, e.g. Būlāq Press in Cairo in 1822, and the American Press in Beirut in 1834. Arabicized versions of European terms such as *al-bolitiqa* 'politics', *tiyātrō* 'theater', *jurnāl* 'journal' and *al-būsṭa* 'post' signaled the arrival of Western institutions and technology in the Arabic-speaking regions. Such terms were readily adopted by writers.

The coining of new terminology to express new Western ideas and technology generated dilemmas and heated debates among Arab intellectuals and writers. The issue of terminology was also linked to another large debate about Arabic lexicography: There were wide-spread discussions regarding the state of existing Arabic dictionaries, which were viewed by some to be inadequate for the needs of the new society. The present book presents an introduction to these two issues in the history of Arabic lexicon in the 19th century as follows:

Chapter One discusses the linguistic situation preceding the advent of Arabic into the newly-conquered lands of Syria, Egypt, Iraq and the North African countries in the seventh century AD. It must be emphasized that the indigenous languages of these newly-conquered lands (by Arabs) such as Greek, Coptic, Syriac and Persian continued to be used as official languages in government records for roughly the first twenty five years of the Umayyad Dynasty (661-750 AD) before they were officially displaced by Arabic starting in 700 AD. This official policy eventually resulted in the supremacy of Arabic in these lands, and in its becoming, through the passage of time, the native language of new generations.

Chapter Two examines the Age of Translation (9-11th centuries AD), a period that manifested debates among scholars and translators regarding the appropriate terminology to accommodate the translation of new sciences from Greek, Syriac or Persian into Arabic, and methods of coining such terminology.

Chapter Three examines the cultural and educational conditions in Arabic-speaking regions before the French invasion of Egypt (1798-1801), and the impact of this invasion in effecting change.

INTRODUCTION

The lexical history of the Arabic language can be divided into three stages: First, the Islamic "revolution" of the seventh century AD, which culminated in the codification of the Koran, considered to be the basis for standard Arabic, and subsequently, the enrichment of the language both lexically and semantically; second, the Age of Translation (during the Abbasid Caliphate, 9-11th centuries AD) with its wide and rich contribution to the scientific and philosophical lexicon due to translations from Greek, Syriac and Persian sources; and third, the 19th century *Nahḍa* "renaissance", which introduced to Arabs Western sciences and technology, and into the Arabic language neologisms and coinages to express these new sciences.

Of these three stages, the 19th century *Nahḍa* is, perhaps, the most important turning point in the history of Arabic lexicon. The abrupt and overpowering European impact on the Arab East during the 19th century brought Arabic-speaking regions into intimate contact with the West, through both military intrusion (e.g. the French invasion of Egypt 1798-1801, and later the British in 1888), and institutional penetration (e.g., the arrival of Christian missionaries in the Levant in the 1820s and their founding of Western-style educational institutions such as the English-medium Syrian Protestant College in 1866, now the American University of Beirut, and the French St. Joseph University in 1874, also in Beirut). The awesome military, political, cultural and technological changes entailed by this contact, and the institutional changes that accompanied it, proved to be a crucial turning point in the development of Arab culture generally, and the Arabic language in particular.

In response to these challenges, reform-minded rulers of the early 19th century, such as Muḥammad 'Alī of Egypt, dispatched groups of students to Western countries, e.g. Italy and France, to study at their universities. In Egypt, Muḥammad 'Alī established Western-style schools with Western language instruction. He sponsored, primarily, translations of French medical, scientific, historical, political, legal and geographic

mots grecs, syriaques et persans avaient déjà pénétré le lexique arabe durant l'ère de la traduction, des mots arabisés venant du français ou d'autres langues avaient été introduits grâce à la traduction des textes scientifiques en arabe. Ainsi, cet enrichissement continuerait à faire de l'arabe une langue mieux adaptable, suffisamment flexible pour exprimer des idées et des objets nouveaux provenant de l'Occident. Al-Ṭahṭāwī prenait soin de constituer un glossaire dans chacun des ouvrages qu'il traduisait. À l'École de Traduction (*Madrasat al-alsun)* qu'il dirigea, il encourageait ses disciples, ainsi que ses associés dans d'autres institutions, à en faire autant ; avec le temps, selon lui, les termes nouveaux deviendraient partie intégrante du lexique arabe, à l'instar des termes étrangers durant l'ère de la traduction.

La question posée au XIXᵉ siècle de la terminologie adéquate pour traduire les objets propres à l'Occident et à sa science, est toujours d'actualité, et je crois, qu'elle le demeurera dans l'avenir. On ne peut douter que les Arabes continueront à forger des mots nouveaux tant qu'il y aura des objets technologiques et de nouveaux progrès scientifiques, dans les régions de langue arabe. Les académies de langue arabe existantes et les nouvelles académies qui peuvent être établies, les universités, les centres de recherche et les scientifiques, les traducteurs, les hommes de lettres, etc. seront toujours confrontés à la question de la terminologie. Cette question est donc digne d'être étudiée en elle-même. En outre, elle est importante pour l'étude historique de la langue et du développement lexical, ainsi que pour l'étude des questions posées par le contact inter-linguistique.

Mohammad Sawaie
Charlottesville, Virginia
Mars 1998

conséquence de cette politique officielle, l'arabe finit par accéder à la suprématie dans ces pays, et à devenir, avec le temps, la première langue des nouvelles générations.

Le chapitre II soumet à l'examen l'ère de la traduction (IXe au XIe siècles de l'ère chrétienne), période où se manifestent des débats parmi les savants et les traducteurs sur la terminologie appropriée pour rendre en arabe les sciences grecques syriaques et persanes, ainsi que sur les méthodes à suivre pour forger une telle terminologie.

Le chapitre III examine la situation de la culture et de l'éducation dans les régions de langue arabe avant l'invasion française de l'Égypte (1798-1801) et les changements opérés par cette invasion.

Le chapitre IV se penche sur les efforts des traducteurs oeuvrant dans les écoles égyptiennes de style occidental, et plus particulièrement sur les efforts visant à doter les écoles de médecine, d'agriculture, de génie civil et de science militaire d'une terminologie appropriée.

Le chapitre V passera en revue le débat qui s'est engagé au XIXe siècle sur les dictionnaires arabes et sur leur faculté de répondre aux besoins de la société arabe pendant cette période. Les dictionnaires traditionnels d'arabe classique continuaient à prévaloir, en dépit des changement qui avaient affecté divers aspects de la société arabe, y compris la langue. Dans ce cadre, je m'applique à discuter le point de vue d'un écrivain majeur du XIXe siècle, (Aḥmad) Fāris al-Šidyāq (1801/4-1887), sur les dictionnaires arabes appropriés aux besoins de l'époque. Ce lexicographe, traducteur, journaliste et autobiographe mena une campagne pour défendre et "moderniser" l'arabe, offrant une vigoureuse critique des dictionnaires arabes classiques dans l'introduction à son propre dictionnaire, *al-Ǧāsūs 'alā al-Qāmūs*.

Le Chapitre VI s'attache aux efforts d'un autre éminent réformateur, Rifā'a Rāfi' al-Ṭahṭāwī (1801/2-1873), à la fois traducteur, professeur, écrivain et administrateur. Les vues de Ṭahṭāwī sur les questions de terminologie en arabe sont exprimées dans son ouvrage important, *Taḫlīṣ al-Ibrīz fī talḫīṣ Bāriz* de même qu'elles sont fondées sur des expériences de première main acquises à Paris de 1826 à 1831. Al-Ṭahṭāwī prônait l'enrichissement du lexique arabe par plusieurs méthodes. L'une d'elles était l'arabisation, c'est-à-dire l'adaptation de termes étrangers aux règles de la morphologie arabe ; al-Ṭahṭāwī soutenant que, de même que de nombreux

En réponse à ces défis, des hommes d'État du début du XIXe siècle enclins à la réforme, comme Muḥammad 'Alī, se mirent à envoyer des groupes d'étudiants, vers les pays occidentaux, l'Italie et la France par exemple, pour qu'ils étudient dans leurs universités. En Égypte, Muḥammad 'Alī établit des écoles selon le modèle occidental, comportant un enseignement des langues européennes. Il encouragea principalement la traduction d'ouvrages français traitant de médecine, de sciences, d'histoire, de politique, de droit et de géographie, d'abord en osmanli (pour son profit personnel et celui de la classe dirigeante dont la langue officielle était le turc) et, plus tard, en arabe, langue d'une jeune génération montante de fonctionnaires gouvernementaux. Ces traductions rendirent disponibles des disciplines nouvelles, inconnues jusque là en arabe, comme les diverses branches du génie civil, de l'agriculture, de la médecine et de la science militaire. Des imprimeries furent installées, comme l'Imprimerie de Būlāq au Caire en 1822, et l'Imprimerie Américaine à Beyrouth en 1834. Des vocables européens se trouvèrent simplement transposés et l'on entendit parler de *būlitiqa*, la politique, de *tiatrū* le théatre, de *jurnāl*, le journal, de *būsṭa*, la poste. Ces termes qui marquaient l'entrée des institutions et de la technologie occidentales dans des pays de langue arabe, furent adoptés par les écrivains sans difficulté.

L'élaboration d'une nouvelle terminologie visant à traduire les idées et la technologie occidentales fut à l'origine de dilemmes et de débats houleux, parmi les intellectuels et les écrivains arabes. La question de la terminologie était aussi liée à un autre vaste débat engagé autour de la lexicographie arabe. Il était largement répandu d'engager des discussions sur l'état des dictionnaire arabes, considérés par certain comme inadéquats aux besoins de la nouvelle société.

Le présent ouvrage est une introduction à ces deux questions dans l'histoire du lexique arabe au cours du XIXe siècle. Il procède comme suit :

Le chapitre I traite de la situation linguistique précédant l'arrivée de l'arabe dans les terres nouvellement conquises de Syrie, d'Égypte, d'Iraq et d'Afrique du Nord au cours du VIIe siècle chrétien. On doit souligner que les langues originelles de ces terres conquises (par les Arabes), comme le grec, le copte, le syriaque et le persan continuèrent à être utilisées en tant que langues officielles dans les documents gouvernementaux durant les vingt-cinq premières années de la dynastie umayyade (661-750) avant d'être officiellement remplacées par l'arabe, à partir de l'an 700. Comme

INTRODUCTION

L'histoire du lexique de la langue arabe peut être divisée en trois étapes : la première qui correspond à la révolution islamique du VII[e] siècle chrétien, qui culmine avec la codification du Coran considéré comme la base de la langue standard et qui enrichira la langue tant sur le plan lexical que sur le plan sémantique. La seconde étape, marquée par l'ère de la traduction (durant le califat abbasside du IX[e] au XI[e] siècle de l'ère chrétienne) se traduira par un apport considérable au lexique scientifique et philosophique grâce aux traductions à partir du grec, du syriaque et du persan. La troisième enfin, marquée, au XIX[e] siècle, par la *Nahḍa* initiera les Arabes aux sciences et à la technologie occidentales en introduisant dans la langue arabe des néologismes et des termes visant à traduire ces nouvelles sciences.

De ces trois étapes, la *Nahḍa* du XIX[e] siècle constitue probablement le tournant le plus important dans l'histoire du lexique arabe. L'influence brusque et écrasante exercée par l'Europe sur le Proche-Orient arabe durant le XIX[e] siècle amena les pays de langue arabe à entretenir des rapports étroits avec l'Occident, à la fois par le biais de l'intrusion militaire (ainsi la conquête de l'Égypte par les Français en 1798-1801, puis par les Britanniques en 1888), et par le biais de la pénétration institutionnelle (l'arrivée des missionnaires chrétiens au Levant dans les années 1820 et la création, par ces missionnaires, d'institutions éducatives de style occidental, comme le Collège Syrien Protestant, de langue anglaise, fondé en 1866, devenu aujourd'hui l'American University of Beirut, et l'Université Saint-Joseph, de langue française, fondée en 1874, à Beyrouth également). Les changements énormes d'ordre militaire, politique, culturel et technologique induits par ce contact, ainsi que les changements institutionnels qui les ont accompagnés, se sont avérés constituer un tournant décisif dans le développement de la culture arabe en général, et de la langue arabe en particulier.

Première édition

1999



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
B.P. 113-5787
Beyrouth - Liban

LA CRISE DE LA TERMINOLOGIE ARABE AU XIX^e^ SIÈCLE

INTRODUCTION HISTORIQUE GÉNÉRALE

Mohammed SAWAIE

Ouvrage publié en collaboration avec Dar al-Gharb al-Islami, Beyrouth et avec le concours de la Direction Générale des Relations Culturelles, Scientifiques et Techniques du Ministère Français des Affaires Étrangères



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI

LA CRISE DE LA TERMINOLOGIE ARABE AU XIXe SIÈCLE

INTRODUCTION HISTORIQUE GÉNÉRALE

Mohammed SAWAIE



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI

1999

